

دعوة الحق

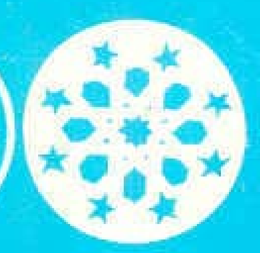
• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب



العدد

229



شعبان/رمضان 1403 - ماي/يونيو 1983

الثمن: 5 دراهم

العدد القادم من

دعوة الحق

خاص عن

ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي

التي عقدت بالرباط في الفترة من 5 إلى 7 رجب 1403

ترقبوا العدد القادم

من

دعوة الحق

أبحاث ودراسات من المغرب والمشرق عن

مؤسسة الأوقاف ودورها في الحضارة الاسلامية



شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهماً
في البلاد العربية: 67 درهماً
في العالم: 77 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485 . الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

هذا العدد

●● من بحوث هذا العدد البحث القيم الذي كتبه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله عن العلاقات المغربية المصرية عبر التاريخ، والبحث الممتاز الذي أعده الدكتور عبد الهادي التازي عن رواق المغاربة في الأزهر الشريف. وهما معا يمثلان جانبا من الدراسات الحضارية المقارنة التي تخدم فكرة الوحدة العربية والتضامن الإسلامي.

● ويأتي مقال الأستاذ محمد الخطيب (في ذكرى صدور الظهير البربري في المغرب) لدراسة آفاق (الظهير) وآثار (الظاهرة). ولا شك أن تاريخ الحركة الوطنية والنهضة الفكرية والثقافة في المغرب ترتبطان ارتباطا وثيقا بصدور هذا الظهير الذي يؤرخ لظهور الانطلاقة المباركة في ميدان الجهاد بالقلم والفكر، وبالعمل الوطني والسياسي من أجل استقلال الوطن وحرية المواطنين.

●● غير أن البحث الضافي النفيس الذي كتبه لدعوة الحق الأستاذ محمد بن تاويت عن (علال الفاسي ، طالبا، معلما، زعيما) يأتي على رأس الذكرى التاسعة لوفاة هذا المفكر المغربي الفذ الذي أغنى الحياة العقلية والثقافية والأدبية ببلادنا بقدر ما أسهم بحظ وافر في الجهاد من أجل العرش رمز المشروعية وضامن الوحدة وحامي العقيدة والكيان والدولة والنظام.

● ومجلة (دعوة الحق) لاتنسى أن الاسم الذي تحمله هو من اختيار (علال الفاسي) الذي عرضه على جلالة المغفور له محمد الخامس - قدس الله روحه - فتقبله بارتياح واغتباط واستبشار.

●● ويلتقي القراء في هذا العدد مع الكلمة التي ألقاها الدكتور عباس الجراري بمناسبة تعيينه من طرف صاحب الجلالة نصره الله عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، وذلك تحية من (دعوة الحق) لأحد كتابها الكبار.

● وفي هذا العدد أبحاث ومقالات ودراسات وقصائد تبرز تطور مستوى الفكر والثقافة والأدب في المغرب بفضل المناخ الفكري والسياسي الذي توفره السياسة الحكيمة والبالغة الرشد التي يسهر عليها قائد هذه الأمة ورائد نهضتها وضامن - بعد الله تعالى - استمرار إشعاعها.

رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

شجاعة الفكر

•• ينطوي موقف رجاء جارودي من عقائد وإيديولوجيات العصر على قدر كبير من شجاعة الفكر، ويؤكد قدرة المثقف على تجاوز ذاته وبيئته وموروثه الأدبي والثقافي للوصول إلى مصدر الحق والإيمان به.

لقد نشأ جارودي على غير عقيدة تحفظ عليه توازنه، وكان نتاج محيطه الذي انهارت فيه القيم وضاع الإنسان في خضم المادية والنفعية والتنكر لنداء السماء. ثم بحث له عن مرفأ أمين، فلم يجد أمامه سوى العقيدة المسيحية فتلقفها واعتنقها على ما جرى به الأمر في وسط مسيحي. ولم يلبث أن هزته رياح الفكر التي هبت على أوروبا في مطالع القرن العشرين وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى فاكتسحت وأغرت وخدعت ما شاء لها الواقع الأوروبي أن تكتسح وتغرى وتخدع أصنافا من البشر كان في مقدمتهم ذوو الفكر وشداة المعرفة وأصحاب الطموح السياسي والتطلع إلى التغيير. فلم يكن له بد من اعتناق الماركسية التي كانت إلى ذلك العهد لاتزال تحتفظ بالبريق الكاذب واللمعان الزائف والسحر الخادع. واستطاع جارودي، بما كان يتمتع به من مزايا عقلية وسجايا ثقافية واستعدادات للعمل السياسي، أن يتألق في هذا المجال، ويبرز كأحد كبار المنظرين العقائديين، فكان الوجه المتميز في فرنسا وأوروبا عموما بين صفوف ما يسمى هناك بالطليعة الثورية المناضلة. ولبث على هذا الأمر ردحا من الزمن، إلى أن اتضحت له الحقائق وبانت معالم الطريق الذي آل على نفسه أن يسلكه.

• ولقد فجر موقف رجاء جارودي الشجاع عدة أسئلة أجاب عن بعضها في ثنايا المحاضرات والمقابلات الصحافية التي أجريت معه في البلاد العربية

التي زارها، ولا يزال هناك قدر لابأس منها في حاجة إلى الإجابة منه أو من غيره. ولعل في مقدمة هذه الأسئلة هو الحكم النهائي على الايديولوجيات المادية الملحدة المنكرة للأديان التي وجدت لها أشياعا وأتباعا وأنصارا. ولقيت من اليهودية والصهيونية والماسونية دعما ومساندة ومؤازرة.

●● ماهو مستقبل هذه العقائد التي عاثت في الأرض والقلب والعقل والوجدان فسادا وإلحادا في ظل التطورات البالغة الإيجابية التي تمثل جانب منها في مفكرنا الشجاع رجاء جارودي ؟

●● هل أن أوان الإعلان عن سقوط حضارة الإلحاد والتمرد على الفطرة والتطاول على الحق وامتهان كرامة الإنسان بدعوى العلمانية واللادينية والعصرنة والتحديث ؟

ان شطرا من هذه الأسئلة أجاب عنه جارودي ورهط قليل من أصحاب الضمير والفكر والشفوف الإنساني. وعلى تقديرنا الكبير لمواقف هؤلاء الاعلام، فإن طبيعة التحدي الذي يواجه أمتنا العربية الإسلامية تقتضي الكشف عن كل الأوراق التي خفيت عن الأعين خدمة للإنسانية وتعزيزا لصف الإيمان بالله ودعما لصحوة الإسلام في هذا العصر وفي كل العصور القادمة.

● وليس شك أن جلالة الملك الحسن الثاني - كالعهد بجلالته دائما - رد تحية رجاء جارودي للأمة الإسلامية بأحسن منها، فكان حفظه الله، وهو الناطق بضمير المسلمين كافة، سباقا إلى تكريم الرجل الكبير بتعيينه غداة الإعلان عن إسلامه عضوا في أكاديمية المملكة المغربية.

وهي التفاتة مولوية لها دلالتها الحضارية والفكرية، جعلت من المغرب البلد العربي الإسلامي الوحيد الذي بادر إلى تتويج المسيرة الفكرية الشاقة التي قطعها جارودي طوال حياته الممتدة بمشيئة الله.

●● ان إسلام رجاء جارودي لا يمكن أن يكون حدثا شخصيا، فالمرء حينما يبلغ هذا المستوى من التألف والتفوق والبروز لا يمثل ذاته، بقدر ما يعبر في كل شأن من شؤونه عن الفكرة التي يعتنقها والعقيدة التي يؤمن بها والاتجاه الذي يسلكه في حياته الخاصة والعامة، ومن هذه الزاوية ننظر إلى الحدث. ولذلك فإن تعيين جارودي عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، وإن كان فيه تكريم للمفكر الشجاع، فإنه تعبير عن اعتزاز المغرب بشجاعة الفكر التي هي قاعدة أصولية في حياتنا العقلية.

وهي قاعدة راسخة ثابتة وطيدة..



بمناسبة الذكرى الألفية للأزهر:

رواق المغاربة بالأزهر الشريف

أو البعثة العلمية الدائمة للمغرب في مصر

للدكتور عبد الهادي التازي

ظل إسم مصر وسيظل منقوشا في قلب كل مغربي، وظل ذكرها وسيظل جاريا على كل لسان في ديار المغرب.

وإذا كان إسم النيل والصعيد يحملان في طيات حروفهما القليلة المبنى، كل معالم الحضارة التي عرفها العالم القديم، فإن كلمة «الأزهر» تؤدي بدورها مجملا لتاريخ طويل في النضال من أجل حياة الحرف العربي، واستمرار الوجود الإسلامي عبر أرجاء العالم شرقه وغربه.

وإن الذين عاشوا مع (جامع الزيتونة) التي أسست في تونس عام 116هـ ومع (جامع القرويين) التي شيدت في فاس عام 245هـ ليمكنهم أكثر من غيرهم أن يتصوروا حجم (الأزهر)، الذي بني عام 359هـ بكل أبعاده العلمية والثقافية، وآثاره السياسية والاجتماعية، ليس فقط على المجتمع المصري ولكن على المجتمع الإسلامي كله..

ومن هنا يمكن أن ندرك السر في استقطاب مصر لجاليات تنتمي لشتى الآفاق، لقد كانت بالفعل ملتقى عالميا اتسع صدره لاستيعاب أطراف الدنيا، فهنا الأفارقة والشوام، والأتراك والأروام والعراقيون والخليجيون، وأهل الصين وسكان القارة الهندية..

ولما تسحبه مصر وراءها من تاريخ أصيل عريق، أمكن لجامعها الأزهر أن يحتضن سائر الاتجاهات ويحترم كل المذاهب فكانت بذلك ملاذا حصينا للتفكير، ومجالا حيا للتعبير، فهنا الشافعية والحنفية والحنابلة إلى جانب المالكية..

ويتأكد من خلال تتبع كتب الأخبار والآثار أن (رواق المغاربة)، كان العمدة والمرجع فيما يحرر هناك حول الفقه المالكي.. وكان المركز الذي يسهر على تكوين الأطر اللازمة لنشر المذهب المالكي في الغرب والشرق... وبهذا كان أقدم وأهم وأغنى الأروقة التي عرفها الجامع الأزهر في تاريخه البعيد.

إن صلات المغرب بمصر لم تكن وليدة الأمس القريب، فهي ضاربة في جذور التاريخ وعلى مختلف الأصعدة وكل المستويات.

وقد تجلت تلك الصلات في المصاهرات التي تمت بين الجناحين منذ فجر التاريخ... وفي مكافأة أمراء هوارة المغاربة بحكم أراضي أخميم (محافظة سوهاج) الثرية التي أدى لها ابن بطوطة وصفا دقيقا لا يخلو من الفائدة (2)... وفي المراسلات المتبادلة بين الملوك والحكام، وفي

---

1) د. التازي : بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية، تاريخ بلاد الشام الجامعة الاردنية 1974م ص 431.

السفارات المتوالية بين البلدين (3)، كما تجلت تلك الصلات في مجال التعاون في الميدان العسكري على نحو ما نراه في أخبار الرايس إبراهيم التازي شيخ دار الصناعة بالأسكندرية (3).

وهكذا فإنه لم يكن من الصعب علينا أن نتصور إنشاء (رواق للمغاربة) في حظيرة الأزهر منذ التاريخ المبكر... على الأقل منذ أواسط القرن الثامن، أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وعلى يد الوزير سعد الدين بشير الذي عرف بمبادراته المعمارية في القاهرة (4).

إن العدد الكثير من الأسر المغربية التي أصبحت تعيش بمصر وتتردد على مصر. كانت تفرض العمل من أجل تخصيص جناح للطلبة والمشايخ الذين يهتمون بدراسة الفقه المالكي الذي ظل المذهب المفضل لدى أهل المغرب...



باب رواق المغاربة

رواق المغاربة في كتاب الخطط التوفيقية

ولم يكن غريبا علينا أن نرى الملك الأشرف أبا النصر قايتباي يدرك أهمية الرواق المغربي على مر الزمن، فيقوم بتجديده عام 881هـ على نحو ما نقرأه مما كان منقوشا على باب الرواق مما أثبته على باشا مبارك في «الخطط التوفيقية» :

«أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف قايتباي على يد الخواجا مصطفى ابن الخواجا محمود غفر الله لهما» (5).

وقد احتفظت الدرابيز الخشبية التي تفصل الرواق عن صحن الأزهر بالنقش التالي الذي يؤكد الأول ولكن من غير أن يذكر الخواجا ! وهو يوجد داخل دوائر أربع هكذا : «عز لمولانا السلطان/ الملك الأشرف/ أبو النصر قايتباي/ أدام الله أيامه/.

كما احتفظت أعالي باب الرواق بما نقش عليه بمناسبة التجديد الذي حصل أيام خديوى مصر عباس حلمي على هذا النحو :

---

2) لابد أن نربط بين وجود هوارة في أخميم ووجود أحد أهل مكناسة في (إسنا) التي لا تبعد كثيرا عن أخميم...
الرحلة ، 1ر 103 ـ 108 ـ 2ر 253 الحسن الوزان ، وصف افريقيا، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية 1319 ص 612 ـ 613 ـ 716.

3) د السيد عبد العزيز السالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها دار المعارف 1969 ص 769. د. التازي ، المغرب يساعد مصر على فتح قبرص، العلم الثقافي 21 مارس 1975.

4) المقريزي ، الخطط ج 54،4. ـ الخياري ، تحفة الأدباء، تحقيق ، السامرائي 69،3.

5) كتاب الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر المحمية سنة 1305 ص 22.
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 ـ 1798) منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس 1982 ص 99.

«جددت هذه الدربزينات على أصلها في عصر خديوى مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة 1310».

ولقد اهتمت المؤلفات التي تحدثت عن الأزهر الشريف، بتحديد موقع الرواق نظرا لأهميته واعتبارا لمقامه كما اهتمت بتقديم وصف شامل له حتى لا يلحقه في يوم من الأيام تبديل أو تغيير.

إنه يوجد بالجانب الغربي من صحن الجامع على يمين الداخل من الباب الرئيسي للجامع ، وهو باب المزينين الذي يليه باب داخلي كان يحمل أحيانا - على ما يظهر من كلام صاحب (الخطط التوفيقية) - اسم باب المغاربة..

وهو أي رواق المغاربة (طرابلس - تونس - الجزائر - المغرب) مجاور اليوم لرواق الأتراك والسنارية (6)... (السودان...) ويحتوي على خمس عشرة بائكة قائمة على أعمدة من رخام أبيض (7). وبداخل الرواق باب على الجدار الغربي ينفذ إلى مساكن علوية كانت تؤوي بعض المحظوظين من الطلبة... كما ينفذ - وهذا مهم - إلى مخزن كبير للكتب (كتبخانه) وقد انتصبت على الجدار المغربي وعلى الدرابيز الشرقية وعلى الحاجز بين الرواق المغربي والرواق التركي، انتصبت دواليب كانت بدورها تحتضن طائفة من المؤلفات ... وهكذا نجد أن الرواق المغربي يحتوي على مجموعة قيمة من الكتب بلغت في تقدير بعض الأساتذة زهاء ثمانمائة آلاف مجلد منها عدد من نفائس المخطوطات التي تعالج قضايا الفقه المالكي وفنون العلم والتاريخ العام والخاص... وفي هذه المكتبة كان ابن خلدون يقضي جل وقته، على ما كان الحال بالنسبة للمقري صاحب كتاب نفح الطيب (8)...



صحن الجامع الأزهر

ولقد وقفت هناك على عدد من شروح مختصر الشيخ خليل وشروح تحفة ابن عاصم ولأمية الزقاق... وحتى الوثائق الفرعونية... كما وجدت هنا نسخة من تحفة الألباب ونخبة الاعجاب لابن أبي الربيع القيسي الأندلسي الغرناطي (9) ووجدت نسخة من جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي... كما وجدت هنا مؤلفا عن أنساب الأدارسة بالمغرب ومنظومة بالشعر الملحون للهواري... الخ...

ولابد أن نتساءل هنا عن ظروف وجود مصحف مغربي رسمه عام 1182 الأمير المغربي أبو الحسن مولاي علي نجل أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله وخليفته على مدينة فاس (10)... كان المصحف موجودا بجامع أبي الذهب الذي لا يبعد عن رواق المغاربة، قبالة الباب الرئيسي للأزهر... وافتقد بعد هجوم نابليون على مصر حتى عثر عليه في متحف اللوفر بباريس عام 1867 (1283 - 1284) وتمت استعادته... لقد كتب هذا المصحف بالخط

---

6) السنارية ، نسبة إلى سنار مدينة كبرى بالسودان حتى لكانت فكرة لتسمية جمهورية السودان بالجمهورية السنارية..

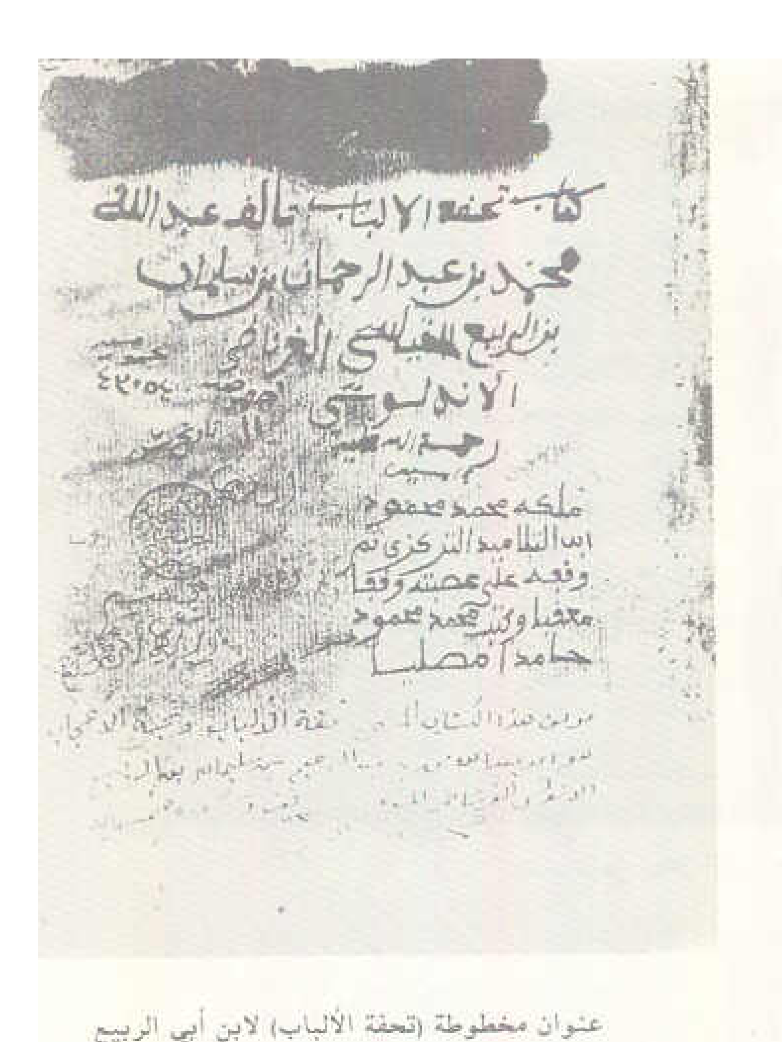
7) الرواق يتألف من خمس بلاطات كل منها من اثنى عشر ميترا على أربعة تقريبا، فتكون مساحته كله أربعين ومائتي ميتر..

8) محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر، طبعة ثانية 1958 ص 143 محمد عبد المنعم خفاجي ، الأزهر في ألف عام 1374 - 1 ص 64 - 11 99 - د سعاد ماهر ، الجامع الأزهر ص 21 قراءة أولى في وثائق مجهولة للدكتور مجاهد توفيق الجندي استجواب أحمد أبو كف، مجلة المصور عدد 18 مارس 1983.

9) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن سليمان ولد بغرناطة ورحل إلى المشرق ومات بدمشق، من مؤلفاته (تحفة الألباب) نشره المستشرق الفرنسي كابرييل فيران في المجلة الاسيوية، المجلد 207 ص 1 - 148.

10) ابن زيدان ، اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، طبعة الرباط 1350، 3ر 356.

الباب الداخلي في الرواق وهو ينفذ لمخزن الكتب


كتاب تحفة الألباب تأليف عبد الله
محمد بن عبد الرحمن بن سليمان
بن الربيع القيسي الغرناطي
الأندلسي

عنوان مخطوطة (تحفة الألباب) لابن أبي الربيع

المغربي وهو آية من آيات الفن في دقة الصنع وتناسق الألوان وثراء صفحاته بالحليات ذات الألوان الجذابة المختلفة (11)...

لقد غد الرواق بمثابة بعثة علمية ثقافية اجتماعية للجالية المغربية، وأصبحت له إدارة خاصة به ترعى شؤونه وتشرف على مرافقه.

ولقد كان ينعم بعطاء سخي من لدن الموسرين المغاربة الذين كانوا في بعض الأحيان يتحكمون في اقتصاد البلاد، ولابد أن أذكر هنا بأسرة الشرايبي التي خصص لها الشيخ عبد الرحمن الجبرتي صفحات من تاريخه، والتي كانت مساعدتها تتجاوز سير الرواق إلى الفروع العلمية الأخرى.

«ويتردد إلى منزلهم العلماء - يقول الجبرتي - ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للاعارة وانتفاع الطلبة يشترونها بأعلى ثمن ويضعونها في الخزائن والخورنقات (الزوايا) في أي علم من العلوم.. ولا يمنعون من يأخذ الكتاب وإن لم يرده لا يسأل عنه... وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا، ويعتذرون عن الجاني بضرورة الاحتياج (12)..!»

(11) معرض دار الكتب - الهيأة المصرية العامة للكتاب، اعداد عبد المنعم محمد موسى ، مدير عام دار الكتب...

(12) الجبرتي ، عجائب الآثار ار 204.



صفحات من سجل أوقاف السادة المغاربة بالأزهر

من مخطوطة بني زهرة الآس

على مثل هؤلاء كان يعتمد الرواق. وقد عاشت هنا عائلات مغربية، كما أشرنا، كان لها صداها في مسيرة الرواق...

هنا أسرة الأبار، وأمغار، وبنونة، والتازي، والجزولي، والجمالي (13) والحلو، والدكالي، والرعيني، والركراكي (14) والزرهوني، والغزاوي، والفاسي والكوهن، والمكناسي، والناضوري، والصباغ، والسحيمي (15)، وابن سعيد والسوسي، وابن شقرون، والهواري، واليوسي... الخ... الخ...

ومن أجل المركز الذي كان يحظى به الرواق كانت المنافسات على إدارته بالغة... وكان على المرشح لتلك المهمة أن يتوفر، إضافة إلى الكفاءة الخلقية، على رضى الطلبة وتزكية سائر الشيوخ المغاربة، وهكذا فقد كانت إدارة الرواق تسير سيرا ديموقراطيا يخضع لمصلحة من يهمهم الأمر قبل أي اعتبار.

عرض حال

عرض حال لطالب علم برواق المغاربة

«رسوم أخرى تتعلق بالرواق»

ولا بد أن نعرف أن هناك قواعد تضبط علاقة شيخ الرواق المغربي بشيخ الأزهر الذي يظل هو المشرف من الناحية الأدبية على ما يجري داخل الرواق ولو أن الرواق يتمتع - مع ذلك - بكامل الحرية في مساعدة طلبته وفي صيانة كتبه واختيار أساتذته...

وكما حفظ التاريخ أسماء عدد من شيوخ الأزهر ابتداء من الشيخ الخرشي المالكي (ت 1101هـ)، احتفظ لنا بطائفة من الشيوخ الذين كانت لهم صلة بالرواق المغربي... فهنا الشيخ ابن عبد السلام الشرفي، وهنا الشيخ علي السقاط والشيخ عبد الرحمن بناني... والشيخ أحمد عبد السلام المصوري المغربي الذي كان مرتبه كل يومين ثمان مائة واثنين وستين رغيفا... ولقد كان هؤلاء المشرفون يقومون أيضا بوظيفة ناظر الأوقاف، وكان للمشرف وكيل ينوب عنه أثناء الغياب، كما كان له مساعدان آخران رئيسيان ، الكاتب... والقابض، علاوة على البواب ، الأول يقوم بتسجيل المحاضر، والثاني يسهر على تحصيل المبالغ المستحقة للرواق من الأوقاف المحبسة عليه...

وقد ظل الرواق حلقة اتصال محكمة بين علماء المغرب وعلماء المشرق، وهكذا فعندما كانت تطرح القضايا الكبرى في المغرب، كنا نجد السلطات الحاكمة تستمزج رأي علماء المشرق بعد أن تأخذ بنظر علماء قواعد المغرب...

شاهدنا هذا عندما رفع كتاب في عهد السلطان أبي العباس بن أحمد بن محمد الوطاسي (932 - 943هـ) يستفتي ذلك الكتاب علماء الأزهر عمن نصبوا محرابهم في مدينة فاس بين المشرق والمغرب، وعندما حدث أيام السلطان مولاي اسماعيل ابن الشريف (1082هـ - 1139م) أن استفتى علماء الأزهر حول القضاء على الرق وانتظام

---

(13) نسبة إلى سيدي علي الجمال المترجم في (سلوة الأنفاس) للكتاني 1ر

(14) الفرات ، د مجاهد توفيق الجندي ، الأزهر ورحلة ألف عام... (المصور) 18 مارس 1983.

(15) يوجد إلى اليوم بيت ينسب للسحيمي ويعتبر من المعالم الأثرية التي تستحق الزيارة في القاهرة، يقع البيت رقم 19 في ممر متفرع عن شارع المعز لدين الله كان في البداية ملكا للشيخ عبد الوهاب الطبلاوي عام 1058 ثم وسع من لدن الحاج اسماعيل شلبي عام 111هـ وصار إلى آل السحيمي وكان آخر من تصرف فيه محمد أمين السحيمي بتاريخ 1325...

المحررين في سلك الجيش المغربي... كانت هناك مراسلات منتظمة بين هؤلاء العلماء هنا وأولئك هناك... ويحتفظ المغاربة بجملة وافرة من الاجازات التي كانوا يحملونها من علماء المشارقة. كما يحتفظ المشارقة لاخوانهم المغاربة بذكريات لا تبلى ظهرت آثارها في كتب التراجم والفهارس...

ومن غير أن نرحل بعيدا سنذكر بعض المناظرات التي تمت حوالي سنة 1140 بين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي وبين بعض علماء الأزهر حول موضوع يعتبر اليوم من مشاغل الساعة لدى منظمة الصحة العالمية. ويتعلق الأمر بشرب الدخان الذي صمم العالم المغربي آنذاك على أنه مادة مضرة فهي إذن محرمة يجب الابتعاد عنها (6)... الأمر الذي أثار جدلا كبيرا بين رجال العلم نعتقد أنه هو الذي كان وراء صدور الفرمان (المرسوم) بمنع تناول الدخان في الشوارع وعلى أبواب الدكاكين بمصر أيام تولية محمد باشا (7) عام 1156.

وقد سجلت بعض المذكرات المغربية لقطات هامة عن تاريخ الأزهر العلمي أيام الحكم العثماني كانت تؤكد ما كتبه السادة الأساتذة اليوم عن تلك الفترة القلقة من حياة جامعة مصر !

ولعل من المفيد أن نتصفح بهذه المناسبة ولأول مرة في مخطوطة ألفها أحد رجال العلم والسياسة المغاربة ممن وفدوا على مصر سنة 1143 رفقة الركب الذي كان يضم الأمير الصغير سيدي محمد بن عبد الله الذي أصبح فيما بعد، الملك محمد الثالث...

كان ذلك العالم هو أبا الفضل الوزير عبد القادر الاسحاقي الذي نعت في كتب التاريخ المغربي بالكاتب الأرفع والأديب اللغوي والمؤرخ النسابة.

كان الإسحاقي من الرحالة المغاربة الذي دونوا مذكراتهم حول زيارتهم لمصر، وياما أكثرهم !... وكان من أبرز ما تناوله في مخطوطته (18) الفريدة قسم يتعلق بالأزهر الذي كان يجتاز آنذاك فترة صراع ضد الذين كانوا يجدون في إهماله فرصة لبسط نفوذهم..!

إن كل الذين كتبوا عن الأزهر لم يستطيعوا، كما أشرنا، أن يخفوا امتعاضهم من ذلك التدهور في المستوى العلمي بالأزهر. وقد ردد معظم المؤرخين المعاصرين أن الدراسة في الأزهر آنذاك أصبحت لا تتناول العلوم الرياضية، كما كان معهودا...

كان الوزير الاسحاقي مهتما أيما اهتمام بزيارة معالم مصر وبدا أن اهتمامه بالأزهر كان يفوق الوصف، سيما وقد لاحظنا أنه، فيما كتبه، كان لا يعتمد فقط على ملاحظاته هو ولكنه كان يعتمد حتى على حكايات الرفقاء الذين كانوا ينقلون إليه ما يشاهدونه بعد عودتهم من تجولهم اليومي...

وبالرغم من أن بعض شيوخ الأزهر على ذلك العهد (1143هـ = 1731م) كانوا على جانب من الشهرة، فإن اتصالات الوزير الاسحاقي وتعليقاته إنما اقتصرت على شخصية علمية أزهرية لم تنل في ترجمتها، لدى الجبرتي، تلك المساحة من الورق التي خصصت مثلا للشيخ الشبراوي وللشيخ الحنفي...

كان العالم الذي اجتمع به الاسحاقي هو الذي نعته الجبرتي بإمام الأئمة وشيخ الشيوخ، وأستاذ الأساتذة عمدة المحققين والمدققين... وكان الأمر يتعلق بالشيخ علي بن علي الحنفي السيواسي الضرير، الملقب باسكندر (19).

ولقد وصف الاسحاقي زميله الحنفي بأنه رأس الطبقة في العربية وعلم المعقول... (20) وتحدث عن اجتماعه به كما أعطى بعض التفصيلات عن حياته الخاصة مما أهملته المصادر المصرية التي ترجمت للشيخ الحنفي...

ويظهر من خلال ما أورده الاسحاقي أن الشيخ الحنفي لم يكن فقط ضد تناول شراب البن «القهوة»، قياسا

---

16) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ر 158 ـ 160 ـ 161.
17) الجبرتي ، ، ر 151 ـ 152.
18) توجد المخطوطة اليوم بخزانة جامع القرويين من فاس تحت رقم 1258. وقد نشرت القسم الخاص منها بليبيا تحت عنوان ، أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي... مطبعة فضالة ـ المحمدية المغرب 1976.
19) لقب بذلك لأنه كان يعطي دروسا بجامع اسكندر باشا بباب الخرق.
20) ورقة 157 من مخطوطة الاسحاقي...

له على الخمر كما كان يعتقده ويردده... (21) ولكنه كان أيضا عالما نباتيا.. وهكذا يذكر الاسحاقي أن السفرة أو المائدة التي دعى إليها من لدن الحنفي كانت تحتوي على كل صنف الا اللحم..! لا أدري هل ما إذا كانت صدفة أم إن الشيخ كان يجد صحته في تناول أنواع الطعام الأخرى...

وهناك جانب آخر من حياة الشيخ الحنفي لم تتحدث عنه المصادر المصرية وهو جانب النكتة والمرح الذي كان يلجأ إليه المشايخ. يمزجون به حياتهم اليومية...

لقد كان في جملة الأطباق التي أحضرها شيخ الأزهر للضيف المغربي صحن العدس... الذي كان بجانبه بعض الحوامض والمخللات. إلى جانب صحن الأرز الذي لم يعتد المغاربة تناو له إلا في حالات خاصة كما لاحظ ذلك سائر الذين تحدثوا عن المغرب. ومنهم ابن فضل الله العمري..

أقبل الاسحاقي على تناول العدس.. وشعر الحنفي أن ضيفه معرض عن الصحون الأخرى. فسأله عن السر في إقباله على العدس فأجابه الإسحاقي إن للعدس مسوغا بجانبه. وهو الحوامض. ففعل ذلك في نفس الحنفي الذي اتجه نحو الضيف قائلا : جعلت للعافي نكرة تحتاج الى مسوغ ! فخجل الإسحاقي وأجاب ، بل كلاهما معرفة إلا أن في العدس مسوغا للابتداء به... ثم أقبل على الطعام الثاني... (22).

وقد كشف الاسحاقي عن نزعته الانتقادية عندما حضر بعض مجالس العلم بالأزهر الشريف ولاحظ مستوى الدروس التي كانت تلقى هناك... وقال عن شعر مدح أهدى إليه في مصر ، بأنه أقرب إلى الهجو منه إلى المدح !

وإذا كان الوزير الإسحاقي لم يربط صلاته برجال التصوف الذين عرفتهم مجالس الأزهر، فإن أحد المغاربة من أهل فاس المشهورين بالعلم والفضل والصلاح وهو العالم الواصل الشريف مولاي أحمد الصقلي (23) اجتمع هناك عام 1158 بالشيخ أبي عبد الله محمد بن سالم الحنفي وأخذ عنه الشاذلية الخلوتية التي كان في صدر من تلقاها عنه بفاس القطب عبد الوهاب التازي (24).

ثم تشاء الصدفة أن يتولى على مصر عام 1162هـ الوزير أحمد باشا الذي لاحظ حالة الانهيار التي تعيش عليها الأزهر وذلك أثناء مقابلته للشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر (25) حيث رأينا الأحوال تتطور في الأزهر إلى أحسن. وتأخذ العلوم الرياضية نصيبها في الجامع وفي رواق المغاربة بالذات.

وهنا يتحدث التاريخ أيضا عن استئناف نشاط الأزهر عام 1187هـ وفي هذه المرة أيضا يكون ذلك عبر إفادة تتعلق بمقام شخصية علمية مغربية بارزة قامت بزيارة مصر وألقت دروسا متابعة في رواق المغاربة شدت إليها شخصيات الأزهر بدون استثناء.

ويتعلق الأمر بأبى عبد الله محمد ابن سودة الملقب بالتاوديتيمنا بالشيخ عبد الله التاودي من رجال القرن السادس(26)وقد قدم أبو عبد الله مصر عام1182هـ وعقد له دروسا حافلة بالجامع الأزهر بالرواق حول الفقه المالكي. في جموع حاشدة من الطلاب والموجودين من العلماء. إضافة إلى تلقيه هو بعض الرياضيات عن الشيخ الجبرتي (27).

---

21) كان يرى أن (القهوة) تحدث للإنسان عند شربها تحول على نحو ما هو في الخمور...

22) كان مما حكاه الاسحاقي نقلا عن الشيخ الضرير أن مغربيا تزوج بمصر وكان عليه أن يتبع عادة أهل البلاد حيث كان على العريس هناك أن يحمل عروسته مارا بها لخدرها وهو ينثر على أصدقائه الدراهم ليشغلهم. فتزوج ذلك المغربي بسيدة كانت بدينة بينما كان هو نحيل الجسم فحار في أمره وكان عليه أن يؤدى مبلغا مهما من المال فدية !

23) د التازي ، رسائل مخزنية، مطبعة أكدال ـ الرباط 1979 ص 43.

24) الجبرتي ، 1ر 289 ـ السلوة 1ر 134.

25) الجبرتي ج 1ر 193 ـ 194 عنان 145.

26) نسبة الى تاودة بالصحراء بين السينغال والمغرب، وقد كان الشيخ عبد الله التاودي من رجال الفكر والعلم والفضل. وما يزال ضريحه شاخصا عند الخروج من باب عجيسة الذي فتح على قصر الجامعي. وقد رممه السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ومن المعروف أن أبا عبد الله الملقب بالتاودي كان يكثر من زيارة ضريح سميه سيدي عبد الله السلوة ، د. [illegible] 2427 ـ الكتاني ، السلوة 1ر 112 ـ الخفاجي 1ر 79 عنان 149.

عبد الهادي التازي ، تاريخ جامع القرويين المسجد الجامعة بمدينة فاس المطبعة للكتب اللبناني ببيروت 1972.

لقد عاد الشيخ التاودي إلى فاس ولكأنما حمل معه (رواق المغاربة)، ولكأنما حمل معه الأزهر برمته. لقد غدا رسولا من رسل الأزهر بين أساطين جامع القرويين... وإن مشهد الشيخ التاودي ابن سودة ما يزال إلى اليوم في فاس يذكر الذين يزورون العاصمة العلمية بمقام العالم المغربي بديار مصر... إن زاويته تحتوي على خزانتين علميتين، وكانت روضته إلى العهد القريب ضمن فروع جامعة القرويين التي تلقينا نحن فيها عددا من الدروس على مشايخ لنا كانوا يلتمسون الخير في تقفي خطوات الشيخ التاودي ابن سودة...

ولم يكن ابن سودة آخر من ظهر في رحاب الرواق... فقد توالت بعده الزيارات وانتظمت البعثات الطلابية حيث شاهدنا عشرات الرجال يقصدون ديار مصر للكرع من معين العلم...

وإن مما يثير الانتباه حقا، إسهام رجال الرواق على رأس قادة الأزهر في التصدي لقوات نابليون عام 1213هـ = 1798م، لقد هب المغاربة يدافعون... وأدرك نابليون خطورة الوجود المغربي على مخططاته فأصدر يوم ثاني ربيع الثاني 1213هـ = 13 شتنبر 1798م أمرا يقضي بأن على المغاربة أن يرحلوا إلى بلادهم «وأن كل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه»..! لكن المغاربة لم يرضخوا لهذا الأمر.. وهكذا نجد أن أحدهم وهو أبو القاسم المغربي شيخ رواق المغاربة يلقى عليه القبض ويودع في سجن القلعة من لدن الفرنسيين عام 1215هـ نظرا لما بلغ عنه من إلهاب للمشاعر ضد المحتلين للبلاد... (28).

لقد تحولت مجالس الرواق العلمية إلى مجالس للتحريض على الثورة ضد نابليون... واستمر الموقف المغربي كذلك إلى أن تم تحرير البلاد وانقاذ المخطوطات والتحف التي اغتصبها المستعمرون. وهذه هي الحقيقة التي تؤكدها المصادر المغربية والتركية والمصرية على السواء...

فهل هذا كله ما كان يربط المغاربة برواقهم في الجامع الأزهر؟ لقد عرف المغرب منذ فجر تاريخه الإسلامي عددا من المبادرات الطريفة التي لا تخلو من دلالات رقيقة دقيقة. فلأجل أن يستحضر أهله دائما وباستمرار صورة المدن والأماكن المشرقية، اعتادوا على أن يعطوا أسماء تلك المدن والأماكن لبقاع توجد بالمغرب. فسمعنا عن (خيبر) بضاحية مدينة زرهون، كتوأم لخيبر القريبة من مثوى النبي صلى الله عليه وسلم، كما سمعنا عن بكة على ساحل المحيط الأطلسي كتوأم لمكة المكرمة...

ومن هذا القبيل عرفنا عن جامع في مدينة فاس حمل منذ القرن السادس أيام الدولة الموحدية اسم (المسجد الأزهر) تلميحا للأزهر الشريف.

لقد كان الأمر يتعلق بالجامع الذي يشتهر في حجج الوقف لعام 974 باسم عين الخيل. وفي هذا المسجد كان يدرس أبو عبد الله محمد التميمي الفاسي الذي أخذ عنه ابن عربي الحاتمي على ما يذكره هذا الأخير في كتابه الفتوحات (29) وهذا (المسجد الأزهر) يحتفظ إلى الآن بكرسي علم حبست عليه أوقاف ثرية...

إن الحديث عن «رواق المغاربة» يعني إثارة الحديث الطويل العريض عن تهافت المغاربة على مصر منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا.. يعني البحث في بطون الرحلات المغربية التي لم يتردد أصحابها في كتابة مذكراتهم عن مصر وبخاصة الأزهر الشريف وعلى الخصوص رواق المغاربة... يعني البحث في كتب تاريخ مصر وخطط مصر القديم منها والحديث للوقوف على ما كان يؤديه هذا الرواق من خدمات جلى.. يعني البحث في وثائق المحاكم الشرعية التي كانت بمثابة محاضر تتبع وجود المغاربة ووضعيتهم وواقعهم السياسي والاقتصادي والإجتماعي والثقافي... يعني البحث في حجج الوقف، ويا ما أكثرها ! مما ينص فيه على مدى تغلغل المغاربة

---

28) الجبرتي، ج III 158 ـ عبد الرحيم، المغاربة بمصر، ص 35 ـ 56.

29) الفتوحات المكية، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1401 = 1981 ج 7 ص 267 ـ التازي، تاريخ جامع القرويين ص 684.



باب زاوية الشيخ التادوي تحتوي على خزانتين علميتين وقد كانت روضته إلى العهد القريب ضمن فروع جامعة القرويين التي تلقينا عددا من الدروس أمام كرسيها .



إن مشهد الشيخ التاودي ابن سودة ما يزال إلى اليوم في فاس يذكر الذين يزورون العاصمة العلمية بمقام العالم المغربي بديار مصر.



في مختلف مناحي المجتمع المصري قبل وبعد العصر العثماني.

وأخيرا فإن الحديث عن (رواق المغاربة) يعني البحث المتوالي في الفترة التي استهدفت فيها مصر للغزو الاستعماري من قبل نابليون فهناك في المصادر الأجنبية ترديد لصدى رواق المغاربة وتصوير لتحركه لمناهضة الاحتلال الأجنبي لديار مصر.

وهناك في تاريخ المغرب الدولي ترديد لصدى استجابة المغرب أيام السلطان مولاي سليمان لصرخات مصر... لصرخات الأزهر لصرخات الرواق، حيث وجدنا المناضل المغربي إلى جانب المواطن المصري يدافع من أجل تحرير مصر من الهيمنة الأجنبية.. هناك حيث كان المغربي يشعر وكأنه يدافع عن حاضرة من حواضره.. أو قاعدة من قواعده... لقد كان لهذا الرواق الفضل كل الفضل في بقاء المغاربة على صلة بمصر وله يدين المغاربة عندما يقرأون في حوليات التاريخ المصري سواء أكتبت باللغة العربية أو القبطية أو التركية عن رجال المغرب وأقطابه من الذين نما عطاؤهم وعلاصيتهم، عبر هذا الرواق، الذي يظل البرور به طوقا في أعناق المغاربة والمصريين قمة وقاعدة.

د. عبد الهادي التازي

التذييل والتذنيب على نهاية الغريب

●● من الكتب الجديدة التي صدرت ضمن سلسلة (المكتبة التراثية) عن منشورات دار الرفاعي بالرياض كتاب الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (التذييل والتذنيب على نهاية الغريب) بتحقيق الباحث العراقي الدكتور عبد الله الجبوري.

والجدير بالذكر أن دار الرفاعي التي يديرها بكفاءة ومقدرة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي تنشر السلسلات التالية :

- المكتبة الصغيرة.
- مكتبة الدراسات.
- السلسلة الشعرية.
- المصابيح.
- في رحاب الحرمين.

ويعتبر كتاب التذييل للسيوطي أول كتاب يصدر ضمن السلسلة الجديدة (المكتبة التراثية) ويقع في 142 صفحة من الحجم الكبير ●●

مصر والمغرب الأقصى

عبر التاريخ

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

استقطبت مصر عبر التاريخ رجالات من جهابذة الفكر في المغرب الأقصى منذ أعرق العصور الإسلامية منهم من استقر نهائيا ببلاد الكنانة ومنهم من اهتبل فرصة الحج لينهل من ينابيع جامعة الأزهر التي ارتبطت منذ القرن الرابع الهجري بجامعة القرويين ارتباطا عضويا تبلور في وحدة الفكر الحضاري الإسلامي بين شقي العروبة وبين مركزين من أبرز المراكز الإسلامية التي تمحور نشاطها برصيد جامعة الزيتونة بالقطر التونسي الشقيق (1).

ومعلوم أن جزيرة المغرب اسم أطلقه العرب على جميع الأقطار الواقعة غربي مصر وهي المغارب الثلاثة وقد عرفت عند الغربيين في العصور الوسطى ببلاد بربريا Barbary التي اختلق لها الجغرافيون الأوربيون اسم (افريقية الصغرى) تمييزا لها عن القارة نفسها. وسبب اطلاق هذا الإسم على المغرب أن المؤرخين كانوا يعتبرون الصحراء الجنوبية قبل تعميرها بمثابة بحر وقد خلف لنا كثير من العلماء ومن بينهم أبو سالم العياشي صاحب الرحلة مصنفات قيمة ضمنوها مشيختهم في الشرق ومنهم من ترك وصفا رائعا للحركة الفكرية في الشرق الإسلامي وللتبادل الثقافي مع المغرب وقد صنف (حازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتي («الدرة المضية في تاريخ الاسكندرية» في مجلدات) والمستفاد من شيوخ بغداد (درة الحجال ص 137).

ويرى بعض العلماء أن قدماء المصريين هم من سلالة المغاربة ولعل الصواب وحدة السلالة بين الأقباط والبرابرة.

ومهما يكن فإن كلمة مصر كانت دائما تثير في نفوس المغاربة ذكريات اعتزاز. وقد وصف محمد بن علي الرافعي المغربي في رحلته الحجازية عام 1096هـ/ 1684م مصر وأهلها وآثارها وأسواقها وما فيها من كنوز وذخائر والازهر ورواق المغاربة وحضر دروس العلماء ووصف كيفية

---

1) ستصدر دراسة خاصة حول المبادلات الفكرية في تونس والمغرب خلال ألف عام.

احتفال المصريين بهلال رمضان وعيد الفطر ووقعت مفاخرة مع أدباء مصر حول الرياض والجنان في القاهرة وتطوان خاصة (أدواح كيتان) / تاريخ تطوان ج 1 ص 393.

وقد تبلور التبادل الفكري والتعاون الموصول رغم بعد الشقة في شتى مجالات الحياة.

وقد جلب السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن صناعا مهرة من مصر لتصفية السكر في معمل أكدال بمراكش (الاتحاف ج 3 ص 556) كما جلب ضابطا مصريا لتدريب الجيش النظامي.

ولما هاجم (نابليون) مصر بعث الخليفة العثماني (سليمان الثالث) للمولى سليمان بتاريخ 1213هـ/ 1799م رسالة يخبره بفظائع الجيش وتحالف الباب العالي مع انجلترا لنقل السلاح عن طريق (جبل طارق) وكان للمغاربة دور فعال في الدفاع عن حوزة مصر ضد نابليون (2).

وكانت الجالية المغربية في مصر من أهم الجاليات العربية حيث وردت أسماء وكلاء المغرب بمصر في عهد محمد الثالث في كناشة وزيره أبي عشرين محمد الطيب بن اليماني كما وجه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى وكيل المغاربة بمصر رسالة أثبتها العربي بن محمد الدمناتي في كناشته (خم 3718) وقد نشرت (الوثائق المغربية) (ج 11 عام 1907) بحثا فيه أن ابن شقرون الفاسي كان وكيلا للمغاربة بالقاهرة عام 1316هـ/ 1898م انه كان يحفظ تركات الرعايا المغاربة القاطنين بعاصمة الكنانة وكان بمصر ما بين 1.200 و1.500 مغربي.

وفي عام 754هـ 1353م وجه أبو عنان وزيره فارس بن ميمون بن وردار إلى جبل (سكسيوة) لمحاربة صاحبه عبد الله الثائر فأحاط به واختط لمعسكره مدينة بسفح الجبل سماها (القاهرة) تيمنا بعاصمة الكنانة (الاستقصا ج 2 ص 93) دوكاستر السعديون (س. أ.) م 2 ص 258 - 309.

والمنصورية هي القاهرة كما سماها (جوهر الصقلي) قبل تسمية المعز لها القاهرة (خطط المقريزى ج 1 ص 361) وهي من الأسماء المبذولة في المغرب الأقصى مثل المنصورية بين الرباط والدار البيضاء حيث أسست قصبة تضم حامية لمحاربة الثوار فهي مركز على شاطىء (وادي النفيفيخ) أنزل المولى عبد الرحمن بها حلة أهل السوس قرب رحاهم برباط الفتح حيث كان القواد ثم رد الحلة بعد مضي ست سنوات إلى قصبة (تمارة) وكانت متلاشية فأمر السلطان بترميمها (الاستقصا ج 4 ص 191).

ولم يشر إليها من الخرائطيين «القدماء» سوى Battista Agnesi ولكنه يحدد موقعها غلطا بعد مدينة (أنفا) (مدن وقبائل المغرب الدار البيضاء والشاوية م 2 ص 33) وورد في الاعلام للمراكشي (ج 5 ص 123) أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله بنى المنصورية ومساجد (اكدال) الستة بالرباط ومدينة تيط عام 1182هـ/ 1768م والصويرة عام 1178هـ وكذلك أنفا وفضالة (وهي المحمدية اليوم) (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 146).

والسلطان (الظاهر بيبرس) المملوكي هو أول من أمر بطواف المحمل والكسوة بالقاهرة في شوال 775 هـ وكانت حسب السيوطي أربعة محامل (العراق والشام والمغرب ومصر) وكان ينضم اليه بالقاهرة المحمل المغربي وقد احتفل به بالقاهرة بحضور الركب الفاسي إلى الحج (3).

---

2) - محمد المنوني - دعوة الحق عدد 1380 - 1970.
- «عجائب الآثار» للجبرتي (المطبعة الأميرية ج 3 ص 44).
- «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر (الاسكندرية ج 1 ص 77).
- الخطب المنبرية لمحمد بن محمد الرهوني (مطبعة حجازي بالقاهرة ص 11).
القصيدة المصرية للحاج محمد النجار (المنوني أعلاه) خطبة لسليمان الحوات (توجد مع خطبة للرهوني في الموضوع «المكتبة الملكية رقم 4269»).

3) ركب الحج المغربي لمحمد المنوني ص 21 - الرحلة العياشية ج 1 ص 150 - تاريخ الجبرتي توجد قصائد باسم «المحمل» كقصيدة ج 1 ص 29 الحاج العربي الفلالي الرهوني يذكر فيها كلا من المحمل المصري والمحمل الشامي (ركب الحج ص 22).

وقد استقطبت معاهد الكنانة طلبة من أقصى المحيط كمدرسة الشيخونية بمصر التي كان بها مغاربة مصامدة (النيل ص 96).

وقد استمد المغرب بعض معمارياته وأثرياته من الأساليب الفنية المصرية خاصة في الحقل الديني حيث يعتبر مسجد (الفسطاط) ينبوع إلهام لجامع (نكور) منذ القرن الهجري الأول وكذلك الأمر في أساليب التنضيد العمراني في الدور والقصور فالمصرية مثلا هي الغرفة العليا أو العلية بالمغرب ولعل نسبتها إلى مصر راجعة لتعدد طبقات العمارات في المدن كالفسطاط (4) وكانت المصرية منعزلة في أعلى الدار يصعد إليها أحيانا من سلم في أسطوان الدار أو من خارج.

قال ابن بطوطة : (ج 4 ص 93) : «وأهل الصين يجعلون للمركب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصاري والغرف للتجار... وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون في المركب».

وكان يقصد بها احدى غرف (قصر البديع) في العهد السعدى (مناهل الصفا - مختصر الجزء الثاني ص 5).

وكانت هذه المصرية البديعية مطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء وقد كتب على هذه المصرية شعر أنشاه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي عام 995هـ/ 1586م (5).

وقد استعمل هذه الكلمة أبو محمد عبد الله نجل القاضي عياض في (مذاهب الحكام في نوازل الأحكام) (6).

والكلمة مستعملة في مصر نفسها (7).

وورش هو الامام أبو سعيد عثمان بن سعيد القيرواني ثم المصرى صاحب الإمام (نافع) وشيخ الاقراء بمصر لقبه نافع بورش لشدة بياضه توفى عام 197هـ/ 812م (طبقات القراء ج 1 ص 502) معرفة القراء الكبار ج 1 ص 126 غاية النهاية ج 1 ص 502) حسن المحاضرة ج 1 ص 207) وقراءته للقرآن سائرة في المغرب.

وقد تأسس مكتب المغرب العربي بقرار من (مؤتمر المغرب العربي) الذي انعقد بالقاهرة بين 15 و22 يبراير 1947 وضم ممثلى أحزاب الأقطار الثلاثة وأصبح هذا المكتب منطلق نشاط مركز للدعوة إلى استقلال المغرب العربي كما أصبح محط آمال شعوب المغرب العربي ومطمح أنظارها ومن مظاهر اهتمام المغرب بمصر أن محمدا بن الحاج الحسن بن مسعود بنانى (1194هـ/ 1780م له (الأجوبة المصرية) (خم 4617). طبعت على الحجر بفاس (27 ص).

الماصرية (رجالات الملحون ينظمون قصائد الماصريات) خبر الحملة الفرنسية على مصر القصيدة للشاعر محمد بن علي الشريف ولد ازرين دعوة الحق - مارس 1974 محمد الفاسي كناشة لمحمد بن قاسم الزجالي الفاسي (1072هـ/ 1662م) ذكر فيها أساتذته ورحلته الدراسية إلى القاهرة (نثر المثاني ج 1 ص 242).

علماء مصر والمنصور السعدى (الاستقصا ج 3 ص 55).

ونريد أن نرسم هنا لوحة مكبرة عن تسلسل التأثير المتبادل بين الكنانة والمغرب في مختلف العصور من خلال كشف مقتضب لرجالات الفكر المغاربة الذين وطدوا في مختلف الميادين أسس التعاون بين شقي العروبة.

---

4) ذكر دوزي في مستدركه أن أصلها لاتيني من كلة (Solarium)
5) (روضة الآس) للمقري ص 134 (الاستقصا ج 3 ص 69).
6) الملحق بالتعريف ص 243 - من منشورات وزارة الأوقاف.
7) (رفع الاصر عن كلام أهل مصر) ليوسف بن زكرياء المغربي نزيل مصر (1019 هـ - 1611م).

- ابراهيم بن محمد السوسي الأيسي 1077 / 1666م ودفن بالسعلاة، دخل مصر عام 1075هـ نظم رسالة المرجاني في الوفق الخماسي الخالي الوسط / الاعلام للمراكشي ج 6 ص 368.

- ابراهيم بن محمد بن فارس بن شاكلة بن عمر السلمي الذكراني المراكشي المصري الكانمي (من أهل كانم مما يلي صعيد مصر، قدم المغرب قبل 600 هـ وسكن مراكش (608 أو 609هـ) (تكملة الصلة ص 215 /
الاعلام للمراكشي ج 6 ص 337.
ياقوت الحموي (مادة كانم).

- ابراهيم بن محمد اللخمي السبتي المعروف بابن المتقن سمع بالاسكندرية حوالي 570هـ / 1174م على أبي طاهر السلفي.
(تكملة الصلة ص 213).

- ابراهيم بن محمد اللقاني المغربي الأصل قاضي القضاة بمصر (نيل الابتهاج ص 29) (896هـ / 1490م).

- ابن أبي دبوس أحمد الكومي (بن عثمان بن ادريس بن محمد) أبو العباس (ابن أبي دبوس).
أمير ثائر ولد بالقاهرة وهو حفيد ادريس بن محمد آخر ملوك بني عبد المومن بالمغرب رحل يريد مراكش لاستخلاص املاك ورثها عن أبيه واظهر العصيان على أبي الحسن المريني وقاتله عام 749هـ وأسر فنقل إلى فاس وأطلق سراحه ومات بفاس.
(الاعلام للزركلي ج 1 ص 160 والدرر الكامنة ج 1 ص 198).

- ابن أبي السرور عبد الرحمن بن محمد بن الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبدالله الفاسي ولد سنة 810 هـ بمكة ورحل مع والده وأخيه إلى القاهرة عام 833 هـ فمات بها في نفس السنة - (الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 134 ط 1354 القاهرة).
ابن الأحرش من عرب المغرب الأقصى انضم إلى الجيش المصري ضد جيش نابليون «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر» (ط الاسكندرية ج 1 ص 77).
ابن أم قاسم حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي بدر الدين (749هـ أو 755هـ).

الدرر الكامنة (ج 2 ص 116).
حسن المحاضرة للسيوطي.
مصنفاتـه :
1) شرح ألفية ابن مالك (المكتبة الوطنية بتونس 4490م).
2) شرح التسهيل.
3) شرح المفصل.
4) تفسير القرآن في عشرة مجلدات.

-) ابن ثامشيت (ابن تاميت في الشذرات) أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي الفاسي نزيل القاهرة (657هـ / 1258م).
شذرات الذهب ج 5 ص 288.
الجذوة (ص 57)/ تكملة الصلة لابن الابار ص 158.

-) ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الرحالة توفي (614هـ / 1217م) بالأسكندرية (المقري والنفح) (ج 1 ص 714) و(ج 2 ص 300).
ملحق بروكلمان ص 879.
شذرات الذهب ج 5 ص 61).

لـــه :
1) رحلة اسمها «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» نشرها ويليام رايت Wright الانجليزي (1852م / 1269م).
1907 Leyden ونقلت الجذوة عن أبي الحسن الشاري أنه لم يرتب الرحلة بنفسه فهي ليست من تأليفه، وطبعت بمصر وبيروت ومخطوطاتها نادرة منها واحدة بالزاوية الحمزاوية بالمغرب وأخرى مبتورة في خع 5855.
2) نظم الجمان في التشكر من الاخوان (لنا في ديوان أبي تمام).

-) ابن جعونة الفاسي محمد بن عمر بن مالك المعافري الفاسي نزيل الأسكندرية (574هـ / 1178م).
سمع الموطأ بفاس من ابن الرمامة.
(طبقات القراء ج 2 ص 218).

-) ابن الحاج العبدري محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسي القيرواني التلمساني المصري درس بفاس (توفي بالقاهرة عام 737هـ / 1336م).
(شجرة النور (ص 218) /
الوافي بالوفيات للصفدي (ج 1 ص 237) / الديباج ج 1 ص 328).
(الدرر الكامنة ج 3 ص 369) وج 4 ص 237 / الجذوة (ص 142) عبد الله كنون / ابن الحاج الفاسي (خع = الاعلام للزركلي (ج 7 ص 264 - 278. 9 وهو مطبوع.
تاريخ بروكلمان ج 2 ص 83.

-) ابن حركالش سالم بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصدفي السرقسطي استوطن مدينة فاس محدث رحل إلى المشرق وتوفي بمصر (الذيل والتكملة س 4 ص 2 / معجم الصدفي ص 306).

-) ابن حزم أبو يحيى يسع بن عيسى الغافقي الجياني توفي بمصر (575هـ / 1180م) له «المغرب في محاسن المغرب» جمعه لصلاح الدين الأيوبي (لسان الميزان ج 6 ص 299).
تكملة ابن الأبار ج 6 ص 299 /
النفح ج 3 ص 140 / ج 1 ص 514).

-) ابن الحطيئة اللخمي أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن هشام الفاسي نزيل مصر عين بقضاء مصر عام (533هـ / 1138م) وتوفي بالقرافة 560هـ / 1163م.
(انباه النحاة ص 39 / حسن المحاضرة ص 192 / الجذوة ص 45 /
شذرات الذهب ج 4 ص 188 /
طبقات القراء ج 1 ص 71 / سلم الوصول ص 89 / النجوم الزاهرة ج 5 ص 370 / وفيات الأعيان ص 152 (المطبعة التجارية) / العبر للذهبي ج 4 ص 169. وفي الشذرات الحطية وفي النجوم الحطيئة وهو خطأ.
وقد علم زوجته وابنته الخط فكان يكتب معهما في الكتاب الواحد فلا يفرق أحد بين خطوطهم.

-) ابن الحفيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن السجلماسي (المعروف بابن الحفيد) أبو القاسم المالكي ولد سنة بضع عشرة ودخل القاهرة ثم حلب ثم بغداد في التجارة ثم القاهرة فحلب قاضيا للمالكية كان فاضلا كثير الاستحضار للعربية واللغة والأصول سكن في غزة لما انفصل من القضاء وفي القدس إلى أن مات عام 789هـ / 1387م (الدرر الكامنة ج 2 ص 451).

-) ابن حمويه تاج الدين السرخسي عبد الله بن عمر رحل إلى المغرب عام 593هـ / 1196م.
ودخل إلى مراكش عام 598هـ / 1201م.
وبقي في المغرب إلى عام 600هـ / 1203م.
وقف على رحلته صاحب النفح ونقل عنها ما يتعلق بالمغرب.
توجد نبذة منه بدار الكتب المصرية عدد 1501 (الغصون اليانعة ص 29) وقد ولي مشيخة الشيوخ بمصر.
توفي 642هـ / 1244م بدمشق.
(مرآة الزمان ج 8 ص 748 /
النفح ج 2 ص 737 / ج 4 ص 96 - 107 / ج 2 ص 100 /
شذرات الذهب ج 5 ص 214 /
الاعلام للمراكشي ج 6 ص 89 (خ).

-) ابن حنين الطليطلي القرطبي الكناني علي بن أحمد بن أبي بكر (نزل مدينة فاس عام 503 وتوفي عام 569هـ / 1174م) وهو تلميذ الغزالي (التكملة ص 670 / صلة الصلة ص 102) / تذكرة الحفاظ ج 4 ص 118 / الجذوة ص 304 / السلوة ج 1 ص 349 / العبر للذهبي ج 4 ص 208 / الذيل والتكملة ق 5 ص 150.
دخل مصر والأسكندرية واخميم وطرابلس وسمع من الغزالي أكثر الموطأ رواية ابن بكير وجال في العراق والحجاز والشام ومصر وعاد إلى فاس عام 503 وهو ابن 28 سنة ولقي بها خلف بن يوسف الابرش واشترى فيها دارا وبنى مسجدا وتزوج اقرأ بمسجده 66 سنة إلى أن توفي عام 569هـ وقد ولد بقرطبة عام 477هـ.
(الذيل والتكملة لابن عبد الملك ق 5 ص 151).

-) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر الحضرمي توفي بالقاهرة (808هـ 1406م) (الجذوة (ص 262) / النفح ج 8 ص 277 (بقلم ابن الخطيب) / شجرة النور (ص 227) /

الضوء اللامع ج 4 ص 145.
شذرات الذهب ج 7 ص 76.
تعريف الخلف ج 2 ص 213.
درة الحجال (ج 2 ص 357).
الاعلام للمراكشي ج 6 ص 95 (خ).
مهرجان ابن خلدون (ماي 1962) دار الكتاب.

Gautier – Les Siècles Obscurs, P.429.
Ives Lacoste – Ibn Khaldoun, Paris Ed. Maspéro 1966.

مصنفاتـــه :

1) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) يوجد الثالث والخامس من نسخة ذات سبعة أسفار حبسها ابن خلدون على خزانة جامعة القرويين في صفر 799 هـ وعليها خط يده خق = ل 40 / 362.

«مذكرة عن نسخة من كتاب العبر» قدمها ابن خلدون إلى مكتبة القرويين في فاس نشر باريز 1963.

Lévi-Provençal
E. Larose
Baron de Slane, Paris – Impr.Impériale, 1862

خم 8481 / 8479.

وتوجد نسخ من المقدمة في خم (1552 / 7781 / 8500).

2) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (خع = 1345د).

ملحق بروكلمان ج 2 ص 342.

طبع بالقاهرة بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي عام (1370هـ / 1951م).

3) شفاء السائل بجملة مسائل : مخطوط بالخزانة الزيدانية / خم 5322.

قصة مخطوط ابن خلدون للقاسي عبد الرحمن، رسالة المغرب ع 10 س 7 في 1 - 1 - 1948. (796).

وقبلها في نفس المجلة لعبد العزيز بنعبد الله. ظهر الاسلام لأحمد أمين ج 2 ص 60.

4) شرح منظومة ابن خلدون في الأصول (خق).

5) لباب المحصل للفخر الرازي.

اختصار ابن خلدون (خط مغربي كتب عام 752 هـ).

مكتبة الاسكوريال 1614 (65 ورقة).

- درر العقود الفريدة (مخطوطة - راجع ابراهيم المريني ج 2 في 18 صفحة راجع نص الترجمة في مجلة المجمع العلمي العربي (بغداد) م 13 (1385 هـ / 1966م) ينقل عن الاحاطة.

- ابن خلف الشريشي السلاوي أحمد بن محمد بن أحمد البكرى التيمى نشأ بمراكش واستوطن الفيوم حيث توفي 641هـ / 1243م (قيل 643هـ).

(الاعلام للمراكشي ج 1 ص 351).

هنالك شريشيون آخرون منهم :

1 - أحمد بن محمد بن أحمد البكري (740هـ) كما في الدرر الكامنة.

2 - أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري المتوفي بسفح قاسيون (685هـ) (النفح ج 2 ص 12).

3 - أحمد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن سجمان البكري (718هـ) كما في الدرر الكامنة.

- ابن خلف الحسن الهواري نزيل الاسكندرية (514هـ / 1120م).

له : «تلخيص العبارات بلطيف الاشارات» في علم القراءات :

(مكتبة معهد الأبحاث الإسلامية بباكستان).

- ابن رشيق القصري المالكي عبد الوهاب بن الفقيه يوسف بن محمد بن خلف بن محمد بن أيوب القصري يعرف بابن رشيق (بضم الراء وفتح الشين وتشديد الياء وكسرها) ولد سنة 587 بقصر عبد الكريم وتوفي 650هـ / 1252م بسفح جبل المقطم أخذ عن بلديه عبد الجليل صاحب «شعب الايمان» وكان متصدرا بالجامع العتيق بمصر واحد العدول بها لقي أحمد بن محمد ابن هابيل العبدري المعروف بالأشقر بمدينة القصر (تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني المتوفى عام 680هـ بغداد 1377هـ - 1957م ص 162 - طبع المجمع العلمي العراقي).

- ابن زكرياء يوسف المغربي نزيل مصر.

منظومة في مسائل متنوعة.

(خع = 2141 = د) (م - 1 - 18).

- ابن السراج أبو صالح الفاسي عبد القادر بن عبد اللطيف الأصغر بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد المكي الحنبلي قاضي الحرمين ولد عام 842 بمكة قرأ بالقاهرة، دخلها عام 858هـ وولي قضاء الحنابلة بمكة، ثم قضاء المدينة، مات عام 898هـ - 1492م / (الضوء اللامع للسخاوى طبعة القاهرة 1354 ج 4 ص 273) والده هو عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد (ص 322) راجع عبد اللطيف بن محمد بن أحمد (ص 333) وعبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن (335).

- ابن سعادة الزاهد عيسى أبو موسى السجلماسي فقيه فاس توفي بمصر عام 355هـ / 965م الصلة لابن بشكوال ص 434 / المدارك لعياض ص 229 / الجذوة ص 280.

- ابن سعدون أبو بكر يحيى بن تمام القرطبي الازدي ضياء الدين تعلم بمصر وبغداد ودمشق توفي بالموصل 567هـ / 1172م. له «القرطبية» في القراءات.

وفيات الاعيان ج 2 ص 226 / بغية الوعاة ص 412 النفح ج 2 ص 319 / المغرب ج 1 ص 135 بروكلمان 1/551 (سماه يحيى بن عمر بن سعدون).

- ابن سعدون محمد بن علي بن بلال القيرواني الأغماتي رحل إلى مصر والحجاز والمغرب والأندلس توفي بأغمات 485هـ / 1092م (486هـ حسب عياض).

الاعلام للمراكشي ج 2 ص 308.

الصلة ص 544.

معالم الايمان ج 3 ص 245.

مصنفاته :

1 - «تأسي أهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان».

2 - كتاب في الفقه المالكي.

3 - «مناقب أبي بكر بن عبد الرحمن وأصحابه (من شيوخه).

غلط صاحب الديباج فجعل ابن سعدون رجلين (ص 248 وص 275).

هنالك ابن سعدون آخر هو أبو عامر العبدري محمد بن سعدون بن مرجا الميورقي نزيل بغداد (524 هـ).

شذرات الذهب / تذكرة الذهبي ج 4 ص 66.

- ابن سليمان محمد بن أحمد يوسف الصنهاجي المراكشي ثم الاسكندراني زين بن النقرى إمام مسجد قداح سمع من ابن رواج ومظفر بن الفوى توفي عام 717هـ / 1317م (شذرات الذهب ج 6 ص 46 / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 248).

- ابن شعيب الدكالي أبو عبد الله :

ارتحل أواخر المائة السابعة إلى المشرق فأخذ عن مشيخة مصر واستقر بتونس كرميله القاضي ابن زيتون أبي القاسم. تاريخ ابن خلدون ج 1 ص 772.

- ابن الصواف أبو القاسم المصرى :

هو أخو أبي الوفاء الوافد على الموحدين والمستقضى من قبلهم برنامج الرعيني. مجلة معهد المخطوطات العربية م 5 ج 1 ص 132 (1378هـ / 1959م).

- ابن الصواف أبو الحجاج بن أبي الوفا ابراهيم بن يحيى الخزرجي المصرى.

سكن اشبيلية وتوفي بمراكش عام 616هـ / 1219م.

الاعلام للمراكشي ج 8 ص 345 (خ).

- ابن طربية يونس بن يوسف بن سليمان القصرى (من قصر كتامة) :

تولى قضاء طرابلس الغرب والتدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641هـ الذيل والتكملة.

تكملة الصلة لابن الابار ج 3 ص 741.

- ابن العربي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربي المعافرى حفيد القاضي الحافظ أبي بكر بن العربي :

توفي بالأسكندرية عام 617هـ / 1220م (النفح ج 3 ص 381).

- ابن عربي الحاتمى محمد بن علي بن محمد ابن العربي قدم بغداد سنة 608 وزار الموصل أيضا كما في (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ج 1 ص 34، المطبعة العثمانية) وأخذ عن محمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسى وتوفى سنة 638هـ / 1240م (المختصر من المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثى - طبع بغداد 1371 ص 102).

نفح الطيب ج 1 ص 567 / الجذوة ص 175.

فوات الوفيات ج 2 ص 301.

الوافى بالوفيات ج 4 ص 173.

شذرات الذهب ج 5 ص 90.

الاعلام للمراكشى ج 3 ص 119.

الاعلام للزركلى ج 7 ص 170.

طبقات القراء ص 208.

نفح الطيب ج ص 361 / عنوان الدراية ص 97. الدر الثمين في مناقب الشيخ محيى الدين لعلى ابن ابراهيم البغدادي / النطق المنبي عن ترجمة الشيخ محيى الدين بن عربى لمحمد بن طولون 855هـ / 1540م.

- ابن طوير الجنة أحمد المصطفى الصحراوى العميرى التشيتى الشنجيطى قدم عام 1245هـ / 1829م إلى مراكش على المولى عبد الرحمن وأركبه إلى الأسكندرية من العرائش.

- ابن الطوير عمر بن محمد بن علي الصنهاجي السوسي المراكشى :

شهر بمصر والحجاز بأبى الخطاب السوسى تفقه بمراكش أخذ عن الفقيه عبد الوهاب البغدادى أصول الفقه وتعليقة محمد بن يحيى في مسائل الخلاف وهو أول من ادخلها إلى المغرب وأخذ بالاسكندرية عن الابيارى، وكان يحفظ البرهان لامام الحرمين وأملاه من أدخلها إلى المغرب وأخذ بالاسكندرية عن الابيارى، وكان يحفظ البرهان لإمام الحرمين وأملاه من صدره بالمهدية، وكان مستبحرا في العلوم توفى عام 622هـ / 1225م (الذيل والتكملة) روى الحديث وأقرأ العربية (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 250).

- ابن الطيب العلمي (ابن الطيب) بن أحمد بن يوسف العلمي المتوفى بمصر عام 35 ـ 1134هـ ـ 1721م ـ 1723م (مؤرخو الشرفاء ص 295).

ابن الطيب العلمي لعبد الله كنون.

مجلة السلام تطوان 1934م.

تاريخ تطوان ج 2 ص 112.

الدر المنتخب لابن الحاج ج 8 ص 28 من مخطوط ابن زيدان.

النشر ج 2 ص 204 / الاعلام للزركلي ج 7 ص 46.

بروكلمان ج 2 ص 684.

مصنفاتـه :

1 ـ قصيدة في غلام يسمى بأبي الحسن على الدكالي (68 بيتا) خع = 158د مطلعها :

أفدي بأمي وأبـــــي

ظبيا غريرا مربـــــي

2 ـ الانيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب خع 2361 د/ خم ، نسخ كثيرة منها 3493 ـ 5419.

1) ابن عربي ابن مسرة ومحيي الدين ـ اسين بالاسيوس مدريد 1899/ وقد أخذ أيضا عن عبد الحق الاشبيلي كما ذكر ذلك في اجازته للملك المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب النفح ج 1 ص 405.

ومن شيوخه الإمام السهيلي كما صرح به في مسامرته وقد وهم صاحب شجرة النور الزكية (ص 156) حيث ذكر في ترجمة السهيلي أنه أخذ عن ابن عربي الحاتمي.

«ابن العربي محيي الدين».

لتلميذه اسماعيل التونسي.

«تحفة التدبير لأهل التبصير».

المكتبة الوطنية بتونس 4604م.

«ابن عربي حياته ومذهبه».

تأليف أسين بلاسيوس.

ترجمه عن الاسبانية عبد الرحمن بدوي مكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة 1965 (277 ص).

- كان الحاتمي يعرف بالمغرب بابن العربي بالألف واللام فاصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي ـ النفح ج 1 ص 410 وقد عرف بابن سراقة حسب عنوان الدراية.

مصنفاتـه :

- رسالة كتبها ابن عربي إلى فخر الدين الرازي في الكشكول ص 317 وعلى هامش أدب الدنيا والدين وموضوعها عدم الاقتصار على الفكر في درك العلوم والدعوة إلى دخول طريق القوم لنيل العلم اللدني والاستراحة من الفكر المضني قال وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما يكمل ذاته وينتقل معه حيث انتقل.

- «انشاء الدوائر الاحاطية على الدقائق على مضاهاة الإنسان للخالق والخلائق» (خم 63/ 2639 ـ 7409).

- «التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الإنسانية».

طبعت في ليدن عام 1919م (خع 1921/ 2412 خع 1970 د (م = 111 ـ 176).

الزيتونة ج 3 عدد 117/ 1588/ المكتبة الوطنية بتونس 4024م.

- الدرة البيضاء خع 1986 د (م = 77 ـ 9) (كشف الظنون ج 1 ص 1738).

هدية العارفين للبغدادي ج 2 ص 115.

- در الدرر (منسوب له) خع 1986 د (م = 30 ـ 40).

(هدية العارفين للبغدادي ج 2 ص 115).

- رسالة التنبيهات/ خع 1986 د (م = 280 ـ 299) (تاريخ بروكلمان ج 1 ص 203).

- رسالة المسائل (212 مسألة) خع 1986 د (م = 129 ـ 230).

(ملحق بروكلمان ج 1 ص 801 طبع في حيدر اباد عام 1367هـ/ 1948م في 36 ص مع الأجوبة على 53 مسألة وقد طبعت ضمن رسائل ابن عربي المطبوعة في بيروت بالاوفسيت في طبعة الهند).

- «الزمردة الخضراء والياقوتة الحمراء وهي النفس الكلية».

خع 1986 د (م = 91 ـ 106).

- جواب عن مسألة الدرة البيضاء وهي العقل الفعال».

خع 1986 د (م = 77 ـ 89).

- السبحة السوداء وهي الهيولي.

خع 1986 د (م = 107 ـ 128).

كشف الظنون ج 2 ص 975.

ملحق بروكلمان ج 1 ص 797.

- الصحف الناموسية والصحف الناووسية.

خع 2224 د (م = 426 ـ 431).

(هدية العارفين للبغدادي ج 2 ص 115).

تاريخ بروكلمان ج 1 ص 447.

- (عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء) أو (نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى) خع 1794 د (72 ورقة/ خع 1991 د/ 201 ـ 284) (كشف الظنون ج 2 ص 1173) (ملحق بروكلمان ج 1 ص 794).

ومن أسمائها «عهود التوحيد وعهود التفريد، حل الطلاسم ولثم المباسم/ معلم قنوس/ لركز سبوحي/ أيات بينات/ صحيفة حقية ولطيفة ذوقية.

- تنسب اليه غلطا «قوانين حكم الاشراق إلى كل الصوفية بجميع الافاق».

خع 1970 د (م = 176 ـ 229) نسبها سركيس المعجم ص 149 لمحمدون أحمد التونسي الوفائي الشاذلي (882هـ/ وكذلك بروكلمان في الذيل ج 2 ص 152 ـ طبعة بدمشق 1309هـ.

- كتاب أيام الشان.

خع 1991 د (دم = 321 ـ 340).

خع 1219 د/ خع 2421 (م = 258 ـ 284).

طبعت بحيدر اباد 1379هـ/ 1959م ثم في بيروت ضمن رسائل ابن العربي مصورة

- كتاب البـاء :

خع 1991 د (م = 285 ـ 301).

2412 د (م = 204 ـ 257).

(كشف الظنون ج 2 ص 1401).

ملحق بروكلمان ج 1 ص 757).

- كتاب الجلالـة :

خع 1986 د (م = 53 ـ 63).

مكتبات برلين وباريس والمتحف البريطاني والقاهرة والفاتكان/ المكتبة الوطنية بتونس 3578م.

- كتاب ما في الجلالة من الجلالة (خم 7567).

- كتاب العجـب :

خع 1961 د (م = 29 ـ 48) طبع بمصر عام 1325 ضمن مجموع الرسائل لابن عربي وهي الرسالة الثالثة.

- كتاب الشواهد (أي شواهد الحق في القلب من علوم الهية الخ).

خم 7567/ خع 1986 د (م = 231 ـ 242).

الكشف ج 2 ص 1431/ خم 7567.

كتاب الفناء في المشاهدة خم 7567/ خع 1986 د (م = 71 ـ 76) طبع في حيدر اباد 1361 وضمن رسائل ابن العربي.

- كشف الستر لأهل السر ، ورد في كشف الظنون أنه لصدر الدين القونوي ج 2 ص 130 لاسيما وأن المؤلف نسبه في ورقة 23 أبياتا لابن عربي، كما يتحدث عنه ص 27.

خع 1986 د (م = 41 ـ 51).

- مختصر كتاب الأسرار الخفية والتحقيقات الصوفية، الكتاب لابن عربي (صاحب الاختصار غير مذكور).

خع 1986 د (م = 245 ـ 259).

- مختصر كتاب الرحيق المختوم (صاحب الاختصار غير مذكور).

خع 1986 د (م = 243 ـ 244).

- مفاتيح الغيـب :

خع 1991 د (م = 342 ـ 351) خع 1986 د.

(كشف الظنون ج 2 ص 477).

معجم سركيس ص 180).

طبعت بمصر بدون تاريخ.

- مقادير الأيـام :

خع 1986 د (م = 68 ـ 70).

مقتبس من الفتوحات ومن أيام الشأن.

- مواقع النجوم ومطالع أهلة الاسرار والعلوم خم 1364/ 3911/ 4598/ خع 1970 (دم = 1 ـ 91) معجم سركيس ص 180/ طبعت بمصر عام 1325 هـ.

- نبذة لطيفة يستعان بها في طريق الله.

خع 1991 د (م = 302 ـ 313).

- نسخة الحق ، رسالة حول الانسان وسر وجوده خع 1978 د.

(كشف الظنون ج 2 ص 1951).

(ملحق بروكلمان ج 1 ص 799).

(خم = 2412 = د).

ـ) «فصوص الحكم» ، والتعليقات عليه لأبي العلاء عفيفي.
دار الكتاب العربي ـ بيروت 1966 / 1956.
الشرح الكبير على نصوص الحكم لابن صاعد مؤيد الدين بن محمود الجندي الحاتمي خم = 579.
شرح نصوص الحكم لأحمد بن أحمد الزبيدي (خم = 2396 = د) 330 ص.

ـ) كتاب في الرد على أباطيل ابن العربي في كتابه «الفصوص» تأليف مسعود بن عمر المعروف.
بسعد الدين التفتازاني 793 هـ.
دار الكتب المصرية 251 علم الكلام.
عبد الله عيدي بن محمد الرومي البوسنوي المعروف بشارح النصوص. شرح الفصوص بالتركية (ط) ثم ترجمه إلى العربية وسماه ، «تجليات عرائس النصوص في منصات حكم الفصوص (خ) 1054هـ / 1644م.
(الاعلام للزركلي ج 4 ص 236).

ـ) «ايجاز البيان في الترجمة عن القرءان» (دار الكتب المصرية «324 تفسير».

ـ) «الحكم الالهية».
المكتبة الوطنية بتونس 629م.

ـ) التجليات الالهية خم 4594.

ـ) الاسرا إلى المقام الاسرا.
خم 4597/ برلين 1901.
قوبلت عليه نسخة في المكتبة الوطنية بتونس (39م).

ـ) شجون المسجون وفنون المفتون (39م).

ـ) تنزيل الاملاك للاملاك في حركات الافلاك (المكتبة الوطنية بتونس (3982م) برلين 2951 قوبلت عليها نسخة بتونس.

ـ) (حلية الابدال وما يظهر عنها من الأحوال). المكتبة الوطنية بتونس (3982م)/ برلين 2951.

ـ) الاوراد السبعة ،
برلين (3773) قوبلت عليها نسخة المكتبة الوطنية بتونس 1049م وتوجد ثلاث نسخ أخرى في اكسفورد وديوان الهند ومكتبة ولي الدين.

ـ) الصلاة الحاتمية ؛
تقييد عليها لابن عجيبة أحمد بن محمد الانجري التطواني. خم 2134د (176 ـ 186 / مكتبة تطوان 127/ شرح النابلسي الدمشقي عبد الغني بن اسماعيل خم (2150 د) (م = 501 ـ 506).

ـ) كتاب الياء وهو كتاب الهو ؛
المكتبة الوطنية بتونس (3587م).
وكذلك نسخ بباريز وأصاف والقاهرة وبرلين.

ـ) «ديوان قراءة المسجد في الحجر المفرد» ضمن مجموعة في مكتبة معهد الأبحاث الإسلامية بباكستان.

ـ) المبادىء والغايات ـ مكتبة تطوان 213.

ـ) «ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الأشواق. مع «الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط» لنفس المؤلف تحقيق محمد عبد الرحمن الكردي.
القاهرة 1968 (ص 278).

ـ) سر الفتوحات القدسية ،
لمحمد بن أحمد التفراسي الشاذلي المعروف بالسيد المراكشي المتوفى آخر القرن الثالث عشر.
شرح فيه قول الشيخ محمد بن العربي الحاتمي «من عرف الاستعداد عرف الشداده (السعادة الابدية جزء 1 ص 16).

ـ) الفتوحات المكية خم (أربع نسخ من 5165 إلى 8350) خق 1504 الفتوحات المكية باختصار الشعراني المسمى «لواقح الأنوار القدسية».
خم 2119 د (381 ص) : النصف الأول منه مبتور الأول.

ـ) كتاب العقلة خم = 7567.

ـ) رسالة التنبيهات ،
(خم 1986 = د) م = 280 ـ 299.

ـ) تفسير بعض الألفاظ المصطلح عليها عند الصوفية ،
خم = 1508 د (معجم سركيس ص 175).
مكتبة كلية ابن يوسف بمراكش.

ـ) حزب النجاة ويسمى بالحفيظة ،
(خم = 1749 = د) م = 115 ـ 125.

ـ) «الكوكب الدرى في مناقب ذى النون المصرى» أحمد الثالث 1378 (195 ق).

ـ) محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار / خم = 1757.

ـ) نبذة لطيفة يستعان بها في طريق الله ،
(خم = 1991 = د) م 301 ـ 313.

ـ) مقادير الايام ،
(خم = 1986 = د) م = 68 ـ 76.

ـ) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط / خم = 4380.

ـ) اللوح المحفوظ والدر الملفوظ وسر الاسرار ملتقط من بحر الأنوار وبواطن الأقطار خم 2055.

ـ) كيفية السلوك إلى رب العزة / خم = 3909.

ـ) مفاتيح الخفر الجامع والنور اللامع.
خم = 5371.

ـ) رسائل الحاتمي ، مكتبة الكتاني (خم).
رسائل ابن عربي في بيروت ـ دار احياء التراث العربي 1968 (رسائل الفناء والجلال والجمال والاحدية.

ـ) رسالة الرسائل ،
خم = 1986 =د (م = 129 ـ 230).

ـ) رسالة الأنوار ،
مكتبة الكتاني (خم).
رسالة في وحدة الوجود (خم).
مكتبة الكتاني (خم).

ـ) منظومة في علم الحروف منسوبة له عليها شرح لبعض المشارقة.
خم = 2053 = د (م = 248 ـ 256).

ـ) مرأة المعاني في ادراك العالم الإنساني. ويسمى أيضا طب الإنسان نفسه خم = 2422 = (م = 305 ـ 343).

ـ) الزائرجة ،
مكتبة كابل (افغانستان) ك 1264 هـ

ـ) كشف الرأي عن وجه البيان في فهم السلف في علم الزراجين العددية. (عليه شرح لمؤلف غير مذكور).
خم 2151 = د (م = 72 ـ 82).

ـ) كتاب علوم الوصية والوصية فيما لابد للمريد منه خم = 7567.

ـ) كشف الريان عن وجه البيان خم = 7197.

ـ) الأسفار عن نتائج الأسفار خم = 1007 / 4596.

ـ) كيمياء السعادة وبلوغ الارادة خم 7567.

ـ) مشاهدة الاسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية خم = 5997.

ـ) «الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة».
دار الكتب المصرية (37 م طب).

ـ) رسالة في بيان الشريعة والطريقة والمعرفة لخزانة سعيد الديوه جي (مدير متحف الموصل).

ـ) كتاب الغربة خم = 7567.

ـ) الدور الأعلى ،
خم 2257 (م = 525 ـ 532)/ خم = 1749 = د (م = 115 ـ 125)/ خم 1053.
ومن شروحه الدر الأغلى لمحمد التافلالتي الخلوتي/ خم = 2419 = د) م = 212 ـ 268 والسر الأجلى في شرح الدور الأعلى / لأحمد المغربي عقيل الصافي المالكي الشاذلي خم = 3075.

ـ) ابن عربي التافلاتي محمد بن محمد الخلوتي.
«الدرر الاغلا بشرح الدور الأعلى».
خم = 6635 / 3073.

ـ) كتاب العظمة (الاسكوريال 1607).

ـ) تذكرة الخواص وعقيدة أهل الإختصاص (باريز 1338).

ـ) مشكاة الأنوار.
الأحاديث القدسية

ـ) نسخة الحق خم = 1978 = د (29 ص).

ـ) شرح كتاب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» لابن قسي أحمد المقتول عام 546هـ / 1151م.

ـ) تلقيح الاذهان ومفتاح معرفة الإنسان.
المكتبة الوطنية بتونس (414م).

ـ) ما نسب إليه في الفتوحات من القول بإيمان فرعون."على تقييد لزين العابدين بن أبي بكر بناني خم = 1722 = د (م = 113 ـ 117).

وقد صنفت المؤلفات الكثيرة حول ابن عربي منها.

- «قرة الشهود ومرآة عرائس معاني الغيب والوجوه» (شرح على تائية ابن عربي لعبد الله الرومي لبوسنوى/ المكتبة الوطنية بتونس (4330م).
- الجانب الغربي في حل مشكلات الشيخ محيي الدين بن العربي، تأليف أبي الفتح محمد بن مظفر الدين محمد بن حميد الدين عبد الله المعروف بالشيخ المكي المتوفى في حدود سنة 926هـ ألفه بالفارسية بأمر السلطان سليم الأول وأتم تأليفه عام 924هـ (نسخ بدار الكتب المصرية، راجع فهرس المخطوطات الفارسية ق 1 ص 109).
- «الحجة والبرهان لمن وفق من أهل العقول الراجحة والأذهان في الحث على طلب العلم وبيان أفضليته على غيره والتحذير من كتب ابن عربي الحاتمي ونحو ذلك» لمحمد الطيب بن محمد المدني الناصري السلوي 1339هـ/ 1737م.

  خع 1724 د (م = 42 ـ 61).

  الخروبي محمد بن علي الطرابلسي.

  شرح أبيات في التصوف لابن العربي الحاتمي خع = 6053.
- الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي تأليف محمود قاسم.

  جامعة الدول العربية ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة 1969 (119 ص).
- موقف ابن عربي من العقل والمعرفة الصوفية محمود قاسم ـ محاضرة ألقيت في الخرطوم 1969 (35 ص).
- «شرح التجليات لشمس الدين أبي طاهر اسماعيل بن سودكين بن عبد الله النوري 646هـ/ 1248م.

  والتجليات الالهية، هي لابن عربي، مكتبة دبلن ـ جيستر بيتي 2154 (م = 1 ـ 42) ق 8/ 14.
- رسالة في الرد على منكري الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي، لعلي بن ميمون الغماري.

  أشار إليها بروكلمان (ج 2 ص 124).
- ابن عطاء الله أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأسكندري يقال أن أصله من المغرب سنة 709هـ/ 1309م.

  الحكم العطائية شرحها عدة من المغاربة :

  1 ـ محمد بن ابراهيم بن عبد الله ابن عباد النفزي المتوفي سنة 792هـ/ 1389م عدة شروحها منها : غيث المواهب العلمية بشرح الحكم العطائية.

  ط على الحروف بمصر، وعلى الحجر سنة 1299هـ ـ 1881م وسنة 1303هـ ـ 1885م في سفر وسط.

  2 ـ محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران خع 2113 د (379 ص).

  3 ـ الجمل الموهبية لمحمد بن علي الخروبي الطرابلسي.

  خع = 2390 د (241 ص).
- ابن العفيف الشاب الظريف شمس الدين محمد ابن سليمان بن علي التلمساني توفي بالقاهرة 688هـ/ 1289م.

  (فوات الوفيات ج 2 ص 211).

  تعريف الخلف ج 2 ص 430.

  الوافي بالوفيات ج 3 ص 129.

  كشف الظنون 1786.

  تاريخ بروكلمان ج 1 ص 300.

  الملحق ج 1 ص 458.
- ابن عليم عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن طلحة السبتي الشاطبي كتب الحديث بمصر ودمشق وحدث بتونس 655هـ/ 1257م.

  (لسان الميزان ج 4 ص 4/ التكملة ج 3 ص 602/ الاعلام للمراكشي ج 6 ص 71).
- ابن عمران محمد الكركي :

  محمد بن عمران الشريف الكركي ولد بفاس وهو شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية والشامية في وقته يقال أنه أتقن ثلاثين فنا من العلوم بل قال الإمام شهاب الدين القرافي «أنه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس في علومهم صحب عز الدين عبد السلام وأخذ عنه القرافي (الديباج المذهب لابن فرحون 286).
- ابن غالب الهمداني عبد الله بن تمام التكوري مفتي أهل سبتة وزاهدهم، وعالمهم، دخل الأندلس والقيروان ومصر كان فصيحا مفوها قليل النظير. (العبر في خبر من غبر للذهبي ج 3 ص 181 طبعة الكويت 1381هـ/ 1961م) معجم البلدان ج 4 ص 365/ الديباج ص 143.
- ابن فارس عبد الله بن أحمد الجمال الطاغي البرنوسي التازي ممن قدم مصر وتحول إلى مكة وتولى القضاء عند بني جبر بالحجاز 15 سنة ومات عام 894هـ/ 1488م وقد مات أبوه فارس بمصر عام 869هـ.

  الضوء اللامع للسخاوي ج 5 ص 41 ط القاهرة 1354.

  وقد أشار بروكلمان (ج 2 ص 461) إلى عبد الله ابن فارس التازي المتوفى عام 1009هـ/ 1600م صاحب «المناظرة والمعارضة في الرد على الرافضة» (باريز 1461).
- ابن فتح الغماري الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام (ابن فتح الغماري) المغربي نزيل القاهرة (712هـ/ 1312م).

  نوه به ابن حجر وأخذ عنه السبكي والذهبي وأبو حيان، وهو آخر المسندين من رجال الحديث الذين بلغوا درجة الرسوخ والتمكين (الدرر الكامنة ج 2 ص 102).
- ابن القدور المغربي محمد (فتحا) بن محمد المراكشي اليزمي الاسكندري يكنى بالأبيض توفي قبل 1270هـ/ 1853م. (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 294).

  ذكره أحمد بن حسون في رحلته عام 1270هـ/ 1853م.

  لـــه :

  1 ـ شرح على مديح شيخه أحمد الدردير في المديح النبوي سماه : مورد الظمآن لشرح مولد سيد ولد عدنان» (عادة أهل الاسكندرية أنهم يقرأون ذلك التأليف ليلة المولد)».

  2 ـ شرح على مقدمة ابن أجروم.

  3 ـ رسالة في مناسبة ابتداء البخاري بقوله كيف كان بدء الوحي.

  4 ـ تأليف في اصطلاح الحديث سماه «القول المستملح في علم المصطلح».

  5 ـ حاشية على النخبة العليا.

  6 ـ تكملة لتأليف الأخضري في الفقه.

  7 ـ حاشية على مناسك الشيخ خليل سماها «فتح الجليل».

ابن القطرال القرطبي المراكشي محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد (القطرال).

710هـ أو 709هـ (حسب ابن الخطيب).

دخل مصر والشام والحجاز ومات بمكة.

(الدرر الكامنة ج 4 ص 202).

الاعلام للمراكشي ج 3 ص 246.

هو حاكى انكار يهودي حديث «نعم الادام الخل» وقطع السلطان عنه الادام سنة حتى أصيب بالجذام.

- ابن قلاوون الملك الناصر محمد الصالحي الايوبي ملك مصر علاقته مع يوسف بن يعقوب المريني.

  الاستقصا ج 2 ص 40.

  ومع أبي الحسن (ج 2 ص 61).
- ابن كلس يعقوب بن يوسف اليهودي.

  وزير العزيز صاحب مصر دخل المغرب ونفق على المعز توفي 380هـ/ 990م كان معلومه في السنة 100.000 دينار وخلف أربعة آلاف مملوك الشذرات ج 3 ص 97.
- ابن ماسويه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى بن خليل بن ماسويه بن حمدين الأنصاري المعروف بابن الحداد من بلنسية رحل إلى المشرق عام 452هـ زار بلاد فارس وواسط وبغداد والموصل وخراسان وعاد إلى مصر عام 467هـ/ 1074م إلى أن تغلب الروم على طليطلة فخرج إلى دانية وطلب الجهاد مع الأمير يوسف فبلغ سبتة ثم طنجة (تكملة الصلة لابن الآبار، ط الجزائر 1920 ص 28).
- ابن المجدي أحمد بن رجب بن طنبغا القاهري الشافعي (850هـ/ 1402م)، شرح تلخيص ابن البنا المراكشي في الحساب.

  الاعلام للمراكشي ج 1 ص 383.

  (راجع البدر الطالع والضوء اللامع).
- ابن مرزوق شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق الخطيب التلمساني توفي بالقاهرة (781هـ/ 1379م).

  الإحاطة ج 2 ص 223/ الاعلام للمراكشي ج 4 ص 26/ تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 314/ التكملة ص 373/ الذيل والتكملة ص 143/ بغية الرواح (الجزائر 1914) ج 1 ص 5. نفح الطيب (بولاق 1309) ج 3 ص 213/ ج 2 ص 710/ ج 7 ص 309/ الديباج (فاس 1316 هـ) ص 270. الجذوة ص 141/ النيل ص 272/ البستان ص 184/ بغية الوعاة ص 18/ روضة النسرين لابن الأحمر ص 197 (طبع مارسي ـ عنابة)، تعريف الخلف للحفناوي ص 136/ فهرس الفهارس ج 1 ص 394.

  بروكلمان ج 2 ص 336.

  مجلة هسبريس عدد 5 عام 1925.

ولاه السلطان الأشرف الوظائف العلمية بالقاهرة حيث دفن بين ابن الأشهب وابن القاسم وكان يقول «ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا» من باب الأسكندرية إلى البرين إلى الأندلس» النيل (ص 275) وقد توجه مجتهد المغرب عبد الله الورياجلي القصري ليأخذ العلم عن ابن مرزوق فقال له ابن مرزوق «ليس أحد أعلم منك فرجع» (دوحة الناشر لابن عسكر ص 26) وقد ألف ابن مرزوق لأمير مصر كتابا سماه «أشرف الطرف للملك الأشرف» أكد فيه أن ممالك مصر أفضل المعمورة.

مصنفاتـه :

- «المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن» (أي أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني).

الاسكوريال 1666.

عثر على نسخة في تامكروت توجد فيها الورقة الأولى التي تنقص نسخة الاسكوريال خق = ق 111.

- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد.
- المفاتيح المرزوقية لحل اقفال واستخراج خبايا الخزرجية.

وهي الرامزة الشافية في علم العروض والقافية لأبي الجيش عبد الله بن عثمان (خع = 1349 د/ خع 2410د.

تاريخ بروكلمان ص 239.

خم 2058 ـ 5386 ـ 6534.

- جنى الجنتين في فضل الليلتين (في بلاغات الموطأ).
- فهرست اسمه «عجالة المستوجز والمستجاز في ذكر من سمع من المشايخ ومن من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز».

ذكر فيها نحوا من ألفي ترجمة (نقل عنها المقري في النفح بواسطة احاطة ابن الخطيب ج 3 ص 304).

- تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام حبسه المنصور السعدي عام 1004هـ/ 1595م على خزانة كلية ابن يوسف بمراكش (خق ق 38).

خمس مجلدات جمع فيها بين الفاكهاني وابن دقيق العيد مع اضافة فوائد نفيسة

- شرح الشفا للقاضي عياض (لم يكمل).
- شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي.
- شرح فرعي ابن الحاجب سماه «ازالة الحاجب لفروع ابن الحاجب».
- ابن المعلم يعقوب بن عبد الرحمن بن اطوال اليشفري تولى قضاء الجماعة بفاس وتازة حج وأقام بدمشق ثم القاهرة والاسكندرية.

توفي في طريق العودة (877هـ/ 1472م) / الضوء اللامع ج 10 ص 285 (طبعة القاهرة 1355هـ).

- ابن مغائط القرطبي محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري المالكي (يعرف بالأندلس بابن مغائط) نشأ بفاس جال في الاسكندرية ومصر وجلس بعد موت الشاطبي في مكانه للاقراء ومات بالمدينة عام 631هـ/ 1233م.

وكناه صاحب الوافي بالوفيات بابن مغايظ وذكر أنه مات بمصر وانتقل به أبوه إلى فاس حيث نشأ.

بغية الوعاة ص 86/ طبقات المفسرين للسيوطي ص 39/ الوافي بالوفيات ج 4 ص 261.

- ابن مفتاح أبو محمد الفقيه القرشي الفاسي تلميذ العالم المفتي رشيد الدين عبد الكريم بن عطاء الاسكندراني المالكي.

(رحلة ابن رشيد ج 6 ص 30).

- ابن منقذ أسامة.

ابن منقذ أسامة ، بطل الحروب الصليبية لجمال الدين الألوسي، مطبعة أسعد (بغداد) 1967 (380 ص).

ابن منقذ أسامة ، رسول صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور الموحدي البيان لابن عذاري ج 4 ص 144/ النفح ج 1 ص 419/ ابن خلدون ج 6 ص 246.

- ابن المواق أحمد بن محمد التجيبي استظهر بمصر الموطأ فضرب شيوخ المالكية الطبول على رأسه اشادة وتنويها.

توفي بفاس عام 725هـ/ 1324م.

السلوة ج 3 ص 244.

- ابن موسى محمد بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله الجمال أبو البركات وأبو المحاسن المراكشي الأصل المكي الشافعي سبط العفيف اليافعي يعرف بابن موسى ولد عام 789هـ بمكة حيث افتى ودرس أخذ الحديث عن الوالي العراقي وتقدم في الأدب لم يكن له بالحجاز نظير في حفظ المتون والحديث ودخل دمشق والقاهرة والاسكندرية وبعلبك وحلب والقدس وحمص وحماة واليمن حيث أخذ عن المجد اللغوي وأجاز له ابن خلدون وابن عرفة والعراقي والهيثمي وابن فرحون ودرس ببعض مدارس زبيد باليمن حيث ظهر امتيازه في الحديث ومال إليه الناصر صاحب اليمن مات عام 823هـ/ 1420م وقد ترجمه التقي بن فهد في معجمه وصاحب ذيل طبقات الحفاظ والمقريزي في عقوده (الضوء اللامع ج 1 ص 9 ج 10 ص 57/ القاهرة 1355/ الاعلام للمراكشي ج 4 ص 50/ الاعلام للزركلي ج 7 ص 341/ شذرات الذهب ج 7 ص 161.

أخوه هو محمد بن يعقوب الجمال الجاناتي سبط العفيف ولد بمكة سافر إلى اليمن عام 823هـ (الضوء ص 87).

مصنفاته :

1 ـ مختصر في علوم الحديث (كابن الصلاح).
2 ـ فهرس في شيوخه في مجلد أفاد فيه.
3 ـ كتاب في الموضوعات على نمط ابن الجوزي.
4 ـ موافقات لأصحاب الكتب الستة (دالة على سعة مروياته).

- ابن ميمون أبو عمران موسى القرطبي بن يوسف بن اسحاق طبيب فيلسوف يهودي توفي بالقاهرة 601هـ/ 1204م.

تظاهر بالإسلام وحفظ القرآن وتفقه بالمالكية ودخل مصر وعاد إلى اليهودية وأقام 37 عاما طبقات الأطباء ج 2 ص 117 معجم المطبوعات ص 330.

ابن العبري ص 417 «وفاته 605هـ» أخبار الحكماء ص 309.

لاسرائيل ولفنون كتاب «موسى ميمون» في سيرته وفلسفته (مطبوع) بروكلمان ج 1 ص 644 (الملحق ج 1 ص 893).

مصنفاته :

1 ـ دلالة الحائرين (ثلاثة أجزاء بالعربية والحروف العبرية نشر قسم منه بالحروف العربية بعنوان «المقدمات الخمس والعشرون».
2 ـ الفصول «بالعربية في الطب» يعرف بفصول القرطبي أو فصول موسى.
(ترجم إلى اللاتينية وطبع بها).
3 ـ شرح أسماء العقار (طبعة ما يرهوف بالقاهرة 1940.
4 ـ تهذيب الاستكمال لابن هود (الرياضة).
5 ـ المقالة في تدبير الصحة الافضلية (كتبها للملك الأفضل صاحب دمشق).
6 ـ تلخيص كتاب حيلة البرء.
7 ـ رسالة في البواسير.
8 ـ مقالة في بيان الأعراض وأخرى في الجماع.
9 ـ الرسالة الفاضلية في تدبير المنهوش ألفها للقاضي الفاضل.
(وهي المسماة السموم والتحرز من الأدوية القتالة).

- ابن ميمون فارس سفير أبي الحسن المريني إلى الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر والشام والحجاز.

(راجع أبو الحسن).

- ابن النابلسي محمد بن أحمد بن سهل بن نصر الرملي كان يرى قتال المغاربة ويحضهم وإنه واجب فحبس في دمشق ونقل إلى مصر حيث اتهم بأنه قال ، «لو أن معي عشرة أسهم، لرميت تسعة في المغاربة وواحدا في الروم» فاعترف وسلخ وصلب (معجم البلدان ج 8 ص 233).
- ابن ناصر الأهناسي أبو الفتوح عبد العزيز سمع منه عبد المعطى بن الابياري الاسكندري (693هـ/ 1293م) (درة الحجال).
- ابن ناصر الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد ابن حسين الدرعي شقيق سيدي محمد بناصر له فهرسة في خمسة كراريس توجد بالخزانة الفاسية أخذ عن الشيخ سلطان المصري والشيخ الزعتري وهما من الأزهر الشريف (1091هـ/ 1680م).

«الروض الزاهر في التعريف بالشيخ بن حسين وأتباعه الأكابر» للشيخ المكي الناصري الوثائق المغربية ج 24 ص 328.

الإعلام للمراكشي ج 7 ص 86 (خ).

- ابن النعمان شمس الدين محمد بن موسى أبو عبد الله المراكشي الفاسي المزالي نزيل مصر مؤلف «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام».

(683هـ/ 1284م).

مات قبل وصول الرحالة ابن رشيد إلى مصر (رحلة ابن رشيد ج 5 ص 80). وممن يعرف بابن النعمان علاء الدين الخوارزمي (746هـ) وعثمان بن عبد الله المترجم ص 441 ج 2 (الدرر الكامنة).

ومن يعرف بابن النعمان تاج الدين قاضي بغداد (الدرر ج 2 ص 350).

تنوير الحلك للسيوطي ص 31.

كشف الظنون ج 2 ص 447.

الدرر الكامنة في ترجمة شعيب بن موسى بن عبد الرحمن (ج 3 ص 228).

الطالع السعيد للكمال الادفوي ص 364 (عدد 49).

سفينة النجاة ج 1 ص 186.

الاعلام للمراكشي ج 7 ص 289.

- ابن النقاش عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم أبو هريرة زين الدين الدكالي (من دكالة المغرب) المصري الشافعي ولد عام 747هـ بالقاهرة (حسب ابن حجر) واشتغل بالعلم ودرس كان يتكسب بالزراعة، امتحن مرارا توفي عام 817هـ/ 1414م (سنة احتلال سبتة)/ شذرات الذهب ج 7 ص 136.

- ابن النقاش شمس الدين أبو امامة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى (أو يوسف ؟) بن عبد الرحيم المغربي الدكالي المصري (763هـ/ 1362م).

كان يدرس التفسير في الجامع الأزهر نزل عند السبكي بدمشق قال عنه ابن حجر «أنه والد صاحبنا زين الدين أبي هريرة ابن النقاش» (الدرر الكامنة ج 4 ص 190).

الدرر الكامنة ج 4 ص 71.

- ابن يقظان علي السبتي :

شاعر أديب متطبب أصله من سبتة ورد إلى مصر عام 544 ومنها إلى اليمن ثم العراق (العماد الاصفهاني صاحب جريدة القصر جريدة العصر ـ منهم شعراء المغرب ط تونس 1966 ص 344 حيث أورد له نتفا من الشعر).

أخبار الحكماء للقفطي ص 160

بغية الوعاة ص 78.

شذرات الذهب ج 4 ص 198 وج 5 ص 431.

ملحق بروكلمان ج 2 ص 96.

لــه :

1 ـ أحكام الأحكام الصادرة من بين شفتي سيد الانام (برلين 1343 ـ 452).

2 ـ المذمة في استعمال أهل الذمة دار الكتب المصرية 4315 بروكلمان ج 2 ص 96.

3 ـ شرح العمدة (8 مجلدات).

4 ـ كتاب الفروق.

5 ـ تفسير مطول سماه «السابق واللاحق» التزم فيه أن لا ينقل من سابقيه من المفسرين.

6 ـ تخريج أحاديث الرافعي.

- أبو بكر بن محيو أبو يحيى السايح الصنهاجي أقام بمصر أحد عشر عاما وتوفي بأغمات وريكة (605هـ/ 1208م).

- أبو بكر بن مسعود المراكشي شيخ المالكية بدمشق ومفتيها بعد القاضي محمد بن المغربن (1032هـ/ 1622م).

- أبو بكر المتوكل الحفصي بن يحيى بن ابراهيم أمير تونس (747هـ/ 1346م).

الإعلام للزركلي ج 2 ص 47.

الخلاصة النقية ص 70.

- أبو بكر بن يوسف السكتاني المراكشي رحل إلى المشرق ثلاث مرات وجاور بمصر والحجاز وزار المقدس.

توفي بمراكش عام 1063هـ/ 1652م (أو في 1062 حسب الصفوة).

يعرف بمراكش بالمغارة (الصفوة) أخذ عن ابراهيم اللقاني وأبي فجلة الزرقاني تسميه العامة بسيدي أبي المال (الصفوة).

الاعلام للمراكشي ج 6 ص 479 (خ).

- أبو بكر الزبيدى مرتضى صاحب تاج العروس (1206هـ/ 1792م).

تاريخ بروكلمان ج 2 ص 183.

كانت له مكاتبة مع السلطان سيدى محمد بن عبد الله وهو تلميذ محمد ابن الطيب الشرقي صاحب الحاشية على القاموس في أربعة مجلدات ومنها اقتبس الشيخ مرتضى في كتابه «تاج العروس بشرح القاموس».

- أبو بكر محمد بن عبد الكافي الدمشقي الحنبلي، دخل مراكش عام 652هـ.

توفي في بلبيس بمصر عام 657هـ/ 1254م.

الاعلام للمراكشي ج 3 ص 148.

(عن الذيل والتكملة).

- أبو بكر ابن الأحمر محمد بن معاوية بن مروان المحدث الأندلسي رحل إلى العراق ومصر توفي حوالي 363هـ/ 975م.

هو أول من أدخل سنن النسائي إلى الأندلس.

جذوة المقتبس ص 82.

بغية الملتمس ص 116.

- أبو بكر الطرطوشي محمد بن الوليد بن محمد ابن خلف ابن أبي رندقة توفي بالاسكندرية (520هـ/ 1126م).

تأليف في ترجمته لجمال الدين الشيال عنوانه : «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر» ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر 1968 (139 ص).

الوفيات ج 1 ص 479/ الديباج ص 276/ النفح ج 2 ص 283 وج 1 ص 368/ بغية الملتمس ص 125 (وفاته 525هـ) حسن المحاضرة ج 1 ص 256 (وفاته كذلك) تاريخ بروكلمان ج 1 ص 600.

(الملحق ج 1 ص 829).

مصنفاته :

1 ـ التعليقة في (الخلافيات : 5 أجزاء) عارض به احياء الغزالي.

2 ـ بر الوالدين.

3 ـ الفتن.

4 ـ مختصر تفسير الثعلبي.

5 ـ سراج الملوك خم 8766/ 9677/ 9680 (علاوة على 16 نسخة أخرى).

6 ـ مجالس (مكتبة كلية ابن يوسف بمراكش وخم).

7 ـ غريب المعالي (مكتبة كلية ابن يوسف بمراكش).

8 ـ «كتاب الحوادث والبدع» تحقيق محمد الطالبي ـ طبع كتابة الدولة للتربية القومية ـ تونس 1959.

(راجع ما يخص الحلوى والمجبنات والاسفنج بالأندلس).

E. Lévi-Provençal – Histoire de l'Espagne Musulmane III, 419.

- أبو الحسن علي بن عمر المراكشي المالكي 627هـ/ 1230م.

الاعلام للمراكشي ج 7 ص 35 (خ).

الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص 6.

تاريخ بروكلمان ج 1 ص 473.

محمد الفاسي رسالة المغرب عدد 40 (1952).

لــه : كتاب جامع المبادىء والغايات في علم الميقات في مجلدين (مع رسوم هندسية وجداول).

مكتبة سليم اغا 866 (279 ورقة) مكتبة ليدن 60 توجد نسخة في خع وهي غير تامة. ويوجد الجزء الأول في مكتبة أحمد الثالث 3343 (190 ورقة).

نسخة غير كاملة في دار الكتب المصرية 1208 ميقات (140 ورقة).

باب في كيفية العمل بالكرة في جامع المبادىء والغايات/ دار الكتب المصرية 124 ميقات (21 ورقة).

Traité des instruments astronomiques des Arabes, trad. par J.S. Sédillot et publié par L.A. Sédillot – paris 1835.

طبع نصفه المترجم إلى الفرنسية في مجلدين وقد تحدث عنه كودار (تاريخه ص 455) فوصفه بأنه أحد أمجاد المغرب في بداية القرن الثالث عشر الميلادي حيث قاس من المحيط الأطلنطيقي إلى مصر ارتفاع القطب لإحدى وأربعين مدينة واقعة ضمن تسعمائة مرحلة قم الساحل ونحن مدينون له بتقدم رائع في فن تخطيط المزاول الفلكية.

- أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي الأندلسي المري (أو المرسي) (549هـ/ 1155م).

درس ببلده المرية في العهد المرابطي ومهر في الطب والهندسة والأدب شاعر هجاء خليع عارف بالموسيقى وضرب العود وحج وجال في دمشق ومصر والعراق حيث كان يؤدب الصبيان واتصل بالسلطان محمد بن ملك شاه عام 521هـ/ 1127م وكان طبيبه الخاص وأنشأ له مارستانا متنقلا يحمل على ألفي جمل ثم عاد إلى دمشق وكان يجلس في دكان للعلاج.

لــه :

1 ـ ديوان نهج الرضاعة لأولي الخلاعة.

2 ـ معرة البيت (برلين 8157).

النفح ج 1 ص 385 وج 2 ص 17 ـ طبعة مصر/ طبقات الاطباء ج 2 ص 153. طبعة مصر ج 4 ص 256/ ابن خلكان ص 332/ تاريخ بروكلمان ج 1 ص 321.

- أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الناصري المعسكري الجزائرى الجليلي حافظ المغرب الأوسط ورحالته.

(1239هـ/ 1824م).

تعريف الخلف (ج 2 ص 332).

دخل فاسا وتونس وقسطينة ومصر والشام والحجاز أجازه الشيخ مرتضى الزبيدي.

مؤلفاتـــه :

1 ـ عجائب (أو غرائب) الأسفار الخ.

الجزائر 1632 ـ تلمسان 96 ـ باريس 5114.

Traduit par Arnaud, revue Afr. 1978.

Publié à part, Voyages extraordinaires et Nouvelles agréables-Alger 1885 R. Basset, Fastes chronologiques de la ville d'Oran, Paris 1892.

2 ـ الحلل السندسية في شأن وهران والجزائر الأندلسية (الصيدة).

Les vêtements de soie fine au sujet d'Oran et de la péninsule espagnole, traduit par le Gl. G. Faure Biguet Alger 1903.

بروكلمان ج 2 ص 880.

3 ـ فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته ـ وصف فيه النهضة العلمية بفاس في القرن الثالث عشر.

وقد وصف فاسا بأنها «قبة الإسلام وخزائن الخزائن» وذكر علماءها في معارفهم وتعرض للسلطان مولاي سليمان ومجلسه العلمي ووصف الشيخ الطيب بن كيران بأنه آخر الحفاظ. مخطوط في خع 2263 ك.

4 ـ «العز المتين في ذكر ملوك بني مرين» (دم 638).

5 ـ «ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس» (د. م. = 354).

6 ـ «الزهرة السموية في أخبار الملوك العلوية».

7 ـ «الزمردة الوردية في ملوك الدولة السعدية» (د. م. = 569).

8 ـ الآداب الرقيقة (أو الدرة الأنيقة)، بشرح العقيقة (التلمساني) خم = 987 / 3444 / 5702.

9 ـ اجازة لمحمد بن محمد الدكالي البويعياوي خم = 7169.

10 ـ لب الياخي في عدة أشياخي.

11 ـ در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة.

12 ـ الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم.

(فهرس الفهارس ج 1 ص 104).

13 ـ الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب (خع 2263ك).

14 ـ اسماع الصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم (خم 5553).

- أبو سعيد المصري (يعرف بأبي سلهامة) من علماء المغرب كان يعيش عام 344هـ/ 955م عندما وقع الوباء العظيم بالمغرب والأندلس وقبره شهير قرب مشرع الحضر على ساحل البحر وعليه قبة عجيبة الصنع بالنقش والاصباغ والزليجي الملون (الاستقصا ج 1 ص 84).

- أبو علي الشريشي البكاء قدم مراكش بعد أن جال في المشرق نحوا من عشرين سنة فنزل بسلا.

التشوف ص 181/ الاعلام للمراكشي ج 7 ص 140.

- أبو القاسم المؤمن له كتاب (فضائل المهدي) ينقل عنه الحسن ابن القطان في (نظم جمان) تحقيق محمود مكي ص 5) وأشار إليه البيذق في (كتاب أخبار المهدي- ص 30) ضمن أصحاب المهدي في بلاد مصر ووصفه بالمصري (راجع ابن الصواف).

- أبو محمد صالح الهسكوري دفين أسفي توفي في صدر المائة الثامنة كان له ركب للحجيج يسمى الركب الصالحي يتوجه إلى الحجاز من أسفي عن طريق مصر (المنهاج الواضح ص 352) / السلوة ج 2 ص 42/ الديباج ص 132.

- أبو المكارم بن الحسين المصري ولاه السلطان أبو يعقوب الموحدي قضاء اشبيلية وعزل قاضيها أحمد بن محمد الحوفي وذلك عام 579هـ/ 1183م وفيها ولي أيضا أبا الوليد بن رشد قضاء قرطبة (البيان المغرب ج 3 ص 129 ط الرباط).

- أبو هريرة ابن النقاش عبد الرحمن بن محمد بن علي الدكالي المصري الشافعي ولد بالقاهرة عام 747هـ (حسب ابن حجر) وتوفي عام 817هـ/ 1414م (سنة احتلال سبتة) والده أبو امامة محمد بن علي توفي بمصر أيضا عام (763هـ/ 1362م) كان يتكسب بالزراعة.

- أبو يحيى السايح أبو بكر بن محيو الصنهاجي رحل إلى المشرق والسودان وأقام بمصر أحد عشر عاما وتوفي بأغمات وريكة (605هـ/ 1208م) كان لا يعرف أصله.

التشوف/ الاعلام للمراكشي ج 8 ص 285 (تراجم الأعيان من أبناء الزمان) للحسن بن محمد البوريني (1024هـ/ 1615م).

مطبعة دمشق 1959 (ج 1 ص 275).

- أحمد الأمين الشنجيطي نزيل القاهرة (1331هـ/ 1913م).

الاعلام للزركلي ج 1 ص 97.

له : «درء النبهاني عن حرم الشيخ سيدي أحمد التجاني».

طبع بمصر عام 1330هـ/ 1912م.

- أحمد بن ابراهيم البدوي أبو الفتيان (675هـ/ 1276م).

الطبقات الكبرى للشعراني (ج 1 ص 155) / الشذرات (ج 5 ص 345) / الخطط الجديدة لعبد الله بن مبارك (18 XIII) / الجواهر السنية والكرامات الاحمدية لزين الدين عبد الصمد (900 ـ 1494) Gotha 1845

(طبع بالقاهرة 1277 ـ 1302 و1305/ حسين راشد المشهدي الخفاجي صاحب النفحات الاحمدية والجواهر الصمدانية ـ طبع بالقاهرة 1321/ طبقات المصطفين والمصطفيات Asaf, I, 338 مناقب أحمد البدوي 3 الاسكوريال/ السلوة ج 3 ص 236/ الموسوعة الاسلامية ج 1 ص 289 / شجرة النور ص 401/ الاعلام للزركلي ج 1 ص 170 / النجوم الزاهرة ج 7 ص 252/ طبقات الشعراء ج 1 ص 158 قصة القطب الرباني سيدي أحمد البدوي لمؤلف مجهول.

الآصفية بحيدر اباد بالهند 87 تراجم / ولد بفاس دخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس فخرج لاستقباله هو وعسكره وزار سورية والعراق عام 634 هـ دفن بطنطا وذكر صاحب الشذرات عن عبد الرؤوف المناوي في طبقاته أن أصله من بني برى القبيلة غربي الشام ثم سكن والده المغرب فولد له أحمد هذا بفاس عام 596هـ.

عرف عند الشعب المصري بالسيد وبشيخ العرب لتلثمه كالبدو بالمغرب.

قرأ القرآن بالسبع ودرس الفقه الشافعي ولكنه اعتزل عن الناس وتصوف في مقتبل عمره وكان القايتباي من المعجبين بالشيخ ومن خدامه وأصبح ضريحه مهبط الزوار من مصر كلها وحتى من خارج مصر.

له مجموعة «صلوات» (شرحها عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي بعنوان «فتح الرحمن»). كما له «وصايا» عامة يستنير بها أتباعه من دراويش الأحمدية التي نافست الرفاعية والقادرية والبرهامية وتزيا مريدوها بالقمصان والعمائم الحمر.

حسن المحاضرة ـ القاهرة 1299 ج 1 ص 299/ «الجواهر السنية في الكرامات الأحمدية» لعبد الصمد زين الدين.

طبع مرارا وقد صنف عام 1028هـ/ 1619م) «النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الاحمدية» لعلي الحلبي (1044هـ/ 1634م) ـ مكتبة برلين 10104/ «النفحات الاحمدية» لحسن راشد المشهدي الخفاجي ـ القاهرة 1321 له تصلية خع 2021 د / خم 1039.

- أحمد بن حاتم بن محمد بن حاتم بن عبد الله اليسطي الصنهاجي الحبيبي الفاسي المالكي نزيل القاهرة ويعرف بين المصريين بحاتم ولد عام 851هـ بباب الجيسة من فاس تحول إلى القاهرة عام 873هـ/ 1468م ثم دخل الشام ومكة تميز في الطب (الضوء اللامع ج 1 ص 268).

- أحمد بن الحسن بن أحمد بن حسان (أو الحسن) أبو جعفر القضاعي الغرناطي حفيد المفسر ابن عطية الطبيب (أحمد بن حسان حسب ابن جبير) توفي بمراكش 598هـ (أو 599هـ/ 1202م) اتقن الصناعة الطبية والهندسة والحساب ورحل إلى الشرق صحبة الرحالة ابن جبير وكان طبيب المنصور الموحدي واستوطن فاسا وقد ألف كتاب «تدبير الصحة» للمنصور (السلوة ج 3 ص 242/ عيون الأنباء ج 2 ص 79/ النفح ج 2 ص 143/ ج 1 ص 714/ جذوة الاقتباس ص 71/ تكملة الصلة ص 114/ رحلة ابن جبير/ الاعلام للمراكشي ج 1 ص 235.

- أحمد بن الحسين بن علي بن الأمير الزرهوني فقيه مكناسة الزيتون بالعدوة وكذا أبوه وجده حافظان لمذهب مالك قدم الاسكندرية وأقام بها ولقيه السلفي وكتب عنه وذكره في معجم السفر وقال قرأ علي كثيرا من الحديث وكتب في سنة 533هـ (معجم البلدان في مادة زرهون) ج 4 ص 388.

- أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي الرباطي الدكالي (1178هـ/ 1764م) رحل إلى المشرق عام 1140هـ وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين ففي مصر تتلمذ للشيخ أحمد العماري وحاتم البصري وطار صيته في الحجاز (تاريخ تطوان ج 3 ص 153/ الاعلام للمراكشي ج 2 ص 189/ الاغتباط بتراجم اعلام الرباط لأبي جندار (ج 1 ص 16)، رسالة لبعض أهل الشاوية (خم = 9249).

- أحمد بن عبد الله بن محمد الازدي النحوي المراكشي نزيل القاهرة.

توفي في حدود 730هـ/ 1329م جنح إلى التصوف الفلسفي فكان أبو حيان يرميه بالزندقة.

الاعلام للمراكشي ج 2 ص 2/ (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج 1 ص 197).

- أحمد بن عبد القادر القادري المدعو علال عاش سبع سنوات بالقاهرة وتوفي بفاس (1133هـ/ 1721م) (السلوة ج 2 ص 35).

- أحمد بن علي بن صالح المعروف بالفيلالي (860هـ/ 1455م).

لقي بالقاهرة جماعة من العلماء وأخذ عنهم (الضوء اللامع ج 2 ص 67/ الجذوة ص 80/ نيل الابتهاج ص 66).

- أحمد المعافري الوقاد المتوفي عام 741هـ (السلوة ج 3 ص 86) وهو الذي انتقل إلى الاسكندرية ودرس بها العلم وجده محمد المعافري هو العالم الرحالة دفين الاسكندرية.

أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهاب أبو العباس بن نور الدين المالكي بن أبي عبد الله والد التقي محمد ولد عام 754هـ بمكة وسمع بها من العز بن جماعة ومن الفقيه خليل المالكي واليافعي وبالقاهرة من أبي البقاء السبكي وأخذ عن موسى المراكشي وأبي الفضل النويري وافتى وحدث وصنف ولي مباشرة الحرم بعد أبيه عام 771هـ ودخل الديار المصرية والشام واليمن مرارا صاهر أمير مكة حسن بن عجلان على ابنته أم هانىء ترجمه ولده التقي في تاريخ مكة وقال ابن حجر في أنبائه : «أنه عنى بالعلم فمهر في عدة فنون باشر شهادة الحرم نحو خمسين سنة مات بمكة عام 819هـ/ 1416م وقد ترجمه المقريزي في عقوده (الضوء اللامع ج 2 ص 35).

- أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي النباتي توفي باشبيلية 637هـ/ 1239م ولد ونشأ في اشبيلية درس علم النبات وحلل الأعشاب وأعيانها له مهارة في الطب وحسن العلاج وعلم الحديث ورجاله جال في الأندلس والمغرب وبغداد والشام والحجاز في سبيل مهنته الحديثية والنباتية وقارن أعشاب المغرب مع غيرها حتى بلغ القمة في ذلك طلب منه الملك العادل الإقامة في الأسكندرية فأبى كان جماعا للكتب.

مصنفاتـه :

1 ـ الحافل في تذييل الكامل في الرجال الضعفاء.

2 ـ شرح حشائش (ديا سقوريدس).

3 ـ شرح أدوية (جالينوس) (التنبيه على أوهام ترجمتها).

4 ـ التنبيه على اختلاط الغافقي.

5 ـ الرحلة النباتية.

6 ـ المستدرك (فقد).

افرده أبو محمد ابن الجزيرى بمجموع حول حياته وأعماله (الاحاطة ج 1 ص 88).

ـ) أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي الشريشي تاج الدين ولد بسلا سنة 581 ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر وبها توفي سنة 641هـ/ 1243م وقيل في منتصف سنة 643 إليه انقطع علم التصوف أخذ بمراكش عن جماعة وبفاس عن محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني وأخذ بالأندلس عن بعض علمائها وبمصر عن تقي الدين مظفر بن عبد الله الازدي الشافعي المعروف بالمقترح (ولعله جد الإمام ابن دقيق العيد لأمه وأخذ الأصول بالاسكندرية عن علي بن اسماعيل الابيارى المالكي شيخ ابن الحاجب وببغداد عن أبي صالح نصر بن أبي محمد عبد الرزاق أبي القطب سيدي عبد القادر الجيلاني وأخذ التصوف عن أبي حفص عمر السهروردي صاحب «عوارف المعارف» الذي هو أصل القصيدة الرائية (جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر لمحمد بن أحمد ابن السناوي (راجع أيضا شجرة النور الزكية ص 186) حيث ذكر سنة 641 للوفاة/ تكملة الصلة ص 128 وذكر الزركلي (ج 1 ص 210) في أعلامه أحمد بن محمد البكري الشريشي فلاحظ أنه ولد وتوفي بشريش عام 640 كما ولد بها عام 583هـ ونقل ذلك عن بغية الوعاة (ص 136) وقد تولى قضاء سلا (حسب ابن الابار في التكملة).

ـ) يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط في التعريف بسيدي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف الشهير بالشريشي المتوفى في عام 641 وقيل 668 تأليف محمد بن قاسم بن عبد السلام البادسي رقم 2207 (1419 د).

وهنالك أبو علي الشريشي البكاي أصله من شريش قدم مراكش وجال في الشرق نحو عشرين سنة قبل ذلك ونزل بسلا على علي بن حمدون وحضر جنازة عبد الله بن يوسف بن علي بن عشرة (التشوف 282).

وكذلك ابن لب الشريشي السلاوي يوسف بن عيسى أخذ عن شيوخ الأندلس ومصر وتوفى بسلا عام 629هـ.

مصنفاتـه :

1 ـ أنوار السرائر وسرائر الأنوار على رائية الشريشية وهي قصيدة في السلوك عدد أبياتها 139 بيتا.

خع 1617 د (م = 18 ـ 19).

مع أربع نسخ أخرى 277د/ 984د/ 1204د/ 1419د.

(شرح أحمد يوسف الفاسي 1021هـ/ 1612م).

2 ـ ازالة الخفا طبعت بمصر عام 1316، بروكلمان ج 1 ص 802.

ـ) أحمد بن محمد (فتحا) بن أحمد الصقلي العريضي قطب فاس أخذ عن محمد بن سالم الحفناوى المصرى الطريقة الخلوتية (1177هـ/ 1763م) (السلوة ج 1 ص 133/ الاعلام للمراكشي ج 2 ص 190).

ـ) أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني نزيل فاس والقاهرة خطيب جامع القرويين حافظ المغرب ومفتيه آية في التفسير والحديث توفي بمصر 1041هـ/ 1632م وذكر محمد بن عبد الرحمن الفاسي في فهرسته أنه دفن بدمشق (نشر المثاني)، املى الحديث في المدينة المنورة عام 1037هـ وأملى صحيح البخاري بالجامع الأموي بدمشق عام 1039 وقد ولى الفتوى بفاس عام 1022هـ لا في عهد المنصور كما ذكره صاحب (خلاصة الأثر) وسبب خروجه من فاس استفتاء العلماء في اعطاء العرائش للنصارى. المقري بفتح الميم وتشديد القاف أو سكون القاف أشهرها الأولى نسبة إلى قرية بتلمسان وقد شدد القاف في أشعاره.

الدرر الثمين لميارة ص 41/ محاضرات اليوسي ص 59/ صفوة من انتشر ص 71/ النشر ج 1 ص 157/ اجازة ابن أبي شنب ص 102/ شجرة النور ص 300/ الاعلام للزركلى ج 1 ص 226/ فهرس الفهارس ج 1 ص 337/ خلاصة الأثر ج 1 ص 302/ البستان لابن مريم ص 155/ الاعلام للمراكشي ج 2 ص 106/ ريحانة الالبا ص 285/ السلافة ص 589).

اختصر «نفح الطيب» ابن الوكيل الميلودى أبو الحجاج يوسف بن محمد وسماه «تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب» عرف فيه بالمقري وأضاف إليه معلومات حول المغرب الأقصى ألفه بطلب من أحد أشراف مصر حسين افندي بن ابراهيم وأتمه عام 1114هـ/ 1702م.

(يوجد بخزانة محمد المنوني).

2 ـ (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض) يوجد منه الجزءان الأول والثالث مع قطعة من الرابع (405 صفحة) / سبع نسخ في خم من 784 إلى 9055 صع = 1422د باريز 2106.

(حسب تقسيم النسخة المطبوعة بالقاهرة 1358هـ/ 1939م نسخة مصورة عن نسخة المكتبة الزيدانية.

ملحق بروكلمان ج 2 ص 408.

طبع الاجزاء الثلاثة منه باعتناء بيت المغرب بمصر عام 1358هـ 1939 م.

3 ـ (روضة الأنس (والآس) العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس) نقل عنه محمد الطيب الفاسي في المطمح والافراني في الصفوة.

خم 8875/ نسخة بدار المخزن بفاس.

4 ـ «الجفر الجامع والبرق اللامع»

(في سر الحروف).

5 ـ الفوائد وغر الفرائد.

مكتبة ليدن 2829.

6 ـ نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالي الوسط (رجز من 313 بيتا).

(برلين 4119).

7 ـ رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط (في كراسة ـ القاهرة 342).

8 ـ القواعد السارية في حل مشكلة الشجرة النعمانية (برلين 4222).

9 ـ (حسن الـثنا في العفو عمن جنا) مطبوع (القاهرة 227).

10 ـ (اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة) (منظومة) (القاهرة 288.303 ـ 32 خم 7193/ خع 1857د (م = 19 ـ 32).

11 ـ شرح على عقيدة السنوسي الصغرى سماه :

(اتحاف المغرم المغرى بتكميل شرح الصغرى أو إفادة المغرم المغرى).

(يتسع في مجلد وسط).

وأضاف إليه ذيلا في ثلاثة كراريس.

12 ـ أجوبة في اجتناب الدخان خم = 7579.

13 ـ أجوبة في أنواع شتى من العلوم «وهي ظاهرة في علو مكانه وعظم جلاله» وقفت على جملة فيها.

14 ـ «زهرة الكمامة في العمامة» (305 أبيات) خع = 984.

أوردها ابن أبي شنب في اجازة سيدي عبد القادر الفاسي (ص 151).

15 ـ (فتح المتعال في وصف النعال) (خع = 125 الفارت في فهرست مكتبة برلين = 2595 (طبع بالهند في مجلد) (كشف الظنون ج 2 ص 173).

16 ـ (عرف النشق في أخبار دمشق).

17 ـ (قصيدة في مدح النبي عليه السلام) (خع = 2173 = د) (م = 231 ـ 232).

18 ـ (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل) (في عشرين مجلدا).

19 ـ فتاو نقلها صاحب المعيار.

20 ـ (بدائع السلك في طبائع الملك) (تلخيص كلام ابن خلدون في المقدمة مع زوائد) (توجد أربع نسخ في خع (1340 د في 648 ورقة).

21 ـ (نبط الأكمل في ذكر الزمان المستقبل) خم = 1505.

وقد أشار صاحب شجرة النور (ص 290) إلى أحمد بن محمد المقري المعروف بالمحسودي (نسبة لقرية بالمغرب) الدمشقي الذي أخذ بالقاهرة عن اللقانى والذي ولد بدمشق عام 983هـ وتوفى بحلب عام 1032هـ/ 1622م.

راجع أحمد بن محمد بن عبد الله المقري صاحب (زهرة الأخبار في كنز الاسرار) ومعدن الأنوار في آل بيت النبي المختار (حول شرفاء المغرب) خع = 784 عبد الحافظ الفاسي في معجم شيوخه ج 2 ص 136.

طبع عام 1349/ 1930 على نفقة مولاي الحسن البوعيشي.

ـ) أحمد بن محمد بن ادريس القادر اليمنى المصرى منشأ توفي بفاس 1113هـ/ 1701م (الصفوة ص 219/

النشر ج 2 ص 165/

التقاط الدرر/

السلوة ج 2 ص 334).

يوجد تأليف لمحمد السناوي الدلائي في التعريف بسيدي أحمد اليمنى في خع 1419د/ 471د (ضمن مجموع).

ـ) أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المتوفي بالقاهرة (1380هـ/ 1960م).

ـ) أحمد بن محمد بن عيسى بن علي الشهاب اللجائي الفاسي ولد بفاس عام 792هـ وناب في القضاء بلده خمس عشرة سنة ثم عرض عليه استقلالا فأبى وضيق عليه ليقبل فسافر حاجا فوصل مكة ثم عاد إلى مصر فأخذ بالقاهرة عن المقريزي قيل أنه عرض عليه القضاء فلم يوافق وترجمه المقريزي في عقوده حيث ذكر أنه أخبره أنه في سنة

عشرين كثرت الأمطار والسيول بأعمال فاس فظهر إنسان طوله ذراع في عرض شبر وتوجه في البحر لبلاده فأسر بجزيرة (رودس) ثم خلص بمال جبى له من القاهرة حيث عاد ثم سافر عام 843هـ فتوفي بالصحراء. تميز في الفقه والعربية دخل (التكرور) فأقام سنة يقرئه التفسير ومات هناك أخذ عنه بالقاهرة البرهان اللقاني.

(السلوة ج 1 ص 304 / الضوء اللامع ج 2 ص 164 /
الجذوة ص 59 / النيل ص 62).

- أحمد بن محمد بن أحمد الكاملي الدرعي الضرير المحدث الرحالة توفي بمراكش 1315هـ 1897م.

زار المشرق وما ترك بلدة عن المعمور إلا دخلها برا وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم أياما في كل بلدة ثم يرحل عنها ومكث سنة في دمشق وهو متضلع في عدة فنون وهو محدث كان يحفظ صحيح البخاري ومسلم بأسانيدهما وكتب الأخبار والآداب ودواوين الشعراء القدماء والمولودين سريع الحفظ كان يسمع القصيدة المرة الثالثة فيسردها من حفظه تلاقى في الهند مع داود الكلكتي الذي عمره 200 سنة (الاعلام للمراكشي ج 2 ص 239/ الجذوة ص 81) وقد ارتحل من مراكش إلى اكلميم بوادي نول ثم السودان واستقر بأرض غب بين سانيكان وتنبكتو ولقي أولاد سيدي الحاج عمر الفوتي كما لقي سيدي عمر نفسه وقت مقاتلته لممبرا وهي قبيلة سودانية دعاها سيدي عمر إلى الإسلام ورجع لتندوف واستوطنها من 1299 هـ إلى 1309 هـ

- أحمد بن محمد السبتي محب الدين عرف بعلم الحرف بمصر (791هـ/ 1388م) (درة الحجال ج 1 ص 13/ الدرر الكامنة ج 1 ص 335).

- أحمد بن محمد الشهاب المريني قاضي المالكية بدمشق (896هـ/ 1490م) (أو التي بعدها).
ناب في نظر البيمارستان وتولى القضاء بالقاهرة (الضوء اللامع ج 2 ص 218/ الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص 23).

وورد اسم أحمد بن محمد المريني في الوثائق المغربية ج 24 ص 245.
وكذلك (قبيلة بني زروال) للبشير الفاسي ص 75 وكذلك أحمد أبو العباس المريني (درر العقود الفريدة للمقريزي مخطوط ترجمه ابراهيم المريني) ج 1 في ثلاث صفحات ونصف.

- أحمد بن موسى بن عبد الله الشهاب المغربي الأصل المتوفي ثم القاهرة الشافعي ولد تقريبا في سنة 780هـ أو قبلها أخذ بالقاهرة عن الولي العراقي وأبي الفتح البلقيني والهيثمي مات عام 858هـ (الضوء اللامع ج 2 ص 230) توفي عام 858هـ/ 1454م.

- أحمد الشهاب القروي المغربي المالكي الصوفي الشاذلي كان يجيء بركب من الحج من الغرب وكان إماما درس بالأزهر.
توفي فجأة بالجديدة عام 869هـ/ 1464م (الضوء اللامع ج 2 ص 257).

- ادريس بن علي بن الغالي بن المهدي بن محمد بن الطاهر بن الراضي الحنش الساني (1319هـ/ 1901م).
أديب شاعر احترف الخرازة رحل إلى الحجاز ومصر والشام.

- ادريس بن محمد بن أحمد المنجرة الادريسي (1137هـ/ 1724م).
أخذ بالشرق عن ثلة من العلماء (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 19 (ط. 1975)/ السلوة ج 2 ص 272.

مصنفاتـــه :
1 - عذب الموارد في رفع الأسانيد (فهرسة) نسخة بالخزانة الفاسية/ (خع = 1838د/ خم 6478.
2 - شرح الدالية في القراءات (في 142 بيتا) خم 2255/ خع 503د/ مونيخ 104 وقد شرحها أيضا :

- محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي له (القطرات العالية) خع 16/ 379 أو (القطوف الدانية في شرح الدالة).
عبد الرحمن بن ادريس الحسني له (المقاصد النامية).

- عبد الرحمن بن ادريس المنجرة (1179هـ/ 1745م).
3 - نزهة الناظر والسامع في اتقان الأداء والارداف الجامع (خم 6948).
4 - شرح لامية في الادغام (مكتبة تطوان 881).
5 - التكميل (قصيدة في الوقف) خم 1051.
6 - منظومة في القراءات خم 6479.

- الادريسي (الشريف...) محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس.
560هـ/ 1165م (وقيل 556هـ/ 1160) من كبار الرحالين المغاربة ولد في سبتة عام 494هـ أستاذ أوربا في الجغرافية قال في رسائل البشرى أنه طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل أن يستدعيه ملك صقلية.
(الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 3 ص 34). وهو أول من اكتشف أن النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء في حين أن الأوربيين لم يكتشفوا ذلك إلا منذ عهد قريب (حضارة العرب لكوستاف لوبون الطبعة الفرنسية ص 508).

مصنفاتـــه :
1 - «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» طبع قسم المغرب والسودان ومصر والأندلس مع ترجمة إلى الفرنسية بليدن 1866 - 1283 (نسخة تامة منها بالاستانة كما في معجم المطبوعات ص 410).

- جغرافية الادريسي مترجمة عن العربية إلى الفرنسية بحسب مخطوطين من مخطوطات المكتبة الملكية ومشفعة بملاحظات 1840.

Description de l'Afrique et de l'Espagne, Leiden 1866 Dozy et Goeje
La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux – éd. critique par O.J. Talgren Tuulio et A.M. Tallgren.
Le Géographe arabe Idrissi et la topographie Baltique 1934.
Europe septentrionale – Ed. crit., trad. Helsinki 1936
Contribution à l'étude de la cartographique cherles Musulmans (Ballets de l'Ac. de Hippone (Bone 1898).

2 - روض الأنس ونزهة النفس (على كتاب المسالك والممالك).
بروكلمان ج 1 ص 876.
وقد اقتبست من النزهة دراسات منها :

- «صورة الأرض» وهي خارطة العالم نشرها محمد بهجة الأثري وجواد علي (بغداد 1951).
- العراق والجزيرة من كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» (نشره ابراهيم شوكة بغداد 1963).
- (صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس) (مأخوذة) من كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» - الشريف الادريسي - ليدن مطبعة برلين 1968 (393 ص + 220 ص) الوافي للصفدي ج 1 ص 163/ محمد الفاسي - مجلة المدوتان - عدد 1 (1952)/ محمد المنوني - دعوة الحق - عدد 1 (1966)/ الاعلام للزركلي ج 1 ص 280/ الشريف الادريسي - لعبد الله كنون.
(روض الفرج ونزهة المهج).
مختصر في الجغرافية العامة مكتبة حكيم أو علو علي باشا باسطمبول عدد 688 وهو مصور في (خع 3665د) (165 لوحة).
- الشريف الادريسي عمدة المؤرخين المسلمين، مجلة العربي - ابريل 1961.
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس «الشريف الادريسي» للدكتور حسين مؤنس صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلدان 10،9 سنة 1961 و1962.

Meyerhof, M. Allgemeine Botanik und Pharmakologie des Edrissi Technik 12 (1930).
Gautier – Mœurs et coutumes des Musulmans p. 289.

- هل الادريسي مصري ؟ ولد في سبتة ببلاد مراكش ويقال أنه من ذرية قوم ملكوا مصر وبلاد النوبة ولذا لقبوه بجغرافي النوبة (النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية في أربعة عشر جزءا لاسماعيل علي مدرس تقويم البلدان بالأزهر (ج 1 ص 140).

- اسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء (745هـ/ 1344م).
لما توفي الملك الناصر محمد بن قلاوون عام 741هـ ولي بعده ابنه أبو الفداء فأوفد أبو الحسن لعزائه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل بن أبي عبد الله بن أبي مدين وفي صحبته الحرة أخت السلطان أبي الحسن فوصل مصر عام 745هـ مع كتاب أورد نصه صاحب الاستقصا (ج 2 ص 68) مع نسخة الجواب من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم (ص 72)/ النفح ج 6 ص 120).

- اسماعيل السوسي الطبيب ذكر العبدري في رحلته أنه لما وصل إلى قاعدة الديار المصرية ونزل بمدرسة الظاهرية مريضا بعث إليه شيخه شرف الدين الدمياطي بالحكيم أبي الطاهر اسماعيل لعلاجه وهو فتى حديث السن رصيف العقل نافذ الفهم ما رأيت احفظ منه للطب ولا أحسن منه تصرفا ولا أذكر لنصوص كتب ابقراط (ولكن لا أدري هل هو من سوس أم سوسة).

- أم قاسم زهراء.
جدة الإمام حسن المرادي الاسفي المغربي المصري عرفت بالشيخة وعرف بها حفيدها أم أبيه (الكانوني).
وكانت شهرة حفيدها تابعة لشهرتها وهي مراكشية الأصل.
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 144 (ط. 1975).

- أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري صاحب نفح الطيب نزيل فاس حافظ المغرب

ومفتيه توفي بمصر (1041هـ/ 1632م) وذكر محمد بن عبد الرحمن الفاسي في فهرسته أنه دفن بدمشق (نشر المثاني).

ـ) أحمد بن محمد بن ادريس القادري اليمنى المصري منشأ توفي بفاس 1113هـ/ 1701م) (الصفوة ص 219/ السلوة ج 2 ص 334).

ـ) أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المتوفى بالقاهرة 1380هـ/ 1960م له (ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) أو (المرشد المهدي لرد طعن ابن خلدون) في أحاديث المهدى) خع 1878د (84 ورقة) طبع بدمشق عام 1347هـ.

ـ) أحمد بن محمد السبتي محب الدين عرف بعلم الحرف بمصر (791هـ/ 1388م) (درة الحجال ج 1 ص 13/ الدرر الكامنة ج 1 ص 335).

ـ) أحمد بن محمد الشريشي تاج الدين التيمي البكري ولد بسلا عام 581 هـ ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم بمصر وبها توفى عام 641هـ/ 1243م وهو تلميذ ابن الكتاني محمد بن علي القندلاوي.

ـ) أحمد بن محمد الشهاب المريني قاضي المالكية بدمشق (896هـ/ 1490م) تولى القضاء بالقاهرة (الضوء اللامع ج 2 ص 218).

ـ) حسن بن علي المطغرى المؤذون المراكشي مات بالأسكندرية في رجوعه راجلا من الحج (603هـ/ 1206م) كان الغالب عليه التفكر يذكر قليلا ويدخل رأسه في جيبه يتفكر إلى طلوع الفجر كتب اسمه حسون في بعض نسخ التشوق كان عبدا يشتغل في دباغة الجلود (التشوف ص 392/ الاعلام للمراكشي ج 3 ص 134 «ط. 1975»).

ـ) حسن العطار بن محمد بن محمود المصري المغربي تولى مشيخة الأزهر عام 1246هـ/ 1830م وقبلها جريدة «الوقائع المصرية» 1250هـ/ 1835م (تاريخ الأزهر ص 138 - الاعلام للزركلي ج 2 ص 236) له «كيفية العمل بالاسطرلاب» والإنشاء والمراسلات وديوان شعر.

ـ) حسين افندى بن ابراهيم المصرى كان شغوفا بالمغرب الأقصى طلب من ابن الوكيل الميلودي يوسف بن محمد اختصار (نفح الطيب) في كتاب سماه (تفريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب) عرف فيه بالمقرى وأضاف معلومات حول المغرب الأقصى وأتمه عام 1114هـ/ 1702م (توجد نسخة بخزانة محمد المنوني).

ـ) صالح بن محمد أبو الرجاء المغربي المالكي الشاذلي نزيل الاسكندرية (من أهل القرن الثالث عشر الهجرى).

له «الدرر السنية على المقدمة العشماوية» في فقه السادات المالكية وهو شرح مقدمة في الفقه لعبد البارى الرفاعي العشماوى (خع 1823د (100 ص) (ملحق بروكلمان ج 2 ص 435 ونسبها لمحمد أصيل بن محمد الأنصارى البرديني المالكي.

ـ) عبد الرحمن بن محمد بن الحسين ابن يحيـة السبتي المصرى الخباز (تذكرة الحفاظ ج 4 ص 126).

ـ) عبد القادر بن عبد الكريم الورديغي الحيراني البارشي الشفشاوني توفي بمصر (1313هـ/ 1895م) وهو طالب وجهه السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن إلى مصر للتخصص في فن الطباعة عام 1283هـ/ 1866م.

مصنفاتـه :

1 - شمس الهداية لتذكار أهل النهاية وإرشاد أهل البداية في القضاء على المذاهب الأربعة 1307 K

2 - سلوة الاخوان ونصرة الخلان في جمع الطوائف والاعيان 1914، 1134 بروكلمان ج 2 ص 884.

ـ) عبد الكريم بن حسن المراكشي القاهرى ولد باسيوط وأصل عائلته من مراكش (راجع معجم الشيخ مرتضى/ السلوة ج 3 ص 113/ الاعلام للمراكشي ج 8 ص 181 (ط. الرباط).

ـ) عبد الله بن ابراهيم الخياط نزل كدية التراب بجبل زرهون الواقعة على الوجه الذي يلي وادى مكس عند وروده على المغرب ووالده ابراهيم من اليمن لقي الشيخ زروق في مصر وانتقل معه إلى برقة (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 269، (ط. الرباط).

ـ) عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد السلام الجزولي نزيل الاسكندرية كان حيا عام 699هـ/ 1299م له (كفاية المرتاض - في تعاليل الفراض) (ولعله هو نهاية الرائض في الفرائض).

ـ) عبد الله أبو بكر بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابرى نزيل اشبيلية كان حيا عام 516هـ/ 1122م.

استوطن مصر ومات بمكة ماهرا في النحو حافظا للتفسير قائما عليه ذاكرا للقصص المتعلقة به وذلك كان الغالب عليه وحلق به للعامة باشبيلية وغيرها فكانت العامة تنثال على مجلسه وله في التفسير كتاب كبير ورد على ابن حزم. وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه وبسببه ارتحل اليه الزمخشرى من خوارزم لقراءته عليه.

(الذيل والتكملة لابن عبد الملك)/ (أزهار الرياض للمقرى ج 3 ص 76 - ط. الأوقاف) نقله عن طرر بخط أحمد بن يحيى الونشريسي على كتاب ابن غازى:

الاشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان) يقصد الونشريسي المذكور.

ـ) عبد الله بن عثمان ضياء الدين الخزرجي الأندلسي الاسكندرى المعروف بأبي الجيش المغربي 1626 و627هـ/ 1228م .

لــه :

1 - «الرامزة الشافية في علم العروض والقافية أو القصيدة الخزرجية» (96 بيتا) نسختان في خع = 1299د - 1647د.

خم 889/ ملحق بروكلمان ج 1 ص 545 - معجم سركيس ص 821. ترجمه إلى الفرنسية - René Basset رونى باسى (الجزائر 1902) عليها شرح يسمى (المفاتيح المرزوقية) لمحمد بن مرزوق التلمساني (خع 2410 د) (م = 24 - 252).

وآخر لأحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف الجزولي الهشتوكى المتوفى بتمكروت عام 1127هـ/ 1715م (خع 1763د).

ـ) عبد الله التواتي بن عمر المدني مات بالقاهرة عام سبع كان يتردد إلى مصر والشام (الضوء اللامع للسخاوى ج 5 ص 40 - ط القاهرة 1354) (راجع عبد الله التواتي في السلوة ج 1 ص 149 وج 3 ص 140).

ـ) عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله الجمال المغربي السوسي المصرى كان أعجوبة الدهر في صناعة الأشياء الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقامات بمصر عام 903هـ/ 1497م وذكره المقريزى في عقوده.

(الضوء اللامع للسخاوى ج 3 ص 57 هـ القاهرة 1354).

ـ) عبد الله بن محمد بن عبد الله المغربي الحسيني ولد قرب دمنهور بمصر (1027هـ/ 1618م).

ـ) عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس الحميرى الغرناطي سكن الجزيرة الخضراء ثم مراكش ثم الأسكندرية يقال له ابن الحلوف (وقيل خلوف) أجاز أبا العباس العزفي وكان عارفا بالقراءات نزل مراكش واكتب بها القرآن مدة توفى بالأسكندرية عام 586هـ/ 1090م (صلة الصلة ص 16/ التكملة رقم 1813/ الذيل والتكملة السفر 5 ق 1 ص 65/ الاعلام للمراكشي ج 6 ص 134).

ـ) عبد الواحد التازى الفاسي أسند إليه السلطان النظر في شؤون الرعايا المغاربة القاطنين بمصر والوافدين عليها في طريق الحج (العز والصولة لابن زيدان ج 1 ص 293).

ـ) عتيق بن علي بن حسن بن حفاظ الصنهاجي الحميدى المعروف بالفصيح قاضي الجزيرة الخضراء رحل إلى بغداد ومصر وتونس وتلمسان وتوفي بمراكش عام 595هـ/ 1198م (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 515 (خ).

ـ) عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولو تقي الدين أبو عمرو التينملى المولى المالكي المصري سمع بالمغرب ومصر ودمشق كان نحويا لغويا (605هـ/ 1208م).

من نظمـه :

يا أهل مصر رأيت أيديكـــم
عن بسطها بالنوال منقبضـــة

فمذ عدمت الغداء عندكـــم
أكلت كتبي كأنني أرضـــة

(درة الحجال ج 2 ص 419 ط الرباط 1354 - 1936).

ـ) علي بن عبد الله الششترى الفاسي توفي بدمياط عام (668هـ/ 1269م).

ـ) علي بن محمد العربي بن علي السقاط الفاسي نور الدين المصري ولد بفاس وتوفي بمصر عام 1183هـ/ 1769م (شجرة النور م 340/ فهرس الفهارس ج 2 ص 349/ عجائب الآثار للجبرتي ج 1 ص 342.

لــه :

1 - كفاية المريد وغنية الطالب للتوحيد أرجوزة شرحها تلميذه محمد بن محمد السنبارى المعروف بالأمير المالكي الشاذلي (1232هـ/ 1817م).

(الاعلام للزركلي ج 3 ص 298).

القاهرة 11،25/ خع 2218 (م = 16 - 129) ورد ذكره في هدية العارفين للبغدادي ج 2 ص 358/ ولم يشر إليه بروكلمان.

2 - فهرست جمع فيها أشياخه ومروياته الحديثية والصوفية وقد أفرد أسانيدهاته الفهرست شمس الدين فتح الفرغاني المصرى (1210هـ/ 1795م) سماه الضوابط الجالية في الأسانيد العالية» (فهرس الفهارس ج 2 ص 121).

ـ) على الصوفي المغربي المصرى (الوثائق المغربية ج 24 ص 433).

ـ) على الفاسي عاش بالاسكندرية ذكره ابن مريم في البستان (ص 121) في ترجمة عبد الله الجاسي الشهير بالبكاء.

ـ) عمر بن الحسن بن علي السبتي أبو الخطاب ابن دحية الأندلسي تجول بالأندلس والمغرب واستقر بالقاهرة في كنف الملك الكامل ثم زار اصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس وقد أخذ بالقاهرة عن أبي اسحق ابن أحمد ابن الواعظ المراكشي وكان له عند الكامل بمصر جاه عظيم عليه وحظوة علية بعد العهد بمثلها

حتى ليذكر أنه هم بتنصيبه خليفة وبعثه رسولا إلى الناصر لدين الله ببغداد فبعث هذا بدوره سفيرا إلى بعض ملوك العجم وتوفي بالقاهرة عام 633هـ.

- عمر بن عبد السلام لوقش (أو لوكس) أبو حفصون العالم المحدث (المتوفي عام 1149هـ/ 1736م) درس بتطوان ثم بمصر وقد أجازه محمد بن عبد الرحمن الفاسي وحسن المدابغي المصري.

البستان الظريف للزياني (مخطوط الخزانة الزيدانية) ج 2 ص 167 ـ 205. الاتحاف لابن زيدان ج 5 ص 489/ الجيش العرمرم ج 1 ص 110/ تاريخ تطوان ج 3 ص 19/ فهرس الفهارس ج 2 ص 32 ـ 350/ الوثائق المغربية ج 9 ص 157/ عمدة الراوين لرهوني له (استشكالات في تفسير الفاتحة) خع 2216د (م = 90 ـ 106). ـ عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي (746هـ/ 1345م) من فضلاء المالكية بمصر ولي القضاء بها (النيل ص 10/ شجرة النور الزكية ص 220/ درة الحجال ج 2 ص 409).

- عيسى بن مسعود بن منصور شرف الدين الزواوي تفقه ببجاية والاسكندرية وولي القضاء بفاس وانتقل إلى دمشق ومصر فدرس بالأزهر توفي بالقاهرة (743هـ/ 1342م).

الدرر الكامنة ج 3 ص 210/ معجم المطبوعات ص 941/ ملحق بروكلمان ج 2 ص 961.

- عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن مسعود ضياء الدين أبو الهدى السبتي توفي بالقاهرة 696هـ/ 1296م وقد ولد بسبتة (عام 613هـ).

- قاسم بن علي بن محمد شرف الدين التملي الفاسي توفي بالقاهرة بالبيمارستان عام 811هـ/ 1408م أجازه لسان الدين ابن الخطيب (الضوء اللامع ج 6 ص 183، (ط ، القاهرة 1354/ نيل الابتهاج ص 215).

- محمد الشرش بن ابراهيم بن عبد الرحمن التلمساني ولد بتلمسان وسكن الأسكندرية (توفي عام 656هـ/ 1258م) (الوافي بالوفيات للصفدي ج 1 ص 358.

- محمد بن ابراهيم بن علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق ابن عبد الله اصيل الدين أبو الفتح بن البرهان أبي اسحاق الهنتاتي المراكشي المصري المولد المالكي الشاذلي المعروف بابن الخضري المراكشي ولد عام 784هـ وكتبه مرة بخطه عام 792هـ وذكر المقريزي في عقوده أنه ولد بالقاهرة عام 778هـ بعد أن أسقط من نسبه عثمان (الضوء اللامع ج 6 ص 262 القاهرة 1354).

(توفي عام 872هـ/ 1467م).

ذكر المقريزي في كتابه أنه كان يحفظ العمدة والإلمام لابن دقيق العيد والشاطبيتين والطوالع في أصول الدين وابن الجلاب والرسالة في الفقه والحاجبية والملحة وغالب ألفية ابن مالك والتلخيص وحدث وأفاد ودرس وأعاد وقال الشعر الحسن وطارح الأدباء واشتهر بالمجون الخليع مع المشاركة التامة حتى في اللغة والطب والهيئة ولي تدريس الفقه بجامع الحاكم. والقراسنقرية والحسنية والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية وكتب عنه ابن فهد (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 125).

محمد بن ابراهيم بن محمد الليثي البقوري (بقور بقاف مشددة بلد بالأندلس) دخل مصر أرسل معه بعض السلاطين بالمغرب هدية هي ختمة كبيرة بخط مغربي منسوب ليوقفها بمكة أو بالمدينة ورجع إلى مراكش (الديباج ص 282 و322/ الاعلام للمراكشي ج 3 ص 243/ النفح ج 1 ص 353 توفي بمراكش عام 707هـ/ 1307م.

مصنفاته :

1 ـ اكمال الاكمال على صحيح مسلم للقاضي عياض.

2 ـ حاشية على كتاب الشهاب القرافي في الأصول.

وقد ورد أن الهدية من يوسف المريني هي مصحف بخط أحمد بن حسن الكاتب (تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 226/ الاستقصا ج 2 ص 40) وذلك مقدار حمل بغل (النفح ج 1 ص 347).

محمد بن ابراهيم بن محمد الرقاء المرادي السبتي الأصولي الفاسي دخل الاسكندرية والديار المصرية ودمشق (تكملة الاكمال لابن الصابوني طبع المجمع العلمي العراقي 1377 (ص 174) توفي بدمشق عام 627هـ/ 1229م. (ودفن بجبل قاسيون).

محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي توفي (752/ 1351م)/ ذكر ابن السبكي في طبقاته أنه ولد بعد السبعمائة ونشأ بالقاهرة. وقرأ على علاء الدين القونوي أعاد في القاهرة بقبة الشافعي ثم دخل دمشق ودرس بالمروزية درس بعده فيها تقي الدين السبكي وسمع من الحافظ المزي ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الاشرفية إلى أن توفي (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 265) ومن مشايخه أبو حيان (ص 269) وذكر ابن القاضي في درة الحجال (ج 1 ص 170) أنه توفي عام 756هـ وأنه كان ضريرا.

الدارس في تاريخ المدارس ج 1 ص 458.

محمد بن ابراهيم السلاوي من طرابلس الغرب أشار إليه ابن النعمان محمد بن موسى المزالي الفاسي نزيل مصر في كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام».

(راجع رحلة ابن رشيد ج 5 ص 80).

محمد بن ابراهيم القاهري القرافي الغماري (الضوء اللامع ج 6 ص 275).

محمد بن ابراهيم القباني أو القباني طباع مصري ورد إلى المغرب مع المطبعة التي جلبها قاضي تارودانت محمد بن الطيب التملي من مصر عام 1281هـ وأهداها إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

وقد ورد نص عقد أمضاه القاضي بمصر مع هذا الطباع في كتاب مظاهر يقظة المغرب للمنوني.

محمد بن أبي بكر بن أحمد بن اسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد الغفار بن يحيى بن اسماعيل الشريف الحسني الفاسي الأصل الصعيدي المالكي نزيل الحجاز يلقب أبوه بالناظر ولد عام 821هـ في نواحي الصعيد بمصر وربى في نواحي اسيوط وارتحل للقاهرة سنة 843هـ وارتحل لدمشق عام 844هـ/ 1440م ثم عاد لمصر. (الضوء اللامع للسخاوي ج 7 ص 154 ـ القاهرة عام 1354).

محمد بن أحمد بن أبي الفضل سعيد ابن صعد التلمساني توفي بمصر عام 901هـ/ 1496م (البستان ص 251/ شجرة النور ص 268/ ملحق بروكلمان ج 2 ص 362).

له : (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين) (وهم الهواري وابراهيم التازي والحسن ابركان واحمد بن الحسن الغماري).

محمد الصباغ بن أحمد بن سالم المكي مصري الأصل توفي في رحلة بالمغرب عام 1321هـ/ 1903م (الاعلام للزركلي ج 6 ص 247/ ملحق بروكلمان ج 2 ص 815/ دار الكتب ج 5 ص 125 له «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام».

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الياستني (أو اليستيني) (939هـ/ 1551م) فقيه محقق رحالة مفتي وصل إلى المشرق فدرس بالجزائر وتونس ومصر وأخذ عن اللقاني (الفهرسة المنجور (ص 13) / الدوحة (ص 45) / الجذوة (ص 152) النيل (ص 368) / مرآة المحاسن (ص 9) / السلوة (ج 2 ص 59) / إجازة ابن أبي شنب (ص 21) / درة الحجال ج 1 ص 247).

محمد أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي التمجروتي الدرعي (شهر بالصغير وبالقاضي) أقرأ العلم بالحجاز ومصر وكانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم العقلية توفي بمصر 1138هـ أو 1139هـ/ 1726م (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 38 (ج 6 ص 33 ـ ط. الرباط) (راجع الدرر المرصعة لتلميذه).

محمد تقي الدين بن أحمد بن علي المكي أصله من فاس (توفي عام 832هـ/ 1429م) قال عنه الحافظ ابن حجر «وافقني في السماع بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت أوده وأعظمه وذكر عبد الله عنان أنه درس بالجامع الأزهر وأخذ عنه ابن حجر وأنه وفد على مصر بعد ابن خلدون (تاريخ جامع الأزهر ط 1378 ص 127).

تاريخ بروكلمان ج 2 ص 173/ درة الحجال ج 1 ص 290/ كشف الظنون ج 2 ص 1150/ الضوء اللامع ج 7 ص 18/ اللحظ لابن الفهد ص 291/ الذيل للسيوطي ص 377/ الشوكاني ج 2 ص 114/ شذرات الذهب ج 7 ص 199/ الاعلام للزركلي ج 6/ شجرة النور ص 253/ نيل الابتهاج ص 318.

له : 1 ـ (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) الموجود منه الثلث الث الث وهو الأخير وهو مرجع لتراجم أعيان مكة (صور من مكتبة فيض الله 1482/ دار الكتب المصرية 378 تاريخ (أربعة أجزاء) / كمبريدج (4/ 681) / مكة (1314) (الجزء الثاني) كتب عام 872هـ نسخة ثالثة بالأزهر تاريخ (709) 10665 باريس 2123 ـ برلين 9874.

2 ـ (جواهر الأصول في حديث الرسول) ذيل (التقييد بمعرفة رواة السنن والمسانيد) لأبي بكر محم مد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة الحنبلي دار الكتب المصرية (198).

(خع = 1788د (330 ورقة).

محمد بن أحمد بن المختار الساعي المعروف بالجيلالي الفقيه الصوفي مات 1212هـ/ 1797م في توجهه للغزو ببلد الصعيد في جهاد ضد النصارى ودفن هناك بقرية يقال لها (أحكان) وقد جاء بجيش من مكة للجهاد فخانوه ومات غيظا عام 1215هـ (في بعض الروايات).

وقد استظهر كتاب (القاموس) حفظا واتقانا وكذلك تفسير القرطبي.

له رجز في مدح سيدنا حمزة وأخر في المديح النبوي ومدح بعض صلحاء المغرب.

الاعلام للمراكشي ج 5 ص 144 (الطبعة القديمة/ ج 6 ص 147 (طبعة الرباط)/ طرة بهامش تاريخ الضعيف ص 468 (خ. الرباط)/ عجائب الآثار للجبرتي (المطبعة الاميرية ج 3 ص 44/ الاعلام للمراكشي ج 5 ص 144/.

«تحلية الاذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع» لأحمد بن عبد السلام بن محمد بن أحمد بناني (آخر الجزء الثاني ـ المكتبة الملكية بالرباط رقم 345).

محمد بن أحمد التجيبي أبو القاسم أستاذ أبي حيان النحوي توفي بالقاهرة عام 695هـ/ 1295م (النفح ج 2 ص 411) (راجع محمد بن أحمد التجيبي المعروف بالقاضي الشهيد المتوفي عام 529هـ/ 1135م).

محمد بن أحمد الطليطلي النقاش توفي بمصر عام 529هـ/ 1134م (النفح ج 2 ص 416).

محمد شمس الدين بن بدر الدين محمد بن يحيى بن عثمان بن رسلان البعلي السلاوي أستاذ الحافظ ابن حجر يعرف بابن شقرا (779هـ/ 1377م (شذرات الذهب ج 6 ص 264).

محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف جمال الدين الفاسي المغربي الحنفي المقرىء ولد بفاس عام 589 هـ ـ 1189م، أقام بمصر وتوفي بحلب 656 هـ ـ 1258م (ابن الجزري (الطبقات ـ ج 2 ص 122) مرآة الجنان لليافعي (ج 4 ص 147) ـ الجو لابن أبي الوفا (ج 2 ص 45) ـ اللآلي الفريدة في شرح القصيدة ـ الوافي بالوفيات ج 2 ص 354 ـ بروكلمان ج 1 ص 728 ـ (الاعلام للزركلي ج 6 ص 717).

له : «الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية» (مكتبة معهد الأبحاث الإسلامية (باكستان) سيت في نسخة (خم 9473) ، اللآلي الفريدة في شرح القصيدة) محمد بن سليمان بن أحمد الصنهاجي المراكشي نزيل الأسكندرية (717هـ/ 1317م) الدرر الكامنة ج 3 ص 447/ ج 4 ص 67.

محمد بن الطيب التملي الروداني قاضي رودانت جلب من مصر عام 1281هـ/ 1864م أول مطبعة إلى المغرب ومعها خبير مصرى اسمه محمد القباني وقد أهدى القاضي مطبعته إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن فنقلها إلى مكناس عام 1282 هـ ـ 1865م.

ـ) فكان أول ما صنع «شمائل الترمذي» في السيرة النبوية تيمنا بالرسول عليه السلام ثم نقلت إلى فاس فكانت بادرة المطبعة الحجرية الملكية وقد نشرت مجلة الوثائق في عددها الثاني (ص 417) جملة مستندات حول تعليم الطباعين وشراء المطابع ولوازمها راجع مظاهر يقظة المغرب الحديث للمنوني ج 1 201.

ـ) محمد بن عبد الحق بن اسماعيل بن أحمد السبتي ذكره صاحب الأنباء سنة ثلاث ثم في سنة ست كلاهما وثلاثين قدم القاهرة عام 832 (الضوء اللامع للسخاوي ج 7 ص 279 طبعة القاهرة 1354) توفي عام 836 هـ 1432م.

ـ) محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن أمه أم هاني ابنة الشريف علي الفاسي ولد عام 774 بمكة قرأ في القاهرة ودخل اليمن وتوفي عام 823 ذكر ابن حجر في أنبائه أنه مهر في الفقه كما ورد ذكره في عقود المقريزي (الضوء ص 40).

ـ) وأخوه محمد أبو السرور مات بالقاهرة عام 833 هـ وولد عام 778 هـ بمكة أجاز له ابن فرحون وابن خلدون وابن عرفة والعراقي والهيثمي ودخل القاهرة مرارا (الضوء ص 41).

ـ) محمد بن عبد الرحمن (أو عبد الرحيم) بن سليمان المازني القيسي الغرناطي الرحالة الأندلسي الملقب بالشيخ (565 هـ ـ 1169م).

ولد في غرناطة عام 473هـ/ 1080م ثم بدأ رحلته في الثلاثين من عمره فقضى بضع سنوات في افريقية ثم زار الاسكندرية والقاهرة من عام 511هـ/ 1117م إلى 515هـ/ 1123م ثم قضى أربع سنوات في بغداد بعد مرور عابر بدمشق ثم زار ايران عام 524هـ/ 1130م فهنغاريا التي مكث بها ثلاث سنوات إلى 548هـ/ 1153م وعاد إلى الجزيرة العربية مارا بخوارزم وبخارى ومرو ونيسابور والري واصبهان والبصرة وقد توفي بدمشق عام 565هـ/ 1169م وصنف في بغداد والموصل حوالي 550هـ/ 1155م «كتاب المعرب عن بعض عجائب المغرب» و «تحفة الألباب» (أو الأحباب» ونخبة الاعجاب دار الكتب المصرية ، 11 ش تاريخ ـ خع 2299 (خم / 1637) وقد نشرت «التحفة» عام 1925 من طرف فيران وطبعت عام 1920م/ 1338 في مجلة باريز الاسيوية (G. Ferrand, JA, 1-148 et 1-303)

كما نشر «المعرب» وترجم إلى الاسبانية من طرف

C.E. Dubler (Abu Hamid et Granadino y su ralcion de viaje por Tierras eurasiaticas, Madrid, 1953).

النفح ج 1 ص 617/ ج 6 ص 44/ صاحب خليفة ج 2 ص 222).

ـ) محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكي رضى الله أبو حامد (824هـ/ 1421م)، مهر في الفقه وأذن له بالافتاء والتدريس بالقاهرة.

نيل الابتهاج ص 301/ الضوء اللامع للسخاوى ج 8 ص 41/ الاعلام للزركلى ج 7 ص 67.

ـ) محمد بن عبد اللطيف بن أبي السرور بن العلامة شيخ الحرم التقى عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي ولد عام 843 هـ بمكة اجازة قريبه عبد اللطيف الفاسي وأخته أم الهدى ودخل القاهرة وبيت المقدس ودمشق وتونس وفاس ومكناس مرارا ودرس بالقاهرة ثم عاد إلى مكة وسافر إلى الهند (الضوء ص 77).

ـ) وأخوه محمد ولد عام 852 وقدم القاهرة ثم أخوه محمد الرضى أبو حامد قدم القاهرة مع أخويه (ص 77).

ـ) محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي أخذ الفقه عن أبي الوليد بن رشد وخرج من قرطبة في الفتنة بعدما درس بها وأقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المومن ثم سافر إلى مصر لزيادة خوفه ثم إلى الصعيد ثم مكة ثم اليمن ثم الهند (نفح الطيب ج 1 ص 443/ ج 3 ص 10).

ـ) محمد بن عبد الله الزقاق الفاسي أخذ بمصر عن ناصر الدين اللقاني (السلوة ج 3 ص 282)/ درة الحجال ج 1 ص 251/ (توفي 968هـ/ 1560م).

ـ) محمد بن عبد الله المصرى 1101هـ/ 1690م أجاز محمد الطيب الفاسي له شرح على مختصر خليل (الصفوة ص 205/ عجائب الآثار للجبرتى ج 1 ص 65/ النشر ج 2 ص 137 ـ التقاط الدرر/ تاريخ بروكلمان ج 2 ص 84 و318.

ـ) محمد بن عبد الوهاب السبتي الدمشقي تلميذ ابن الجوزي المتوفي بمصر (عام 637 هـ ـ 1258م)/ الاعلام للمراكشي ج 3 ص 148).

ـ) محمد بن علي بن عبد الواحد بن النقاش شمس الدين أبو أمامه الدكالى المصرى (توفي عام 763هـ).

ـ) محمد بن علي بن محمد اعدلوني الدمناتي المفتى (توفي عام 1306هـ/ 1888م)، أخذ عن علماء مصر حيث بقي ثمانية أعوام وتصدى لفتيا في قبائل دمنات وفطواكه والسراغنة وهنتيفة وجبال درن.

له : (شرح البردة وكتابة على السنوسية) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 118 (الطبعة الأولى) ج 7 ص 66 ـ ط. الرباط.

ـ) محمد بن علي الدادسي ليس من أهل العلم ولكن له سند صحيح أخذ عن الصفوى المقدسي عن زكرياء عن ابن حجر وعن زين الدين المرصفى عن أبي حجر وعن موسى التتائى عن يوسف الشريف عن الجلال السيوطى 999هـ/ 1590م (درة الحجال ص 226).

ـ) محمد بن على المراكشي الأوسى السلاوى نشأ بسلا غادرها عام 618 هـ حيث دخل الشام والعراق وتكريت والموصل ومصر واستوطن مراكش عام 622هـ/ 1225م ولد بمراكش وتوفى بها عام 671هـ/ 1272م وقد روى عن شيوخ عدة ببغداد وحمادة ودمشق. (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 160).

ـ) محمد بن عمر بن ملك ابن جمونة المعافرى نزيل الأسكندرية ولد بفاس عام 548هـ/ 1153م سمع الموطأ بفاس من ابن الرمامة وتوفى عام 574هـ/ 1178م.

(رحلة ابن رشيد ج 3 ص 2) / طبقات القراء ج 2 ص 218.

ـ) محمد بن عيسى بن عثمان بن علي الحميرى الصنهاجي الفاسي تلميذ أبي محمد ابن أبي جمرة انقطع أخيرا بالاسكندرية (726هـ/ 1325م) (الدرر الكامنة ج 4 ص 246).

ـ) محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفاسي أقام بالمشرق خمسة عشر عاما وأخذ عن عشرات الاعلام بالقاهرة وبغداد والقرافة ودمشق والصعيد الأعلى والاسكندرية والقدس وطرابلس وافريقية كما تتلمذ بمصر للأختين ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعة السعدى وفاطمة بنت سعد الخير الانصارية بالقاهرة وتقية بنت الخطيب غيث الأمنازى وقد ضمن مشايخه برنامجه الحافل الموسوم بالنجوم المشرقة وقد حدث بالمشرق والمغرب وهو صاحب (المستفاد في مناقب العباد) بمدينة فاس توفي عام 604هـ/ 1207م (السلوة ج 3 ص 268 / الجذوة ص 159).

ـ) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير المالكى المغربي الأصل المصرى الدار (1232هـ/ 1816م) من المعمرين توفى عن مائة وثلاثين سنة (فهرس الفهارس ـ طبعة فاس 1346 ج 1 ص 92)/ السلوة ج 3 ص 7.

ـ) محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الشمس الغمارى المصرى المالكي النحوى ولد عام 720هـ ولازم أبا حيان وقرأ ببيت المقدس ومكة والاسكندرية انتهت اليه علوم العربية في زمانه.

(توفي بالقاهرة 802هـ/ 1399م) (الضوء اللامع ج 9 ص 149).

وذكر السيوطى في طبقات النحاة أنه تفرد بالنحو على رأس الثمانمائة ضمن خمسة علماء تفردوا بخمسة علوم منهم ، البلقيني بالفقه والعراقي بالحديث والشيرازى صاحب القاموس باللغة (شذرات الذهب ج 7 ص 19).

ـ) محمد بن محمد بن قدور المراكشي اليزمى الاسكندرى (راجع الموسوعة المغربية للمؤلف ج 2 ص 88).

ـ) محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل المغربي الغرناطي (معروف بالراعى).

نزيل القاهرة (853هـ/ 1449م) له (انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام الكبير مالك) خع 1849د (60 ورقة).

رتبه على خمسة فصول (ترجيح المذهب ومسائل الخلاف وتعصبات أرباب المذاهب ومسائل غلط فيها الخاصة).

ورد في النيل (ص 310) وايضاح المكنون للبغدادى ج 1 ص 129/ بركلمان ج 2 ص 83.

ـ) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسي الخ (راجع الموسوعة ج 1 ص 68).

ـ) محمد بن محمد بن وفا الشاذلى أبو الفتح الاسكندرى المغربي.

له :

1 ـ العوفية (خع 2150د).

2 ـ دالية في التصوف (خع 2257د).

ـ) محمد بن محمد الجزولى الدرعى السفير أخذ في مصر عن نجم الدين الغيطى ومحمد بن أبي بكر العلقمى وعن ابن فهد بمكة توفى بفاس 988هـ/ 1580م.

السلوة ج 3 ص 284/ درة الحجال ج 1 ص 238 (راجع محمد بن محمد الدرعى أو لدراوى في السلوة ج 2 ص 235).

ـ) محمد بن موسى المزالى ابن النعمان الفاسي مات بمصر عام 683هـ/ 1284م قبل وصول الرحالة ابن رشيد اليها (الرحلة ج 5 ص 80). وهو صاحب (مصباح الظلام في المستغيثين

بخير الأنام في اليقظة والمنام).

ـ) محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد البدر بن الشرف المغربي الأصل العجيسى القاهرى درس الفقه بجامع طولون والأشرفية دخل الشام والقدس (توفى 871هـ/ 1466م). (الضوء اللامع ج 10 ص 73).

ـ) محمد بن يحيى بن عبد الله بن أبى القسم المحب المصرى المالكي (يعرف بابن الوجدية) نسبة إلى وجدة وكان يكتب بخطه ابن الوجدى كان متفننا مات عام 903هـ/ 1497م (الضوء اللامع ج 10 ص 73 طبعة القاهرة 1355).

ـ) محمد بن يحيى المذبوحي الجزائرى توفى بالجزائر عام 1094هـ/ 1682م كان يكره لقب مذبوحى ويلقبه أصحابه العالم ولد بالجزائر واستوطن تطوان وتتلمذ لسيدى عبد القادر الفاسي أصولى أول من قدم بالجوهرة وشرحها وقرأ بمصر.

(الاعلام بمن غبر في أهل القرن الحادي عشر) لعبد الله الفاسي (مخطوطة الخزانة السودية بفاس) تاريخ تطوان ج 1 ص 345.

ـ) محمد بن يوسف شمس الدين الرجراجي قدم من المغرب مهر في المعقول، ودرس في المنصورة ثم ولاه نور الدين الاخنائى مدرسة الحجازية، وتصدر بجامع الأزهر ثم درس الفقه بالشيخونية (الدرر الكامنة/ نيل الابتهاج ص 271).

* /ف الروخ وكيل المغاربة بمصر (الموسوعة ج 4 ص 90).

ـ) محمد الحصار المغربى الفاسي اتصل به الحاتمى بفاس ورحل معه عام 597هـ إلى مصر قاله المناوى (جامع كرامات الأولياء ج 1 ص 190) (راجع السلوة ج 2 ص 159/ درة الحجال ج 1 ص 223).

ـ) محمد الزيكى القاهرى (المعسول ج 15 ص 193).

ـ) محمد السعيدي أو الصعيدى دفين تطوان (من أهل صعيد مصر ؟).

يقول مؤرخ تطوان محمد سكيرج الشيخ الصعيدى والى تطوان هو من صعيد مصر وبهذه الصيغة ذكره الأديب الرافعى التطواني في ديوانه. (تاريخ تطوان ج 1 ص 324).

ـ) محمد المجيدرى اليعقوبي قيل أنه أحد أربعة لم يبلغ في عصره (عصر سيدى محمد بن عبد الله) مبلغهم وقد رحل إلى الشرق وأكرمه أمير مصر (الاعلام للمراكشى ج 5 ص 88).

ـ) محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى المتوفى بالقاهرة (1322هـ/ 1904م) (الوسيط لابن الأمين ص 374/ الاعلام للزركلى ج 7 ص 311. ولد في شنقيط وأقام بمصر ثم مكة فالمدينة وعاد إلى مصر بعد أن حسده علماء مكة لإكرام الأمير الشريف عبد الله اياه كان علامة عصره في اللغة والأدب آية في الحفظ ضمت مكتبته اللغوية إلى دار الكتب المصرية بالقاهرة (الاعلام الشرقية ج 2 ص 175).

مصنفاته :

1 ـ (الرد على دحلان في سيرته (خع 1782د) كتبه بأمر أمير مكة أبى شرف.

2 ـ (نصر الله ونيل السول بتصحيح بعض ما حرف دحلان في سيرة الرسول)، خع 1782د (م = 1005).

3 ـ تصحيح الأغانى.

ـ) موسى بن عبد الله بن ابراهيم (أبو هارون الأغماتى ابن عطاء أو ابن سنان وأبو هارون وقيل هو موسى بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن هارون (راجع طبقات السبكى ومعجم البلدان) زار مصر والحجاز وما وراء النهر وأقام بنيسابور منذ عام 516هـ/ 1122م (وهو مناظر بليغ شاعر محدث محاضر) (حسب عمر السمرقندى في كتابه القند). خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب ـ طبعة تونس 1966 (ص 302) دعوة الحق ـ عدد 6 (1389هـ/ 1969م).

معجم الأدباء ج 16 ص 71/ معجم البلدان ج 1 ص 224/ طبقات السبكى ومن شعره :

لعمر الهوى انى وإن شطت النـــــوى	لـذو وكبد حرى وذو مدمـع سكــــب
فـإن كانت في أقصى خراسـان ثاويـا	فجسـمي في شـرق وقلبـي فـي غـرب

(معجم البلدان)

الناسك لقب للرحالة ابراهيم بن خلف السنهورى الذي انتحل مذهب ابن حزم ودخل مراكش عام 602هـ/ 1205م.

ـ) ناصر بن عبد العزيز بن ناصر الأغماتي أبو الفتوح الاسكندراني تلميذ السلفى 631هـ/ 1233م (حسب الشذرات).

سمع منه عبد المعطي ابن الابيارى الاسكندرى (693هـ) وشرف الدين يحيى بن أحمد ابن الصواف (705هـ) (شذرات الذهب لابن العماد ج 3 ص 147/ الاعلام للمراكشى ج 7 ص 334 ط. الرباط.

● ..ف الله بن الحسين المصرى (توفى عام 586هـ/ 1190م) (الجذوة (ص 334).

ـ) يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العجيسى العقيلى الزرمالى عالم بالنحو من فقهاء المالكية ولد في عجيسة من قبائل البربر ونشأ في بجاية ورحل إلى المشرق سنة 804هـ/ 1401م واستقر ودرس ومات بالقاهرة له تذكرة تشتمل على فوائد «وشرح ألفية ابن مالك» في أربع أو ثلاث مجلدات.

(الضوء اللامع ج 10 ص 231/ نظم العقيان ص 177/ الاعلام للزركلي ج 9 ص 189).

ـ) يحيى بن عبد الله شرف الدين (الزرهونى) (نسبة إلى زرهون جبل قرب فاس). المالكى (773هـ/ 1371م).

قرأ الحديث في الصرغتمشية له تخاريج وتصانيف تخرج به المصريون (شذرات الذهب ج 6 ص 230). وقد ورد في الدرة (ج 2 ص 489) اسم يحيى بن موسى الزرهوني الحافظ الذي استوطن القاهرة وتولى التدريس في المنصورية والخانقاه الشيخونية عام 774هـ.

ـ) يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النايلى المياني المعروف بالشاوى شيخ جامع الأزهر (توفي عام 1096هـ/ 1684) (فهرس الفهارس ج 2 ص 446) ولد بمصر وكان أميرا للحج المغربي مرتين (الرحلة العياشية ج 2 ص 368/ النشر ج 2 ص 126).

له :

1 ـ «حاشية على شرح أم البراهن «للسنوسى (خع 2097د (م = 212 ـ 264). مبتورة في الأثناء والاخر) شجرة النور الزكية ص 317.

2 ـ حاشية على شرح العقيدة الصغرى وهي (توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد) خم 6757/ خع 2343د (182 ورقة)/ المكتبة الوطنية بتونس (1880م).

كان يحفظ ستين كتابا كمختصر ابن عرفة في ستة أسفار (راجع ثبت تلميذه الشهاب أحمد بن قاسم البونى) (نزهة دائرة الأنظار في علم التواريخ والأخبار) لمحمد بن سعيد مقدين الصفاقسى (ج 2 ص 173 ط. تونس).

ـ) يحيى بن موسى الزرهوني الحافظ الأديب المنطقي استوطن القاهرة وتولى التدريس في المنصورة والخانقاه الشيخونية (الدرة ص 490) (774هـ/ 1372م (شرح على (مختصر ابن الحاجب).

ـ) يحيى بن يوسف بن علي بن محمد ولد بمكناسة عام 788هـ/ 1386م وقدم القاهرة حوالي ثمانمائة وبضع عشرة وأقام بالشام سنين بعد أن دخل الأندلس وافريقية وزار المدينة (الضوء اللامع ج 10 ص 265 القاهرة 1355).

● /ب الدكالي أبو زكرياء الحافظ قدم فاسا وسبتة صحب ابن دقيق العيد كثيرا كان حيا عام 723هـ/ 1323م (الدرة ج 2 ص 489/ الجذوة ص 341).

ـ) اليسع بن عيسى بن حزم الغافقى الجيانى المحدث الحافظ (راجع ابن حزم) توفي بمصر عام 575هـ/ 1179م سكن مالقة والمرية واستقر بمصر عام 560هـ/ وقربه صلاح الدين الأيوبى إليه وكان قد خرج عام 543هـ من مراكش حيث روى صحيح البخارى عن علماء المغرب وكذلك صحيح مسلم وسنن أبى داود.

له (المغرب في أخبار محاسن المغرب) جمعه لصلاح الدين نقل عنه المقرى في النفح (ج 3 م 140 و244) ج 1 ص 125 ـ 248 وصاحب (الحلل الموشية) تكملة ابن الابار ـ عدد 2112/ معجم أصحاب الصدفى ـ عدد 315/ المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون/ يونس بوبهس عدد 196 (ص 242)/ الحلل الموشية ص 78/ الاعلام للمراكشي ج 8 ص 329 (خ).

ـ) يعقوب بن عبد الله الغالالى الفاسي البربرى خرج من فاس بسبب الفتنة بين السعيد وابن أبي سعيد عام 817هـ/ 1414م ذكره صاحب الأنباء نقلا عن خطط المقريزى (الضوء اللامع ج 10 ص 284 القاهرة 1355).

يعيش المغربى المقيم بسطح الأزهر (864هـ/ 1459م) (الضوء اللامع ج 10 ص 287 (طبعة القاهرة 355).

ـ) يوسف بن زكرياء المغربي نزيل مصر شاعر (1019هـ/ 1611م).

له :

1 ـ ديوان شعر سماه «الذهب اليوسفى».

2 ـ رفع الاصر عن كلام أهل مصر (في العامية المصرية) الخ.

(ريحانة الالبا للخفاجى ص 235/ خلاصة الأثر ج 4 ص 501/ ملحق بروكلمان 2/ 394).

ـ) يوسف بدر الدين بن عبد الرحمن البيبانى أصله من مراكش ولد في بيبان بمصر واستوطن دمشق (1279هـ/ 1862م) وهو محدث من فقهاء الشافعية (فهرس الفهارس ج 2 ص 454/ الاعلام للزركلى ج 9 ص 314).

له «التحديث عن نازلة دار الحديث (400 بيت).

ـ) يوسف بن عيسى بن لب الشريس السلوى توفي بسلا عام 629هـ/ 1231م أخذ عن شيوخ مصر والأندلس.



للأستاذ محمد ابن تاويت

أتى إلى مدرسة العاطارين، زائرا لأخي في بيته، يحمل بيده كتابا، وما استقر في جلوسه، حتى شرع في تلاوة هذا الكتاب. وكان آنذاك في مقتبل الشباب، قد نبت عذاره، وطر شاربه الخفيف، حليق الرأس، لا يغطيه الا «قب جلابته» حيث كان هذا الغطاء لازما للطالب لازبا، والا تعرض للنقد اللاذع، وظنت به ظنون النطاعة واللطاعة، والانحراف و«السلكطة»... نحيف الجسم نحيل البنية، على سيمة من الوقار، لا ضحك ولا حتى ابتسام، ولا نزق في تصرف، ولا طيش في حركة.

طالبا كان، يحضر مجالس الكبار من العلماء والطلبة، فكان من الأول، مثل مولاي عبد الله الفضيلي، ومولاي أحمد البلغيثي، وسيدي أحمد بن الجلالي وسيدي الراضي السناني، ومن الأخيرين مثل أخي المذكور، والنبي بوشتا الجامعي.

لم يكن ذلك الكتاب إلا مجموعا من أشعار العراقيين المعاصرين، ولعله كان لمؤلف مسيحي من العراق. انطلق سيدي علال في تلاوة تلك الأشعار والقصائد، في حلاوة سرد وطلاقة قراءة، فكنت من اعجابي بصاحبها، أقول في نفسي، متى أكون مثل هذا ؟

وانتهت القراءة، ولعله سأل عني، أو سأله أخي في شأني، فأشار بتحفيظي للأشعار، من هذا الصنف، وترك المجموع، لهذا الصدد، الذي صادف في قلبي، حبا تداعبه الأحلام، وتحفزه العزائم، وتشرئب إليه الهمم، فاختيرت لي منه، قصائد، أذكر بعضها لأصحابها، وأقتصر في بعضها الآخر على نصها، فكان من أولئك عبد المحسن الكاظمي، بداليته الطنانة، التي مازلت أذكر منها :

سيروا بنا عنقا وشدا
سيري بنا ممسى ومغدى
سيروا فرادى أو ثنى
والجمع للغايات أجدى
لا يقعدن بعزمنا
يوما يرينا الهزل جدا
ولئن تخلف من تخلـ
ـف واستحال القرب بعدا
فالسيف يقطع في يدى
بطل وإن شكل الفرندا
سيروا نؤلف شملها
ونعيدها عقدا فعقدا
إن كان حرب فابتنوا
لي في بطون الصبر لحدا
أو كان سلم فاجعلوا
ذاك الثرى عينا وخدا

تالله لا أرضى الحيــــــــا
ة أرى لديهـا الخـف وردا
أيـروق لـي عيـــش أرى
فيه الكريم الحر عبـــدا
واذا نظـرت إلـى الهـوا
ن رأيت طعم الموت شهـدا
إن لم تكن تجدى الحيـــا
ة بعزها فالموت أجـــدى
أنـا لـم أكن للمجـد إن
لم أبتنى للمجد مجـــدا
نفسي وما ملكت يـــدى
لك يا حبيب النفس تهـدى
أوطاننا أرواحنـــــــا
بل إنما بالروح تفـدى
أو يستعـاض بندهـــا
من ذا رأى للروح نـــدا
أبـدا نطالـب بالحقـــو
ق حقوقنـا أو تستـــردا
أبدا نذب عن الحمــــى
ونرد عنها المستبـــــدا
سيروا نذب عن الحمـــى
ونصـد عنهـا المستبـــدا
نحمـى حمـى أوطاننـــا
ونصونهـا غـورا ونجــدا
أبـدا نجاهـد دونـهـــا
ونكافـح الخصـم الألــــدا
ونرد عنها من عـــــدا
ظلما عليها أو تعـــدى

لقد كانت هذه القصيدة النارية، قد شبت في نفسي وتاججت نيرانها في خلدى، وتمثل لي عبد المحسن الكاظمي، شعلة مقدسة متقدة لا تقوى على إطفاء أوارها الرياح الهوج، ولا تنال من لهيبها مطافيء الدنيا بأجمعها، فكنت لا أذكر عبد المحسن الا تمثلته بتلك الصفة، شهابا يرجم الشياطين رصدا، وما قرأت قصيدته، إلا وشعرت بنفسي تتدفق تدفق السيول العرمة، فشعر الحماس العراقي كله هذه القصيدة، جمعته فأوعت، وشعراء العراق، بوطنيتهم، كلهم في جوف عبد المحسن الكاظمي، وحيا الله كاظمة الفداء...

وحسبت أن شعر عبد المحسن كله يحمل هذه الشحنة من الطاقات المتفجرة، وما شعرت فيه بشيء من الفتور الا حينما قرأت قصيدته الطويلة، في رثاء سعد زغلول، فقد راودت نفسي عليها، فما كانت تستجيب لي، وهي همزية مطلعها :

يـا أم سعـد عـــــزاءا
ثكلت ذاك العــــــلاءا
ثكلت موساك والطـــو
ر واليـد البيضـــــاءا
ثكلـت أبهـى تعالـــى
....

واستمر هكذا مخاطبا مصر وقرأتها على زميلي السيد عبد الكريم العراقي، فعلق عليها «الله يشتت شملها» كلمة استحملتها فما استطاعت مثلها، تعلقا بصاحبها الذى صادف قلبا خاليا فتمكن منه بالرغم من شعورى الكمين فيها والى جانب تلك القصيدة النارية مازالت أذكر أبياتا من أخرى لا أدرى لمن هي ومطلعها :

علمونـا أن الحياة جهـــاد
علمونا أن الجهاد وجـــوب
علمونا أن الحياة ممـــاة
للذي حقه بها مغصـــوب
علمونا أن الخيانـة والغيـــ
ـبة والغدر والنفاق عيـــوب
علمونا أن ابن أدم فيـــه
قوة تنجلي لذكها الغيـــوب
علمونا أن الطبيعة فيهـــا
كل شيء تهواه منا القلـــوب
علمونا حق الحياة لنحيـــا
....

تلاميذ. أذكر منها هذه الأبيات ،

أنتم متعتم بالـــــــــــــؤدد

يا شباب اليوم أشياخ الغـــد

يا شباب درسوا فاجتهـــدوا

لينالـــوا غايـــة المجتهـــــــد

وعد الله بكم أوطانكـــــــم

ولقد أن نجاز الوعــــــــــد

أنتم جيل جديد خلقـــــوا

لعصور مقبلات جـــــــدد

لتكن آمالكم واضعـــــــــة

نصب عينيها حيـــــاة الأبـد

لتكن أفكاركم مبدعـــــــــة

دأبها ايجاد ما لم تجـــــــد

الوفا حفظكم أو رعيكــــــم

بعد عهد الله عهد البلـــــد

لا تمدوهـــا يـــدا واهيـــــة

ليد مفرغة في الســـــــــزرد

كونوا الوحدة لا تفـخهـــــا

نزعات الرأي والمعتقـــــــد

أنا بايعت على أن لا أرى

فرقة هاكم على هذا يـــــدى

عقد العالم شتى فاحصـــروا

همكم في حل تلك العقـــد

كان سيدي علال، في مرحلة الطلب، قد بدأ يقرض الشعر، من هذا النوع، وكأنه كان متأثرا، بتلك الأشعار العراقية المعاصرة، فوجدناه في بعض قصائده، يضمن منها أبياتا. أذكر منها هذا البيت ،

أنا بايعت على أن لا أرى

فرقة هاكم على هذا يـــــدى

وجاءت محنة الظهير البربري، وانفجرت الطاقات الوطنية، ودوت صواعق البغي والفتك، وجلد الشباب الناهض، وسيق أرتالا إلى السجون، ونال من ذلك حظه، يتجاوب، مع سياط الباشا بوشتا.

ومضت بضع سنوات، كان سيدى علال، قد شرع يلقن الشباب، دروسه التي تطوع بالقائها، ما بين العشاء ين، بالقرويين، فكان منها، ما طبع ونشر على الطلبة الراغبين، الذين لم يبخلوا بفرنك أو فرنكين، على اقتناء ذلك الدرس، في بعض المخلفين من الاعراب وربما كان سيدي علال، قد بدأ كذلك، يعلم في احدى المدارس الحرة، التي كان لها الفضل الأكبر، في تنشئة هذه النابتة المباركة وإن كنت غير متأكد، من تعليمه بتلك المدارس، التي ما كانت بعيدة عن إشرافه، إشرافا ما...

وهكذا تجرد سيدي علال، لتربية الناشئة، ولم تعد اتصالاتـــه قاصـــرة علـــى الزمـــلاء، في الدراسـة، من مثل بوشتا الجامعي، الذي كان يطارحه الشعر أحيانا، من ذلك أن سيدي علال، نظر إلى الطلبة، «المدارسية» وهم يهرعون في القرويين وبيدهم مفاتيح بيوتهم، فقال ،

سلاح المدارس مفتاحهـــــــــــا

فتمم السي بوشتا البيت بقوله ،

فإن المفاتيح نعم الســـــــــلاح

كان سيدي علال، يحاول أن يكون مقتديا، بشمائل الرسول، ليكون هو قدوة صالحة للناس، عامة، والشباب خاصة، فمن ذلك أنه صار في مشيته، كأنما ينحط من صبب، عملا بما جاء في السيرة، من وصف مشي الرسول، عليه السلام.

وكان أصحابه، وأتباعه يقلدونه في ذلك، وآخرهم - فيما أدركنا - كان سيدي ابراهيم التازي، بعدما أفرج عنه من سجن عين قادوس، فلزم سكنى فاس، بجوار سويقة بن صافي، ولازم من يومها سيدي علال، ملازمة الظل لصاحبه، وقلده ذلك التقليد.

وبالجملة، فإن السلفية كانت قائمة عليها الريادة الوطنية، وتربية الناشئة تربية اسلامية، فأصبحت بذلك تستقطب حتى الكهول والشيوخ، متعلمين وغير متعلمين، حولها، وجميعهم معتزون بدينهم، فخورون بتراثهم، متشبثون بكل ما تدعو إليه هذه الزعامة الدينية، لدرجة

المقاطعة، لكل انتاج، غير وطني، فالشاي، استغنى عنه بمجرد النعناع، والسكر استبدل به العسل، والاقمشة على اختلافها صار الاقتصار فيها على ما تنتجه المصانع المغربية، اليدوية البدائية، بل الأواني والأدوات التي كانت تتوفر عليها البلاد، في فاس وتطوان.

لقد رجعت من قضاء عطلة بتطوان إلى فاس، لابسا جلابة من «الشركا» فالتقيت بسيدي ابراهيم التازي مصاحبا لسيدي الهاشمي الفيلالي، فقال لي الأول، ما هذه الجلابة ؟ وخجلت، فقلت : إنها بالية (وفعلا كانت كذلك، أعيد تفصيلها، من أخرى، كانت أكبر منها، وخيطت بعد ذلك) فقبل سيدي الهاشمي العذر، وقال : إن كان هكذا، فلا بأس، وسرى عني بهذا.

وتعددت اللقاءات والاجتماعات، واستغلت كل المناسبات، وكان من ذلك، إقامة حفل تأبيني للشاعر أحمد شوقي، رحمه الله، فكان مسرح أو سينما باب بوجلدود، المكان الذي سينعقد به هذا الحفل والذي سيشارك فيه الوطنيون بخطبهم وقصائدهم منتهزين هذا لصالح الفكرة الوطنية، والعمل الإصلاحي الذي كانوا يضطلعون بأعبائه، في قوة وفي دأب، لا يعتريه الملل أو الفتور واللغوب.

ولأول مرة، يجتمع فيه الوطنيون، على هذا الصعيد، بالفرنسيين، وحكامهم العسكريين؛ حيث كان هؤلاء، على معرفة بشعر هذا الأمير؛ أمير الشعراء في بلاد الكنانة، بل العروبة، عامة، لا مصر خاصة، ولربما كان بعضهم على معرفة به شخصيا، منذ تلقيه دراسته بفرنسا، أو اتصاله برجالها، عن كثب، أثناء الحرب العظمى، وهو في منفاه باسبانيا.

ومهما يكن فقد ألقيت الكلمات، بالعربية من المغاربة، وبالفرنسية من أولئك الفرنسيين، كما ألقيت القصائد الطوال التي كان منها، لسيدي علال، على ما أظن، فكان الشباب، ينصت إلى هذا بكليته، من الانصات والاستيعاب، فكنت ضمنهم أنصت إلى القرى، رحمه الله، وهو ينشد قصيدته التي استبردتها، في مطلعها، وطريقة انشادها :

شوقي وما أدراك ما شوقـــــي
شوقي أمير الغرب والشــــرق

وسرعان ما اشتدت الوشائج بين طلبة الشمال الافريقي، وصارت مؤتمراتهم تنعقد به، أذكر منها ما عقد بفاس، في الثلاثينيات، كان من التونسيين، فيها شخصية بارزة، استحوذت على الحضور، ومن المغاربة، وعلى رأسهم كان سيدي علال، والشيخ المكي الناصري كان هذا الحفل، قد أقيم بأحد الرياض، إلى جوار درب بوحاج، من الطالعة الصغرى، فخاطب الخطباء، الذين كانت تتوجه اليهم الأسماع وتتعلق بهم الأفئدة، من الحضور، فكان منهم، المرحوم البريهي، الذي وضع عوده من يده، وتلاه جماعته، متفرغين للإنصات، والبريهي قد فغر فاه اعجابا بالخطب، التي أخذ بها، وإن لم يكن يفهمها، ولا كانت شيخوخته الهرمة، تسمح لسمعه بتتبعها.

وقامت الحرب الإسبانية، وانقطعت الصلات بين المنطقتين، واضطررت لمغادرة فاس والعودة إلى تطوان، ورافقني الصديق الشاب الحرايشي المجادلي إلى دار سيدي علال، لأودعه، ليلة سفري هذا، فزودني بنصائحه ودعا بالسلامة، كما هي العادة.

وامتطيت القطار، بعدما أذن لي من قبل ادارة الجنرال، بحمل كتبي، التي سلمت بها قائمة، ترجمت في الحين بالفرنسية... فوصلت فجرا إلى القصر الكبير، وحجزت مني الكتب، حتى الصباح، فتفحص من قبل الترجمان الإسباني، الذي كان يحسن العربي جيدا كما كان لبقا، وإن سمع مني سخرية به، لأول مروره علينا، ونحن في الانتظار، ولم أكن أعلم أنه يحسن العربية، ففوجئت وتوجست شرا منه.

صار يفهمني أهداف هذا الإنقلاب، وأنه لدرء الخطر الشيوعي الذي كان سيقضي على الوطنية (كذا) والدين عامة...

كان الفرنسيون، على طرفي نقيض مع الإسبان، لدركهم خطورة الموقف الذي كان يرقص فيه العفريت الألماني والقرد الايطالي، وكأن هذه الأزمة، تسلطت على القوم، فتحرشوا بالوطنيين هذه المرة الأخرى، ففتكوا بهم

بعضهما عن بعض. أثر انفصال آخر، وقع بتطوان، بين الصديقين الطريس والناصري، ونجا هذه المرة الوزاني التازي إلى تطوان.

وما وضعت الحرب أوزارها، حتى كان شباب الوطنية يطالبون ـ وجلهم من تلاميذه ـ بعودة زعيمهم من المنفى السحيق والفت في القاهرة جبهة المغرب العربي، التي كان على رأسها الزعيم الحبيب بورقيبة، ويمثل الجزائر الشهيد المكي، ويمثل المغرب زميله في الشهادة والمطالبة أمحمد بن عبود.

وبمساعدة الجامعة العربية، التي كان يترأسها عبد الرحمن عزام، رحمه الله، أصبح الشمال الافريقي يسمع صوته في المحافل الدولية، وفسح له المجال في التحركات الوثابة والجولات الخطيرة.

وفي هذا الظرف سمح لسيدى علال بالعودة إلى وطنه، الذي لم يستقر به، حتى غادره متوجها إلى القاهرة، حيث كان على موعد مع الأحداث الكبار، التي شاهد العالم منها، خلاص الأمير محمد بن عبد الكريم، وانعتاقه من قبضة فرنسا، والتجاءه إلى مصر، حين كان المخاض على أشده، وكان زعماء المغرب مجتمعين على محور واحد، لا فرقّ بين الطريس وعلال وأصحابهما، ولا بين بورقيبة وأتباعه، وكان المكي وحده الممثل للجزائر، التي كان تحررها يعد من سابع المستحيلات، آنذاك وإن كان من رجالها بمصر، مثل الدكتور بومدين الشافعي والفضيل الورتلاني والطالب الازهرى السي الصديق، لكن هؤلاء كانوا في واد، وكان المكي في واد...

كان سيدي علال، يشعر بشيء من الأنزواء، أو من عدم الانسجام، لأن عشر سنوات من المنفى، كان لها الأثر السلبي بين هؤلاء الزملاء الفرقاء، فكنا نزوره، فنكتفي بهذه الزيارة لرجل عظيم، كما كنا نكتفي في زيارة الأمير عبد الكريم، بالالتقاء مع رجل عظيم...

ولكن العظمة الآن، كانت ساهمة، متفكرة، أكثر مما كانت ناطقة عاملة، وكانت الانتقادات، تتوجه من جانب لآخر، ولا أحد يدرك لها هدفا واضحا، والكتلة المتحركة، التي منها «الدراهم» كما كان يقول الزعيم بورقيبة، وهو يحتد في لهجته، مخاطبا عبد الرحمن عزام (خصنا الدراهم).

كان سيدي علال، على حالة من الرهف في الحس، جعلته يأخذ أصحابه وأصدقاءه بما يعتقده تقصيرا منهم في حقه، وإنّ لم يكونوا بذاك، في قرارة أنفسهم، وكانت ساحتهم على براءة ونقاء وحسن نية وطوية.

من ذلك أني تزوجت، واستدعيت زملائي لحفل الزفاف، ولم يدر بخلدى أني أصعد لاستدعاء سيدي علال، وكان ذلك غفلة مني، وبعد أيام التقيت مع سيدي علال، فبادرني بقوله : سمعت أنك احتفلت بزفافك، فقلت : نعم، فقال : واستدعيت الناس ولم تستدعني فقلت : ما ظننت أني سأرقى إلى هذا الشرف، فاحتد قائلا «أخلاص علي من بخل التطاونيين»...

لقد كنت صادقا في اعتذاري، ولكن سيدي علال، لم يقبل هذا، واشتد في غضبه، وكان علي أن أدرك ذلك الإرهاف الذي كان قد انتهى بحسه إلى هذه الدرجة، التي ما كنا نقدرها قدرها.

ومن ذلك اعتزازه الشديد بنفسه وبمقوماته القومية، فكان هذا مما يزيد في عزلته المختارة، فكنا في مصر يصدق علينا المثل العربي «من دخل ظفار حمر» وبذلك كنا نتحدث باللهجة المصرية، حتى مع بعضنا البعض، تلقائيا بدون كلفة أو تكلف، أما سيدي علال فقد أصر كل الاصرار على التكلم باللهجة المغربية، وامتنع كل الامتناع أن يجاري غيره في غيرها، قائلا : إن من أراد أن يحدثني فليحدثني بلغتي المغربية، أما أن أحدثه أنا بغيرها، فلا أنزل إلى هذا المستوى...

ثم عاد سيدي علال إلى المغرب، وعاد عبد الخالق الطريس، واستقرا معا في طنجة، حيث كانت لذلك العهد، قد تواطأت فرنسا وإسبانيا، على تضييق الخناق، تجاه الوطنية ورجالها، وكيف لا ومحمد الخامس يعلن في خطابه التاريخي انضواء المغرب تحت راية العروبة ويشيد بجامعتها، وخليفته بتطوان، يوجه وفده إلى القاهرة

للمساهمة في جلساتها، مساهمة كان لها ما بعدها وعجلت بالاستقلال...

لقد عدت بعدهما إلى المغرب سنة تسع وأربعين، ورست بي الباخرة في طنجة، حيث اجتمعت مع المرحوم الطريس، وعدت سيدي علال الذي كان طريح الفراش في بيته، رحمه الله، ونصحني الطريس بالعودة على عقبي، بعد ما كان بمصر يشجعني على العودة للوطن...

وشاء الله أن يوقع الاستعمار في مقبرته الأخيرة، فتقدم فرنسا، اقدامها الرعن، وتجرؤ على نفي سيد البلاد وملكها المفدى، ومن رعونتها، عدم اشراك اسبانيا في جريمتها، ولو بالاستشارة معها، فاعتبرت اسبانيا هذا التصرف، مهينا لكرامتها، وغضبت لذلك غضبتها الكبرى، وحاولت فرنسا أن تركب رأسها، فنفت من الطنجيين وفتكت بالفدائيين ثم حاولت أن تحاكم الزعماء بها محاكمة، أرادتها، وأراد الله غيرها فاستدعى سيدي علال والشيخ المكي الناصري الذي رفض المحاماة عنه بغيره.

وكانت الانتفاضة العارمة وكانت الفدائية المثلى، والجهاد المقدس ثم عودة الملك، وبيده وثيقة الاستقلال ومشعل التحرير، وتنفس الزعماء وعلال الصعداء، ولم يــرد أن يخلد إلى هذه الزعامة، وحدها، بل وجدناه يدلي بدلوه في شتى الميادين، فهو يساهم في إعداد المدونة المغربية الجديدة، ويكون المقرر في جماعتها، وهو يلقي دروسه في كلية الحقوق بالرباط، ثم لا يعتذر من القيام بأعمال أخرى حينما تناط به.

وفي أواخر الستينيات، طلبت الإذاعة منا ، سيدي علال، والعبد الضعيف، أن نتولى إعداد أحاديث، حول «اللغة والقومية العربية» لتلقى على أمواج الأثير، وكان ذلك، كما يبدو، بايعاز من المدير الدكتور المنجرة.

وأســس مجلس الدستور، وفي رمضان، دعينا إلى جلسة، فامتطينا القطار، الذي كان لنا مجانيا، وأخذنا طريقنا إلى الرباط، ولما انتهينا إلى سوق الاربعاء، خرج أحدنا ليسأل عن أذان المغرب، ولم يلبث أن عاد إلينا ينتحب بكـــاء وشهيقا، فقلنا، مالك ؟ أجاب سمعت بوفاة الملك محمد الخامس، فقلنا له، تريث حتى نتأكد من الحقيقة، فاستمر، رحمه الله في شهيقه وعويله.

ولما وصلنا إلى الرباط، وجدنا المدينة وما فيها، في هول عظيمة، الاضاءة ضعيفة، والناس في ذهـــــول والمتاجر مقفلة... وترددنا على المطاعم، ونحن على صيامنا، فما طعمنا، والمقاهي قد لبست الحداد، وغلقت أبوابها، والسويقة، وحدها وجدنا بها دكان لبان، أصبنا من خبزه ولبنه، وقباله، نجار منهمك في اعداد، ما يتطلبه اليوم التالي العصيب...

وفي صبحه توجهنا إلى بناية المجلس، فوجدنا، سيدي علال، والسيد الرئيس مسعود الشيگر، وعلى تبادلنا للتعازي في فقيد الأمة، هرعنا، ومعنا رابع، إلى القصر الملكي، لنعرب عن حزننا الرفين، فسجلنا ذلك في دفتر التعزية، كلمة كتبها سيدي علال، ثم وقعناها جميعا.

وأحدثت وزارة الشئون الإسلامية، التي تولاها سيدي علال، لأول ما تولى، واستدعاني اليه، عارضا علي العمل العلمي بها، فاعتذرت ببصرى، الذي فقدت منه الكثير، فأسف لهذا، وودعته شاكرا، وأتبعني بترديد «لا إله إلا الله»... كأنه يتذكر ما يعترى الإنسان، من بلاء، في هذه الدار (دراهم وغم وبلاء، كما في الحديث).

ومضت بعدها السنون، وتوفي سيدي علال، وهو خارج وطنه، يعمل من أجله، والرفع من كلمته، متفانيا في رسالته، فخففت إلى الرباط، حيث توجهت إلى الدار، التي وجدت بها السادة، ابن عبد الجليل والهاشمي الفيلالي وعبد الكريم غلاب، فقال لي الأستاذ غلاب، أن آخر كلمة سمعناها منه، ونحن نودعه، ليمتطي الطائرة هي «اتصلوا بمحمد بن تاويت» فاغرورقت عيني ورددت كلمته «لا إله إلا الله»، ثم سألت عن مقتضى هذه الكلمة الغالية، فقال ؛ إنه كان يعد العدة لذكرى الإمام البخاري، فاقترح أن تكون ضمن المساهمين فيها...

حينئذ حكيت له، ما كان منه إزائي، في تلك التنشئة الأدبية المبكرة، فابتسم السي عبد الكريم، ولم يعلق عليها ببنت شفة، نعم هكذا عرفت سيدي علال.

رحم الله سيدي علال، كان رجلا ولا كالرجال، وكان قدوة للأجيال.

من المحاور الإعلامية في فكر

الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

للأستاذ مصطفى بوهلال
(تونس)

بيقين إجماعي، تصدر المفكر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - طيب الله ذكره -، مرتبة متعالية ضمن مجلس العلماء المناضلين، شاغلا الناس بآرائه الملتزمة ورؤاه المتزنة، تلك التي ضمنت لها الرسوخ بالجمع بين القول والفعل، في حوارية مع الذات والتراث والمستقبل لا تقبل التسليم بالأمر الواقع ولا بضحالة المعرفة ولا باللهاث وراء التقليد أو الانسلاخ بدعوى (المعاصرة) كما ولا بالبقاء المتزمت في عزلة عقلية هروبية بحجة صيانة (التراث)، ولتلك هي الفحولة، أن تستوعب أصول الحضارة التي تنتسب إليها والفروع، في وعي، إلى جانب غزوك آفاق مدنية الحاضر والجذور، في إدراك لام، مع جمعك بين أطراف مجموع ذلك بتفحص ناقد، وتمييز منسق، وفي ترابط مشروع دون نشاز أو تناقض أو تشويه للشخصية...

بمثل هاته الشحنة نظر المغفور له، شيخنا الفاضل، في أسس الدعوة الإسلامية وفي منزلة مسلمي اليوم، ومكانة الأمم المتحضرة والمقومات، وبذهن تعليلي، أقام مقارنات موقظة، ركزها على التطلعات المستقبلية وتعيين الداء والأعراض، وإماطة اللثام عن الدواء الشافي، وعن مواصفات شروط نهضة المجتمع الإسلامي، وإذا بك - إذن - ناظر إليه وقد قرن موضوعات الشريعة بمناحي السياسة والأخلاق والأدب وعلم النفس الاجتماعي والتاريخ الحضاري.. وتلك منارات هادية هي من أبرز المحاور الإعلامية في التفكير (العاشوري)، ولصفاء ذاك الأفق النير انجذب المثقفون انجذابا إلى هذا اللون من الإعلام الموجه لناس العصر لينصلح حالهم وتزال عثرتهم وتسند أنفسهم ويثرى سعيهم.

ترى - للتذكير - من هو محمد الفاضل ابن عاشور ؟

ولد شيخنا الفاضل يوم 2 شوال 1327 هـ 16 أكتوبر 1909 م بالمرسى قرب العاصمة، أما والده فالشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، شيخ الجامع الأعظم، جامع الزيتونة - سابقا - والمفسر المحدث المفتي والأديب.. (1)

1) ولد سنة 1296 هـ 1879 م بتونس، نال من المعهد الزيتوني شهادة (التطويع) سنة 1899 و(التدريس) من الطبقة الثانية سنة 1903 ومن الطبقة العليا سنة 1905، كان مدرسا بالمعهدين الزيتوني والصادقي، عمل قاضيا بالمحكمة العقارية ثم قاضي القضاة بالمحكمة الشرعية العليا، ثم سمي شيخ الجامع الأعظم وفروعه سنة 1351 هـ 1932 م فطور مناهج الدراسة الزيتونية إلى 1380 هـ 1960 م، توفي يوم 13 رجب 1393 هـ 12 أوت 1973 م، له : (النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح) و(مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام، تحقيق) و(تفسير التحرير والتنوير) و(كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ)..

ويرجع نسب هاته (2) الأسرة إلى الشيخ محمد (بفتح الميم) ابن عاشور أحد أعيان الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب والمولود بسلا سنة 1030 هـ 1620 م والذي استوطن تونس عام 1060 هـ 1649 م إلى أن مات بها عام 1110 هـ 1698 م (2). وقد هز الحنين الشيخ المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور إلى موطن الأجداد الأوائل فقال يوم جولته بالمغرب الأقصى من عام 1944 : «وإذا القدر يسوقنا في سرعة إلى الضفة الأخرى من وادي أبي رقراق لنتغذى أول غذاء لنا بالمغرب في مدينة سلا الباهرة الجمال. وقد كانت المقر الأول لعائلتي حين نزحت من الأندلس قبل الالتحاق بتونس (3)».

وعندما بلغ الشيخ الفاضل سن تقبل التعليم، بدأ في حفظ القرآن العظيم ومتون الأجرومية والمرشد المعين والألفية والعاصمية. كما شرع في تعلم الفرنسية. وكل ذلك كان بالمنزل. ثم انخرط بجامع الزيتونة عام 1341 هـ 1923 م ليتخرج بشهادة التطويع سنة 1347 هـ 1928 م مواصلا دراسته العليا في جبهتين : جامع الزيتونة، ومعهد اللغة والآداب العربية.

وخلال هاته الفترة كان يتردد على قاعة المسرح البلدي ليحضر العروض الروائية التي تقدمها فرق تمثيلية من تونس ومصر، وحين عودته إلى المنزل يحرص على المحاكاة والتقليد في جمع من الأقرباء والأجوار. على أداء نشاطات فكرية وحركية متنوعة، من تقمص لشخصيات إلى القيام بدور المحاضر. وعلى هذا النسق لقي نفسه : «يقيم ختم الحديث في كل رمضان بالقاء درسه أمام الجد وسيدي الوالد وعمي وخالي وكل أفراد العائلة» (4) كما أعلن شقيقه الأستاذ عبد الملك ابن عاشور.

وكما أشاع المرحوم الفاضل في حياته. توزعت أوقاته - إلى جانب الدراسة النظامية - بين :

«1) اتصالات بسيدي الوالد ومحادثات فكهة معه. كانت تترقى في مستواها العقلي والأدبي. على حسب تقدم سني واتساع معرفتي.

2) مطالعات في الكتب....

3) تتبع الأحاديث التي تجري بين والدي وجدي وعمي والذين يزورونهم فيسمرون معهم بين محاورات العلم ومجادلات السياسة ونكت الأدب والمفاكهة» (5).

وبهذا نرى أن الوسط الأسري للشيخ، له الأثر الأكبر في التنشئة والبروز. فعناية الكل به إزاء مالاح عليه من نباهة واقدام جريء على المشاركة في المسالك العلمية منحته تمكنا ووثوقا. مما دفع به إلى الاسهام في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، ومن ذلك عمله في صلب الجمعية الخيرية ونادي طلبة شمال افريقيا. والاتحاد العام التونسي للشغل الذي يعتبر من مؤسسيه مع الشهيد فرحات حشاد. (6) وكذلك عضويته بالديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي، (7) ورئاسته لفترة من حياة الجمعية الخلدونية التي تأسست - كمعهد تعليمي حر - لتكمل النقص الحاصل ببرامج الدراسة الزيتونية كالرياضيات واللغات الحية... (8)

وقد واظب - كما قال رحمه الله - على : «المحاضرة على منبر الخلدونية وكان موضوع محاضرتي الأولى (القاضي الفاضل) (9). واستمر على هذا المنوال طول حياته الثرية. في ثبات وعلو كعب. فهو المدرس بالجامعة

---

2) انظر ترجمته في : (ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان) لحسين خوجة. تحقيق الأستاذ الطاهر المعموري - طبع الدار العربية للكتاب. تونس ليبيا. ص 281.

3) (ومضات فكر) للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - الدار العربية للكتاب سنة 1983 ص 261.

4) نفس المصدر، ص 26. وقد اعتمدت منه تقديم الأستاذ عبد الملك ابن عاشور عند وضع هاته السيرة بالإضافة إلى مجلة (الندوة) ع 8 نوفمبر 1956 - تونس، ص 35 : أدباؤنا بأقلامهم.

5) مجلة (الندوة) ع 8 نوفمبر 1956 ص 35، 36.

6) اغتالت المنظمة الاستعمارية الفرنسية (اليد الحمراء) الزعيم النقابي حشاد في 5 ديسمبر 1952 م.

7) تأسس إثر عقد مؤتمر قصر هلال في مارس 1934 م بزعامة الرئيس الحبيب بورقيبة.

8) أسست سنة 1896 م لهدفين : - تدريس العلوم الإنسانية وبالعربية. - المحاضرة التثقيفية.

9) مجلة (الندوة) ع 8 نوفمبر 1956 ص 64.

الزيتونية. (10) وبالمعهد الصادقي (11) لأكثر من ثلاثين سنة. وهو المحاضر الذي يشدك إليه شدا فلا تستطيع فكاكا. وكنا نحضر مسامراته التي يرتجلها - أيضا - من على منبر المسرح البلدي. أو بين عرصات الجامع الأعظم فيهز الفكر هزا... ولم يقصر نشاطه على هذا النمط. بل نشط داخل مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وجامعة الجامعات بفاس. والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ومجالس الدروس الحسنية بالمغرب. فالمعروف أنه «حاضر بالبلاد الافريقية والأسيوية والأوروبية مصححا للمفاهيم. وموضحا للقضايا المشكلة» (12). ومن ذلك مساهمته الفعالة في مؤتمر المستشرقين بفرنسا عام 1948 وبتركيا سنة 1951 حيث ألقيت - يحدثك عن نفسه - محاضرة باللغة الفرنسية عن كتاب غريب لابن حزم في الاحتجاج لمذهبه ضد القياس. وقد ترجمتها بعد إلى العربية. ونشرت في عددين من المجلة الزيتونية سنة 1952» (13).

ولقدراته تلك. عين بقرار جمهوري مفتيا للديار التونسية. ثم عميدا لكلية الشريعة وأصول الدين. المؤسسة بالأمر الصادر في مارس 1961 إلى أن توفاه الله تعالى في 14 صفره 1390 هـ 20 أفريل 1970 عن ثلاثة وستين سنة معطاء «فبكته تونس وبكته معها مصر أحر البكاء. وبكاه كل من عرفه من أبناء العروبة والإسلام» (14).

وأزيد : لم بكاه كل من عرفه من أبناء العروبة والإسلام ؟ بكلام ثان : ما أوجه البروز في «عروبته» و«إسلاميته» ! أي خصيصة طبعت عمله الفكري بطابع الشمول والمعاصرة والإصلاح ؟

مصادر إعلاميته وعمد الجدلية فيها :

لتأصيل منهجه الإعلامي وتجذير دعوته التنويرية. تتراءى لي مصادر ثبتت جلية راسخة. أشير إليها في التلخيص الوارد :

1) مخالطته منذ الطفولة المبكرة لعظماء رجال الإصلاح. كما ولكبار العلماء اليقظين. فهو كلف إلى حد بعيد بملاحظة أولئك الدعاة كلفا واعيا اقترن بالاقتداء الحسن. وهذا أمر يدركه بيسر كل من طالع كتاباته عن المصلحين وأصحاب المعرفة. ككتاب (تراجم الأعلام) (15) و : (أعلام الفكر الإسلامي...)... على أن تأثره بهم. وملاحقته لحركاتهم. سواء بالاحتكاك بهم كالعالم الزعيم المرحوم علال الفاسي (16) الذي كانت صلته متينة بالعائلة السياسية والعلمية بتونس عموما وبالأسرة العاشورية خصوصا. حيث كان صديقا حميما للشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور.. والأخذ عنهم مباشرة كالأديب الشيخ محمد الخضر حسين... (17) أو عن طريق والده ذي الباع

---

10) تواصل التعليم بها ابتداء من القرن الثالث الهجري. وانتظم بأكثر ترتيب منذ ظهور الحفصيين أوائل القرن السابع للهجرة. وتتابعت عليها القوانين التنظيمية إلى عهد الاستقلال حيث صدر قانون توحيد التعليم التونسي آخر العقد الأول من النصف الثاني من القرن العشرين. والأمر الصادر في أول مارس 1961 بإحداث كلية الشريعة وأصول الدين داخل الجامعة التونسية كان المرحوم ابن عاشور أول عميد لها.

11) بتدبير من الوزير المصلح خير الدين التونسي (ت 1308 هـ 1889 م) أنشئت المدرسة الصادقية بأمر صادر في 1291 هـ 1875 م. وقصد المصلح خير الدين من إنشائها إذاك هدفين : (الأول : إيجاد معهد علمي يلجه التونسيون بدل المدارس الأجنبية (فرنسية. يهودية. إيطالية) والثاني إيجاد عقلية جديدة للشعب التونسي حتى يستطيع مسايرة التطور العالمي) الأستاذ محمد الصالح المهيدي - مجلة (الندوة) ع 1. 2 - جانفي. فيفري 1957 ص 9.

12) الأستاذ هشام ابن محمود - جريدة (الصباح) 22 أفريل 1980 : تحية لروح فضيلة الشيخ العلامة محمد الفاضل.

13) مجلة (الندوة) ع 8. نوفمبر 1956 ص 67.

14) من تأبين د/ منصور فهمي. له في الدورة 37 لمجمع اللغة العربية - انظر (ومضات فكر) ص 40.

15) صدر عن الدار التونسية للنشر سنة 1970.

16) بفاس ولد سنة 1915 تعلم بالقرويين فنال (العالمية) عام 1932. أسس وساهم في الكثير من الحركات الطلابية والسياسية والنقابية فطورد من طرف سلطة الحماية الفرنسية وسجن لأول مرة صيف 1930 لمقاومته مع المغاربة الظهير البربري. ونفي بالقابون فأضرب - ممن أضرب واحتج - التونسيون بقرار من زعيم الحزب الحر الدستوري التونسي الحبيب بورقيبة. وعاد الزعيم علال الفاسي بعد تسع سنوات أي سنة 1946 إلى وطنه لينشط مجددا في دائرة حزب الاستقلال. ثم أخرج عارضا قضية الاستقلال في أنحاء العالم. وعند نيله عاد مؤسسا الصحف داعيا إلى وحدة المغرب العربي الكبير ومحاضرا نشيطا بالمغرب وخارجه. ولا ننسى من محاضراته بتونس - حين زارها في نوفمبر 1958 بدعوة من رئيسها صديقه المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة - محاضرته (هدف الساعة) ولحسن الحظ - في هذه الفترة - أن سعدت بتحيته وهو بصحبة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يمران بمكتبة العبدلية. بجامع الزيتونة نحو مقصورة المخطوطات. توفي - غفر الله له - عصر الإثنين 13 ماي 1974 ببوخارست عند لقائه برئيس رومانيا. فبكاه الجميع (انظر تأبين مجلة (الفكر) - مثلا - س 19 ع 9 جوان 1974 ص 140 وما بعدها). شاعر ومؤلف. له : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي - دفاع عن الشريعة - النقد الذاتي...

المديد في حركة الإصلاح التعليمي بتونس (18) والمتتلمذ للمصلح الأستاذ سالم بوحاجب (19)، والمتأثر بفكرة الإمام محمد عبده الإصلاحية (20).

صحيح أن من مصادر النظرية الإعلامية العاشورية حركة الإصلاح والتنوير التي ألهب أوارها جمال الدين الأفغاني (21) ومحمد عبده (22)، في الشرق، وخير الدين التونسي (23) وسالم بوحاجب، في تونس، إلا أن الذي يزيدها نضارة وتمكنا :

2) إلمامه الجامع لأوضاع العالم الإسلامي، والإنساني، الممتدة في الزمان والمكان نتيجة تجواله الدارس، في أكثر أنحاء الكرة الأرضية، وتفاعله بالشخصيات البارزة وذوي المسؤوليات، والفئات المثقفة، سواء في نطاق المؤتمرات العلمية والندوات الأدبية ومجالس الدرس والتناظر، أو خارج هذا الإطار، إذ هو الغائص الدؤوب في سجلات الحضارات البشرية... وكل ذلك التشخيص الدقيق، قوى من توجهه نحو رصد الحياة - في مجتمعه خاصة - بجميع ألوانها.. كما وانسجامه الحي في مسار حركة الانبعاث في عمومية موضوعية، وتعليلية مقارنة، وها هو - كنموذج من مواقفه التفسيرية إزاء علل الكبوة وعوامل النهوض - يعرض خلاصة جامعة كتحليل مدخلي لفهم الأسرار، ومظاهر ظهور البطولة في الأدب العربي الحديث :

«إن الاصطدام بين العرب والغرب، إذا نظرنا إليه بصفة عامة، تبين لنا أنه لم يكن أمرا طارئا حدث في القرن التاسع عشر، بل كان حاصلا مسترسلا باطراد منذ التقت قوات الفتح العربي بقوات السلطنة البيزنطية في يوم اليرموك، ثم استمرت مظاهره متوالية متجددة في عصر الفتوح وعصر الصليبيات المشرقية منها والمغربية في البطولات التي صورها أدب الفتوح والتي صورتها مدائح أبي تمام وأبي الطيب ومفاخر أبي فراس والتي صورها الشعر العربي في الأندلس والمغرب.

... ولكن اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية، وما كان للبطولات مع تلك الظروف المختلفة من تفاعل هو الذي قضى بأن تظهر البطولة في كل دور من أدوار الأدب وكل لون من ألوانه مكيفة بصورة تختلف عما عداها باختلاف ما تتفاعل معه من البيئات..

---

(17) ولد بنفطة عام 1293 هـ 1873 م التحق بتونس وعمره 12 عاما لينخرط بالزيتونة. تولى القضاء والتدريس هاجر إلى دمشق ثم إلى مصر عام 1920 لينضم إلى علماء الأزهر ومجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق. ترأس تحرير (لواء الإسلام). توفي عام 1377 هـ 1958 م. نشر له - بدمشق - ديوانه خواطر الحياة عام 1978، ط 3 و (الهدية الإسلامية) عام 1976، و(تونس وجامع الزيتونة) عام 1971...

(18) انظر تفصيل ذلك في كتابه (أليس الصبح بقريب) نشر الشركة التونسية للتوزيع سنة 1967.

(19) ولد ببنبلة بالساحل التونسي سنة 1244 هـ 1829 م. تعلم بالزيتونة وعلم بها من سنة 1265 هـ إلى 1330 هـ (65 سنة). توفي عام 1343 هـ 1925 م. كان صديقا معينا للوزير خير الدين التونسي. أنظر عن دوره الإصلاحي أ = بحث : الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن 19، للأستاذ الحبيب الجنحاني - حوليات الجامعة التونسية ع 6 س 1969. ب = كتاب (تراجم الأعلام) للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، ص 221. ج = مقالة : سالم بوحاجب، للشيخ المرحوم محمد الهادي العامري، مجلة (الهداية) ع 5 س 5 جمادي الثانية 1398 ماي 1978. د = كتاب : (شجرة النور الزكية) للشيخ المرحوم محمد مخلوف، ص 426.

(20) ذكر الأستاذ المنصف الشنوفي، في حوليات الجامعة التونسية ع 3 س 1966 : (مصادر عن رحلتي الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى تونس) بهامش ص 100 = (لقد تفضل الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فأطلعنا على مذكرة من تحرير والده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أثبت فيها ما راه وما سمعه في المأدبة التي حضرها الشيخ عبده يوم 16 سبتمبر 1903 بدار الشيخ محمد محسن الأكبر بتونس).

(21) ولد عام 1254 هـ 1839 م وتوفي سنة 1314 هـ 1897 م. دعا إلى إصلاح العقول والنفوس ثم الحكومة على أساس الدين. اقرأ عنه وعن محمد عبده : أ) كتاب (زعماء الإصلاح) لأحمد أمين. ب) كتاب (رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي) للدكتور عثمان أمين - سلسلة المكتبة الثقافية..

(22) ولد بمصر عام 1266 هـ 1849 م وتوفي عام 1323 هـ 1905 م تركزت دعوته حول (تنوير الذهن) يقول : (إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه).

(23) خير الدين التونسي أصله من الشوقاز، أتي به من الأستانة مملوكا لباي تونس أحمد باشا (1837 - 1855) تعلم بالمدرسة الحربية بباردو سنة تأسيسها 1256 هـ 1840 م فحذق الفرنسية والتركية إلى جانب العربية، عمل بالجيش ضابطا ثم أمير لواء الخيالة ثم وزيرا للحرب سنة 1273 هـ 1857 م. رحل مرات إلى أوروبا- فأنشأ كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) ترأس الحكومة من عام 1873 إلى 1877. خرج إلى تركيا مقيما فأسند إليه السلطان عبد الحميد الصدارة العظمى. توفي عام 1308 هـ 1889 م. لمزيد التعرف على منزلته الإصلاحية عد إلى : أ) بحث الأستاذ الجنحاني المشار إليه بهامش عدد 19. ب) خير الدين التونسي - للأستاذ أبو القاسم محمد كرو، ط 1 = سلسلة كتاب البحث سنة 1958، وط 2 = سلسلة أعلامنا سنة 1973. ج) زعماء الإصلاح لأحمد أمين ص 146. د) خير الدين باشا مصلح - ومفكر من تونس، د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى، مجلة (العربي) ع 278 ربيع الأول 1402 يناير 1982 ص 127.

وليس من الخفي بعد هذا أن اصطدامات العرب مع الغرب لم يقترن بها الشعور بالمغلوبية المطلقة والخيبة المحدقة إلا في أواخر القرن الثامن عشر. فقد كان الشعب العربي في العصور الماضية كلما نزلت به كارثة من أجل صراعه مع الغرب وجد لها في حياة العالم الإسلامي الذي هو جزء منه عزاء ووجد قريبا أو بعيدا مظهرا من مظاهر العزة الإسلامية ينيط بها أمله.

أما في القرن التاسع عشر فإن العالم العربي حين استيقظ بتوالي المصائب وتعاقب الأرزاء قد تلفت حواليه فلم يجد جهة إسلامية تلوح منها بسمة عزاء أو تنبعث منها بارقة أمل فعشش اليأس في النفوس ثم باض وفرخ حتى ساد على المجتمع الشعور بالخيبة المريرة وانعقدت فيه عقدة الشعور بالنقص.

وجاءت الغارة الفرنسية الأولى على بلاد العرب في صدر القرن التاسع عشر غارة نابليون... إلا أن عند هؤلاء المغيرين من أسباب النصر وعوامل التفوق أمورا من الأدبيات والماديات ليست عند العرب فأدركوا بالضرورة أن الذي أصبحوا يجدونه من غلبة الأوروبيين في كل ميدان. وسبقهم في كل مجال إنما هو منوط بتلك الأسباب التي انفردوا بها وأنه مادامت ديار العرب خلوا من تلك الأدوات والأسباب فلا أمل لهم في اللحاق بأعدائهم فضلا عن التغلب عليهم.

... وكذلك ابتدأ شعور الأمة العربية من أول القرن التاسع عشر يتحرك في سبيل الأخذ بسبب النهضة الفكرية والصناعية لحماية نفسه من الخطر الماحق الذي جاء يتهدده من الغرب.

وحين دب في الأمة هذا الميل وبدأ الأفراد يسعون لإرضائه أحس كل فرد بعلة نفسية مستحكمة فيه هي علة الفتور على العمل.. فكان شعور الأمة بهذا الضعف المشاع بين أفرادها عاملا على تطلعها إلى بروز قوة خارقة عزيزة المنال تستطيع أن تحقق ما أحس الكل بافتقارهم إليه ولكنهم عجزوا عن تحقيقه. ومن هنا برزت بطولة الأفراد...» (24).

وعلى هذا التعليل يصنف البطولات العربية في القرن التاسع عشر موازنا. فيأتي على تقييم البطولات الأولى كمحمد علي والي مصر والسلطان محمود الثاني، ثم بطولات حركات الإصلاح الديني (محمد بن عبد الوهاب - في الحجاز - والسلطان سليمان العلوي - في المغرب الأقصى - والسنوسي - في ليبيا -) وبطولات تنقية الحكم (خير الدين التونسي. مدحت باشا...) وبين هاتين بطولة الرأي وبطولة العمل - حسب اصطلاحه - : (جمال الدين الأفغاني، سالم بوحاجب. محمد عبده. مصطفى كامل...) لينتهي إلى اعلاء دور الشعر في التعريف بهاته البطولات والتمكين لها.

3) درسه المتواصل، في تعمق، للتراث العلمي الإسلامي، انطلاقا من حلقات الدرس الحافلة، بالجامعة الزيتونية، فقد أتاحت له هاته الثقافة الاقتدار على استيعاب دعوة الإسلام الاستيعاب الواعي الناصع، الذي تعزز بما كان يجده صاحبه من فرائد المؤلفات في مكتبة والده الزاخرة... ولا شك في أن من هاته المناهل استقت حركة شيخنا التوعوية النسغ الدفاق.. غير أنه لضمان التفاعل المثمر والتلاقي الايجابي في عملية الاتصال، لابد من توفر شروط أساسية، كما يؤكد الاعلاميون. فـ «إن الذي يبحث في تاريخ الإعلام الإسلامي لا بد أن تكون له أصالة حقيقية في الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والمذاهب الإسلامية، ولا بد أن تكون في نفسه أصالة حقيقية في علم الاتصال الذي يشتمل على فنون كثيرة» (25).

ترى، كيف تتراءى لنا جذور الأصالة في مسيرة التبليغ عند الشيخ الفاضل ؟ أو بتركيب ثان ، ما مقومات الجدلية الإعلامية كما برزت في عمله ؟

مسبقا، أسارع إلى التأكيد على أن حذق الشيخ ابن عاشور لفن الاتصال إلى جانب براعته المعرفية - كما

---

24) تعليق الأستاذ الفاضل ابن عاشور على محاضرتي سهيل إدريس وعبد الرزاق البصير - مجلة (الفكر) س 4 ع 5 فيفري 1959 ص 77 وما بعدها (بمناسبة مؤتمر الأدباء العرب الرابع بالكويت الخاص بالبطولة في الأدب العربي).

25) الإعلام في صدر الإسلام. د/ عبد اللطيف حمزة. طبع دار الفكر العربي ط 2 سنة 1978.

ألمعت - جعلتنا القلوب تقترب إليه أكثر فأكثر. والعقول. كما أبعدتنا عوامل إثارة الزوابع الهوجاء! وإني لموجز تلكم الدعائم في التصنيف التالي :

1) المواجهة المباشرة الجمعية والجماهيرية ؛ ذلك أنه - رحمه الله تعالى - لم يقصر جهوده على المحاضرة في أماكن التجمع كالمسجد والنادي ودور الثقافة. بل قصد توجيه الرسالة إلى جمهور أوسع.. فالجميع يعلم أن هذا العصر توطد الإعلام فيه باعتماده الغير محدود على وسائل مخترعة كالصحيفة والكتاب المطبوع والمذياع والتلفاز.. معنى هذا، أن على الباحث عن إيصال مقولته بأيسر السبل. وإلى أرحب مساحة وأكثر عدد. أن يستغل هاته الأجهزة المستحدثة. ولقد مال إليها داعينا الفاضل. نافضا عنه الألبسة الوهمية التي يحرص على التزيي بها عديد من المتزمتين المتعالين بـ (علمهم) عن أن يشق طريقه إلى كل بيت.. إلى كل أذن. دونما حواجز اجتماعية أو سياسية. ومن ثمة خف إلى تلك الوسائل موسعا دائرة الضوء والإشعاع. قال الفاضل ابن عاشور : «فلم أبدأ اتصالاتي المباشرة بالصحف والجمعيات إلا بعد نهاية دراستي الثانوية سنة 1928 ومن يومئذ انغمست في العمل بالجمعية الخيرية وقدماء الصادقية ولجان الحفلات بالمرسى والمنظمات والنوادي التي أنشأتها أنا وثلة من إخواني الطلبة...» (26).

2) الصيغة المناسبة عند إرسال الخطاب ، باد لكل من تقبل مقال الشيخ أنه لم يتوقع داخل حلقة تدريسية مصغرة. أو لم يلبس لبوس الأكاديمية. بل دار - مبدءا ومنتهى - حول الإنسان المعاصر. حول مسلم اليوم وغذائه الأساسي اللازم : روحيا، وعقليا، وعاطفيا... إذن هو يحاور الإنسان الخاوي البطن. الفاقد القوة. الضعيف الشخصية. المزعزع القلب. المنهوش الجسم. المخدر العقل. التائه السرب. الهارب بانتمائه..! نعم حاور الشيخ الفاضل مسلم القرن العشرين على هذا الاعتبار رغم اتساع ميدان الحوار !

لكن ما العمل وأنت المقصر في إرشادك إن طلبت إنهاض هذا الإنسان الذي وصفنا بالدوران حول إعادة تسمية نواقض الوضوء وموجبات الغسل وتعداد النوافل وأركان الاعتكاف لا عمل يدفع بنا أقوياء نحو تطهير النفس وتعمير الفؤاد وتنمية الفكر وتزكية المجتمع. غير العمل على أساس إظهار الصلة القوية بين العمل من أجل الدنيا والعمل من أجل الآخرة.. بمعنى آخر : لا مناص من تغذية القلب والبدن والذهن في آن.. وفي هذه السبيل حث شيخنا خطاه الإعلامية حيث ناقش وفكك واستنتج في تعمق العلماء، وتبسيط الدارسين. وإبداع الأدباء، وتيسير الناصحين الغيورين. وبذلك حافظ على حبل الوصل المتباعد عن مسارب التأويل المتحيز. أو الانغلاق المغالي. فأثرى. وزكى، ولا زال...

3) المزج الحكيم - من جراء الاطلاع الثابت على مناحي الاعتقاد ومقاصد الشريعة - بين الاعتبارين الإيماني والتعاملي في ارتباط متوازن. فذاك ما يحتاجه مجتمعنا المسلم في المرحلة الراهنة - أكيد الاحتياج - فقد باعد في تصرفه اليومي بين صلته بربه وصلته بالبشر. فانحاز إلى جعل أخلاقه فردية المردود عاجلة النفع. وغاب عنه أن أقرب العباد إلى الله أقربهم إلى الناس !

4) الشجاعة المتقومة بالحزم والمرونة : فشيخنا الداعية يجابه المشكلات ويعالج الظواهر بالتي هي أحسن دون الركون إلى تملق. أو الجنوح إلى الحلول المنقوصة بالسكوت عما لا يرضي. أو الانزواء في برج عاجي... لقد صدع بالقول في فترة اقترنت بالجمود على قوالب معرفية جاهزة ومشكوك في قدرتها على تنمية المجتمع قلت. لقد صدع بالقول على جبهتين :

1 = جبهة ما يدعى بـ (مراكز القوى) السلبية المواقف من ذوي المناصب الإدارية والعلمية.

2 = جبهة الجماهير الناعقة مع كل ناعق. أو المذبذبة الظمآنة اللهفي إلى حقنة إنعاش - في أحسن الحالات - نعم... لقد صدع بالقول في إقدام رصين فسرت

26) مجلة (الندوة) ع 8 نوفمبر 1956.

نفثاته إكسيرا يحرك العزيمة ويحرر الإرادة، بكشفه الغطاء المفتعل عن مشاغل مصيرية أهمت القوم فرغبوا الإبانة الشافية. ومن هاته الاهتمامات التي تمحور حولها نشاط الشيخ الفاضل، الإعلامي :

أ ـ عز الدنيا بإقامة الدين :

من الأهمية بمكان، انشغال مفكرنا الداعية بثنايا الفكر الإصلاحي والتفكير الديني ، انبثاقا من عميق إيمانه بقيم الإسلام الثابتة، ومن واسع إدراكه للتطورات المدنية في العالم : محتوى، وملابسات. ومن صدق وطنيته ونقاء قوميته وخلوص دينه وصفاء التزامه. كل أولائك تلقى لها مسارب رحبة نيرة ضمن الموضوعات التحليلية التي طرحها على ذوي العقول، دون إفراط أو تحيز لمذهب أو عبقرية بدافع الاتباع الأعشى. ولذاك ـ وغيره ـ بانت الشمولية في تفكيره رحمه الله، والاستقلالية المنضبطة، وهو في كل تناولاته يقفز من محصوله التراثي الثري إلى الاحتماء بنظرية نقدية مقارنة، استبصارا منه بأن التراث والقيم كي يحصل لها الخلود وللعاملين العلو والتمكين. ينبغي النهج بها ـ أثناء العملية الإعلامية ـ منهج الربط والانتقاء لمسايرة متطلبات العصر وقضاياه. ومن ذلك إجلاء ما ران على مدلول وشرعية «الوطنية» و«القومية» و«الوحدة الإسلامية» أيضا : إزاحة الحجب عن مقومات النهوض بالمجتمع المسلم من مهواة التخلف، وطرق التخلص من الأخطبوط الاستعماري والزائف من أضواء المدنية الغربية. وفي هذا الميدان الحيوي ينبري المصلح محمد الفاضل ابن عاشور بحماس متعقل. لا يخضع لاستكانة ولا قيد، ودون هوادة ، موجها الخطاب التوجيهي عن أسباب الحرية، وعمد التقدم المدني. ومراقي الخلاص.. تناول عموم الموقف الحاضر من الدين الإسلامي فعرض أن «عز الدنيا بإقامة الدين». يتبين الارتباط بين الدنيا والدين حين فهم دعوته إلى العمل الدنيوي والى العمل الأخروي في الآن. تلك الدعوة الناهضة للتوفيق بين الاختيار السياسي «الثيوقراطي» ـ أي الحكم الديني ـ وبين النظام العلماني اللائكي. وهاته حقيقة، كما يشرح الشيخ الفاضل : «حين لم يدركها الناس حق إدراكها، وقعوا في التنازع والفتن التي تقسمهم بين هذين المذهبين تلك الحقيقة هي إدراك الغاية من التكاليف العملية التي جاءت بها الأديان... إن مقاصد الديانة ليست لذاتها وإنما هي للإنسان، ليسعد، ويهنأ، ويسلم، وتصلح حاله، ويتضح مصيره، وإنه إذا كانت للديانة غاية إلهية، فإن لها موضوعا إنسانيا، بحيث أن عبادة الله تكون بإصلاح حال الإنسان..» (27).

انطلقت هاته الإفاقة من رصد تحليلي للحالة التي تردى فيها المسلمون فبعدوا عن تبين المرامي من التدين الحقيقي، لذا كنت تراهم ـ قبل الصحوة ـ في مرض وعوز وجهالة، والحال «أن الدعوة الدينية بالإسلام، لا يمكن أن تكون عائقا عن التقدم موقعا في التخلف، ولكنها هي دعوة مقاومة التخلف، وتمهيد طريق السبق إلى أبعد مقاصد التقدم والمدنية» (28). أليس هذا إسقاط لوهم، عمد الأعداء المتربصون شرا بالإسلام ـ من شيوعيين واستعماريين ووجوديين ـ إلى زرعه في نفوس أجدادنا وآبائنا، وحتى الأبناء ! حيث أنهم يجعلون ـ كائدين ـ علة سقوطنا ، تمسكنا بالدعوة المحمدية، ومن ثمة ـ حسب زعمهم المغرض ـ ، جاء وضعنا المتردي حجة على تردي الإسلام..!! ذاك منطق تلبيسي ـ جهد ولازال ـ أبالسة الإنس، دعاة الإلحاد والإباحية والإيقاع، في ترويجه، حقدا وحسدا وتعصبا.. فالمستقرىء لأحوال المجتمعات عبر العصور، يرى أن الحضارة الإسلامية ما ازدهرت ـ أول العهود ـ إلا باهتداء معتنقي الدين الحق إلى الحفاظ على توازن التعادلية بين المقصد الاعتقادي التعبدي والمرمى العملي السلوكي «ولكن أخلافهم من مسلمي اليوم والقرون القريبة من اليوم، قد كانوا مثالا لكل ما يختلف مع تلك المعاني الصحيحة والمسالك الرشيدة التي كان أسلافهم مثالا لها، لأن المسلمين المتأخرين قصروا في مواقفهم العملية عن مبالغ الأصول النظرية التي جاء بها دينهم حتى أصبح

27) ومضات فكر ـ ص 132.

28) ومضات فكر ـ ص 134.

الواقع الإسلامي مختلفا عن الإسلام» (29). كيف لا ومسلمو العهد : «أصبحوا يعتبرون الدين مجرد العلاقة المباشرة التي بين العبد وربه ليخرجوا من مدلول الدين علاقة الإنسان بالإنسان. في حال أن الدين جعل علاقة الإنسان بالإنسان موضوع (العدل) الذي أقيمت عليه شريعة الإسلام وجعل مراعاة الإنسان لمصلحة الإنسان مرقاة لما فوق ذلك من مقام الإحسان... قال عليه الصلاة والسلام : «من أصبح ولا يهمه من أمر المسلمين شيء فليس منهم». (30)».

فلتحسن حالنا فنبكت الناعقين. لا مفر من اعتبار الروح الاجتماعية المستكنة في ذات التشريعات والآداب الإسلامية، في سلوكنا. كما ولا هروب من إعطائها حقها في الأداء، والاتصاف. ولا شك أن ذلك يتطلب منا مراجعة الضمير وتحريك العقل لاستخراج مسائل (المعاملة) بنفس الاهتمام الذي نوليه لمواضيع (العبادة) خاصة في عصرنا هذا الذي تشتت فيه مناحي التصرف بكيفية معجبة. والذي حدثت فيه مبتدعات وتعاملات تند عن التبويب، في هزة حضارية مست كل جوانب الوجود البشري في جميع الأوطان.. ترى ما منهجنا في هاته الممارسة الفكرية - أولا - لذاك الجانب من التراث. أبالرغبة في الاجتهاد والتجديد، أم بالثبات على الحصيلة المتوارثة من أقوال العلماء الماضين. أم بالرضوخ لهبات التشريعات الآخذة من النظم الأوروبية ؟

ذاك ما شغل ويشغل الكثيرين في مشارق البلاد الإسلامية والمغارب.. على أن الداعي ابن عاشور يعلن أنه : «بقوة إيماننا يستقيم تشريعنا» (31) فالإيمان الراسخ هو أداة الباحث مسبقا. وإلا حصل الانسلاخ والتعسف والتأويل الباطل... صحيح أن حركات الدعوة الإصلاحية في مبتدإ القرن العشرين قد حاولت معالجة الوضع التشريعي والاجتماعي «وذلك بالرجوع إلى الأصول، واعتبار المعاني والعوائد، واعتبار الضرورات والحاجات والتجرد عن الالتزام المذهبي. وعلى هذا الأساس وضعت مجلة «المنار» مشاكل كثيرة تتعلق بالتشريع الإسلامي منها ما يرجع إلى المعاملات المدنية كمسألة الربا، ومسألة التأمين، ومسألة صندوق التوفير، ومنها ما يرجع إلى مسائل من أحكام العادات... ومنها ما يرجع إلى أحكام من الأحوال الشخصية..» (32).

ومع ذلك، ورغم ترقبات المستفتين الحرى، لم تقدم الحلول المقنعة لكل المشاكل المصيرية، بل زادت تراكما أمام العلماء، وانتظر الناس حلولا مطمئنة، حتى يواصلوا مسيرتهم الحياتية دون إحساس بالذنب هو متلبس بهم، أو تناقض بين العمل والباطن هم متضايقون منه، لكن أية إفتاءات وتشاريع يرغبون ؟

ولكمون التعقد هنا، يصنف الشيخ ابن عاشور أولئك المستفتين الحائرين إلى أنماط ثلاثة :

1) رهط ضعف فيه الوازع الديني وجذبته بهارج المدنية الغربية فتطلب «إفتاء» يبيح له طمس الماضي، ونبذ الحاضر، والتطلع إلى «مستقبل» هو : «فضل الثوب الذي تنزعه أوروبا من حاضرها، لأننا نتعلق دائما بأن النظم الأوروبية هي التي ينبغي أن نسير عليها (33)».

2) فريق ينظر لـ «أمور مرتبكة نريد أن نقدم عليها بوجه (34)». كمسائل الربا البنكي، والتأمين بجميع أنواعه، وبنوك الادخار... هنا نلاحظ التردد المضني بين ما بالضمير من إيمان وبين ما نحن في حاجة ماسة إليه عمليا، لكن تنافرا بينا بين الشعورين دفع إلى تطلب إيجاد مخرج يكون : «- على سبيل الوهم أو التخيل - وجها يجعل هذا العمل الذي نريد أن نقدم عليه عملا مسموحا به (35)». غير أن ذاك أوجد، بحق، كثيرا من الضلالات في المجتمع المسلم، هي في الأصل ترسبات نفسية هائمة «لا طريق إلى حملها على الحقيقة إلا بمعالجة تلك العقد (36)».

(29) ومضات فكر - ص 135.

(30) ومضات فكر، ص 137 و138.

(31) ومضات فكر، ص 139.

(32) ومضات فكر، ص 152 و153.

(33) ومضات فكر، ص 154.

(34) ومضات فكر، ص 153.

(35) ومضات فكر، ص 155.

(36) ومضات فكر، ص 155.

3) الأغلبية العظمى من مسلمي العصر. هؤلاء صح التقاؤهم حول ما يعنون له ابن عاشور بـ : «أمور بعدت عنا نريد أن نردها إلى واقعنا (37)». كلهم يرجون ذلك، إلا أن الهمة الفاعلة تقعد بهم عن تحقيق هاتيك المطامح. لماذا ؟ لـ «ما عندنا من فتور الإرادات والدافع الديني... وعلى ذلك فإن الحلول إنما هي حلول ينبغي أن تتجه راجعة إلى معالجة اليقين الإيماني (38)».

ولن نجانب الصواب، إن أثبتنا تردي الجماعة إلى هوة سحيقة، بسبب فصلهم الشريعة الوسط عن الحياة اليومية في عظائم من أمورهم. ذلك «أن تعطيل العقيدة عن العمل الإيجابي وعز لها عنه تفشى بين الجماعات الإسلامية فيما في السلوك العام وفي سلوك الأفراد وفي علاقة المسلمين بعضهم ببعض، وفي علاقة المسلمين بغير المسلمين، وأصبح العمل الإسلامي لا يمثل أبدا المبادىء الإسلامية (39)».

ولا يسعنا هنا إلا الاعتراف، في مرارة، بحقيقتين قائمتين :

1) أن هذا الموقف جلب للمسلمين هوانا في أنفسهم وضعفا، تجرعوا منهما الأمرين، وقد انطبق عليهم المثل (... ألف كأف).

2) كما قولب ـ هذا الموقف ـ نظرة العدو التقييمية للدين قالبا هو الحيف عينه والبهتان، أو هو ـ على الأقل ـ قد أعان على ظهور ما بسريرة الكائدين كيدا من غير المسلمين، فهؤلاء «أصبحوا يحكمون على الإسلام بالسلوك المنحرف الذي يبدو عند المسلمين، فأصبح المعلقون على الإسلام يأخذون المظاهر التي هي موجودة عند المسلمين والتي هي مظاهر سلوكية منحرفة عن المبادىء النظرية للإسلام فيجعلون ذلك هو الإسلام... «ومن هنا جاءت الكلمة الحكيمة التي صدع بها أول من صدع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وهي أن الإسلام ينبغي أن يتخذ حجة على المسلمين لا أن يتخذ المسلمون حجة على الإسلام (40)».

37) ومضات فكر، ص 153.

38) ومضات فكر، ص 156.

39) ومضات فكر، ص 171.

40) ومضات فكر، ص 171.

ومن الوجهة المعاكسة نمت في المسلمين ـ إثر انبهارهم بهبة التحضر الأوروبي ـ عقدة الولع بأعراف الغرب ودساتيره، نتجت عنها بالرغم من التطور في العيش ، مفارقات وتناقضات مقضة، أزالت نصيبا أوفى من الراحة النفسية لدى المسلم «لأنه أصبح يشعر بأن حقيقته الإسلامية قد صارت صورة زائفة، فهو يقول إنه مسلم ولكنه عندما يرجع إلى هذه الحقيقة التي يقولها ويريد أن يتبينها من ذاته فإنه لا يجدها في شيء، لا يجدها في مقوم من مقومات تفكيره ولا من مقومات سلوكه (41)». ولتمكن صورة الانبتات هاته، تواردت الشبهات والتعلات التبريرية، في محاولة فاشلة للخروج من المأزق، لذا ، «بدأوا يحاولون تأويلات أقل ما يقال فيها أنهم يحاولون بها استحلال المنكر، فبدأوا يطلبون أمور اللانحرافات السلوكية بادعائهم أن هذا شيء مدني لا علاقة له بالدين ـ ونحن نعلم أن ليس هناك شيء لا علاقة له بالدين ـ... وهكذا بدأوا يوجدون لأنفسهم من معان تفككية أو معان يتطلبون بها استساغة الأمور التي ينكرونها لأجل إراحة ضميرهم الديني فقط... (42)».

على أنه ينبغي في الأثناء، وإن أقررنا بذلك الاضطراب الباطني، والتلاطم النفسي، التأكيد على تكون معنى من القلق لكنه «ليس قلقا من تعاطي ما ليس بإسلامي، ولكنه قلق من وجود نزعة إسلامية تكدر باله وتنغص عليه ما يتعاطى من المعاني التي هي ليست بإسلامية (43)». فأنت تلحظ شيخنا يوجه اصبع الاتهام، إزاء هذا التقاعس والانشطار والتيه، إلى كل الفئات دون تمييز، حاصرا عود مسؤولية الدفع والانهاض إلى أصحاب المعرفة المتنورين، أو الذين يجمعون إلى علمهم الجرأة والمقدرة على التوعية ذاك شرط أساسي للعودة بالدين إلى الظهور المزدهر، لإسعاد المتساكنين، وانعاش ممارساتهم الحضارية، ورتق ما تصدع من قوتهم.. تلك دعوة متأكدة ، أن نهرع إلى ديننا الحنيف مستقرئين وعاملين، فهو الركيزة

41) ومضات فكر، ص 175.

42) ومضات فكر، ص 176 و177.

43) ومضات فكر، ص 177.

الأرسخ لإعلاء شخصيتنا منيعة هنيئة.. ولنا عبرة أخرى : «فإن الشعوب بدأت تستفيق من آثار المخدرات السامة التي روجتها بينها الدعوات الالحادية الهدامة، وعاودت نفسها فلم تجد من حق أمامها بعد استفاقتها إلا بالدين، فاعتصمت به لتبقي على الرمق الأخير من كيانها الذي أبقته أحلام المخدرات وأوهامها المزعجة، فعادت إلى الدين تستشفي به من دائها وتستهدي بعد ضلالها.

فها هو العالم الغربي القديم والجديد يلجأ إلى الدين، مجددا به كيانه، مؤكدا وحدته، ثابتا بقوته أمام الأعاصير التي تعصف بكل ما في الإنسانية من حرمة وكرامة (44)».

أتساءل : هل يمتد بعض التداخل بين هاته النظرة المتغيرة إلى الدين والتدين، وبين بشائر الصحوة الإسلامية التي نعيشها ؟ وهنا بات من المتحتم إعطاء المكانة الأوجب للعقيدة ضمن تصنيف مقوماتنا، وعند إعداد جرد لمشاغلنا العمرانية.. لكن كيف الوصول إلى ترسيخ مبادىء الدين الإسلامي في النفوس، ومن أين نبدأ السير والإرشاد ؟

بوضوح واقدام، يندد الشيخ ابن عاشور بالقيود التي لا تزال - داخل المجتمع الإسلامي - مسلطة على العقيدة، وبالتضييقات التي تستحوذ على مسالك التفكير الاعتقادي، بشكل فرق بين معنى التدين والمعاملات الدنيوية خاصة.. هذا من جهة، ومن نافذة أخرى، حصل، إزاء الفراغ الإيماني نوع من (التعويض) المذهبي كبديل عقائدي، ومثل هذا الاتجاه البنائي للأفراد يعد مسخا شائها، أو اختيارا ابتداعيا غير مأمون العواقب، تخشى ضراوته الفاتكة مادام لن يحقق الأمن والسلم الاجتماعيين والسمو الروحي المستمدة إشراقاته من نور الله تبارك. لذا إن «أردنا أن نعالج هذه المشكلة وأن نرجع إلى مقاييسها فإنه لا يخفى أن الناحية الأولى التي ينبغي الاتجاه إليها إنما هي إطلاق تلك اليد المغلولة التي تتصور في السلوك، وهي يد العقيدة بحيث أنه ينبغي أن تعالج الناحية الاعتقادية أساسا، وأن تعالج على معنى يتجه إلى تمكينها من التصرف في المظاهر السلوكية... ولكن هذا المعنى من تقوية العقيدة إنما هو يرجع إلى عمل خطير من أعمال التوجيه الفكري والتوجيه التربوي لأنه يعتمد على وجوب إبراز المنهج الإسلامي والمثالية الإسلامية والمقارنة بينها وبين المذاهب التي تنبو عنها من المذاهب الفلسفية أو المذاهب الأخلاقية... فنحن إذ ندعو إلى إقامة العقيدة وإلى ربط السلوك بها، فإننا ندعو إلى حقيقة طبيعية هي المقوم الشخصي للفرد المسلم، ونريد أن نحارب وأن ندفع معنى غير متجانس موجود فينا، وهو معنى تفكيك السلوك عن العقيدة أو عن البقية الباقية في نفوسنا من آثار العقيدة... ونبرز شعور النفس بذاتها حتى تصبح شخصيتنا شخصية مكتملة ليست مبنية على التقليد (45)».

ب التربية الدينية وبرامج الدراسة :

كان ينبغي الاتفاق مقدما، على أن الشيخ الفاضل، في توجهه، لا يتقيد بإقليمية ما، إنما يطلق النظر في عموم بلاد الإسلام، فالأوضاع - كما يعترف الجميع - متشابهة متقاربة إن لم تكن متماثلة تعيد نفسها في جل المجالات العربية. فمن هذه العمومية يبث خطابه الإصلاحي التقويمي، وإن كان لا يلغي من برنامجه إجراء المقارنات وسوق بعض الفروق والأسبقيات.. وطبيعي أن تكون أولى الخطوات المباركة في طريق الإصلاح ومعانقة العقيدة الإسلامية ، مع الناشئة. فالملاحظ الذي يجب الإقرار به أن تخلفنا عن الإيفاء بعملية الإعلام الديني إزاء الشباب، بالأسلوب الأوفق، هو السبب المباشر لنتوء تحركات واهتزازات هوجاء، من جراء غياب الغذاء الروحي السليم.. والواجب التسليم به هو إلقاء اللوم على أنفسنا دون التذرع بأسباب واهية، لتبرئة الذمة. فالاستعمار قد ولى وانحسر كلكله المادي، وإن بقي حضوره المشبوه فيه من طرق ثانية.. إلا أننا لا زلنا لم نتعمد امتلاك الإرادة الجبارة لتغيير ما بأنفسنا، فهذه برامج التعليم لم يمهد لها لبرنامج

---

44) ومضات فكر، ص 293.

45) ومضات فكر، ص 179 و180.

ديني متكامل، وفي تواصل، على النحو المرضي وبالكيفية التي تضمن الإنجاز والتلقي الأنجعين. فالقضية ـ على مستوى البلاد الإسلامية ـ : «هي قضية النظام التعليمي كله.. والتعليم الديني على وجه الخصوص.. أو لا يرى القائمون على هذا النظام وذلك التعليم أنه قد آن الأوان لإعادة النظر في «منهج» التعليم الديني من أساسه.. وأنه لا غنى عن تحديد دقيق لأهداف هذا التعليم.. وأن السمت العام للإسلام، باعتباره رحمة ونورا ومدخلا لتحقيق مصالح العباد يجب أن تكون له الصدارة في كل ما يقدم من علم في المدارس والمعاهد والجامعات (46)».

ذلك تنبيه حار لا زالت أصداؤه تتردد في جميع مناطق الساحة العربية في المدة الحاضرة. وقبل اقتران هاته الصيحة بما يسمى ظاهرة الغلو في الدين، على عهدنا، كتعديل علاجي لها، برزت في صدارة القائمة الإصلاحية خلال القرن الهجري المنفرط، لذا أتت إفاقة الشيخ ابن عاشور ذات دلالة متأصلة لـ «إبراز مادة التربية الدينية في مناهج التعليم الثانوي... ففي ذلك ما يقوي المعارف الدينية وينوه بعظيم قدرها (47)».

على أنه لا يفوتنا هنا إظهار الاعتزاز بتحقق أشواط من رجاء المرحوم محمد الفاضل في الكثير من الأوطان، ومنها وطنه تونس (48). إذ بهذا نضمن التواصل بين الأجيال والتلاحم لتخريج كل أفراد الأمة على مثال : «المثقف العربي للمسلم العصري الذي ينتسب بثقافته إلى قوميته وإلى عصره معا، لا الذي ينتسب إلى عصره فقط بثقافته، وينتسب إلى قوميته بمجرد الوراثة أو الإقليمية (49)».

ومع هذا تبقى لهاته الكلمة الطيبة أبعادها الوجيهة في كل المنطقة الإسلامية لحذف التذبذب وتجاوز القصور، ونحن في مطلع القرن الهجري الخامس عشر..

ج النهضة والعلـم :

لئن برز من صيغ الحداثة الراشدة، ما ذكر أمة الإسلام بأن عليها : «أن تجعل من المدرسة والكلية والجامعة ـ إلى جانب المسجد ـ الملتقى المفضل والدائم للعلم والإيمان (50)». فإنه يبدو لك في هاته الدعوة : تطلب جوهر الانتماء، والحفاظ على أواصره، كما ودفع أعراض «موضة» الاستلاب التي تسربت بين جموع شبابنا، نتيجة الانجذاب الطفولي لمظاهر الحضارة الغربية الزائفة؛ تلكم الحضارة التي بحثت لنفسها عن الوسائل الأجدى للصعود في سلم القوة، ولمقاومة زحف الإسلام والحد من قداسته في الآن، غير أنها وحسب اختيارها بان لها : «أن القوات العسكرية التي اعتمدت عليها في الحروب الصليبية شرقا وغربا قد تبين أنها غير مجدية، وأن المقاومة الحقيقية لانتشار الإسلام إنما تكون في الاستيلاء على المقومات الفكرية العليا التي كانت عند المسلمين من العلوم والآداب والحضارات وغيرها، فتكونت بذلك روح ما يعبر عنه بالنهضة الأوروبية (51)».

نعترف جميعا بأن بضاعتنا العقلية قد «صدرت» إلى الغرب، وليس في هذا أي مغمز، فالحضارات أخذ وعطاء، إنما المأخذ الموجع، في بقاء الأجداد تتقاذفهم دوامة غيبوبة كأنها سكرة الموت، لم يستفيقوا منها إلا حين أثمرت عملية (التصدير) خيرا، وخيرا وفيرا على الغير، وشرا مستطيرا عليهم، إذ بهاتيك الثمرات ـ وبغيرها ـ تمكنت أوروبا ـ ومن أخذ عنها ـ من استعمار المسلمين اقتصاديا وثقافيا وعسكريا.. ومن هنا لاح تحتم هبوب اليقظة والالتحاق، ولن يتيسر شيء من ذلك إلا بأن يعاد للعقل منزلته الخلاقة، لدى القوم، حتى نحقق إضافات من الفتوح العلمية، نحن جديرون بها، وحتى نستوعب الإبداعات الحضارية الغربية فنطوعها لما فيه صالح واقعنا ونتفاعل مع

---

46) التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق مطلوب، د/ أحمد كمال أبو المجد مجلة (العربي) ع 278 يناير 82.

47) ومضات فكر، ص 301.

48) مما أبهج صدره ـ رحمه الله ـ توفق المسؤولين على خطوط التربية والتعليم بتونس إلى الانطلاقة التعديلية في مناهج التعليم، قال في خطابه بجامع الزيتونة في ربيع الثاني 27/1388 جوان 1968 بمناسبة ختم السنة الجامعية : «حيث استبشرنا بما وفقت إليه كتابة الدولة للتربية القومية من إبراز مادة التربية الدينية في مناهج التعليم الثانوي قائمة بذاتها غير ممزوجة بمادة التربية المدنية...» ومضات فكر، ص 301.

49) ومضات فكر، ص 292.

50) من رسالة جلالة الملك الحسن الثاني إلى الأمة الإسلامية، ص 25 من مجلة (دعوة الحق) س 23 ع 1 مارس 82.

51) ومضات فكر، ص 172 و173.

منشئيها دون ريبة أو تبعية مهينة في الإنتاج والتطوير والصيانة والتسيير.

إن إطلاق العقل يجول بحرية في حقول المعرفة، لرغبية يقررها الشرع الإسلامي لمعتنقيه وبها سما واستمر. ولك أن تقارن قدر هاته المكانة في الديانات المختلفة، من بيان شيخنا : «فليس إلا بهذا الدين الحنيف عرف العقل ما بوأه الله من سلطان على حياة الناس، واتسعت أمامه ميادين الإنتاج، وامتدت يده على ساحات النصر في المعارك... كانت الأديان تفرض رهبانيتها على الناس، فتقول لهم : صدقوا ولا تبحثوا، وافتحوا لنا قلوبكم وسدوا عنا عقولكم، فإنكم إذا سلطتم العقل على إرادات ربكم كفرتم (52)». لكن الأمر يختلف في ديننا عن تلك اختلافا بينا، حيث يجعل التفكير محور العمل التعبدي والتعاملي لذا : «جاءت الشريعة المحمدية تقلب في نظر الدنيا هذه القضية الزائفة، وتقرر : أن العقل أساس الحياة كلها حتى العقيدة الدينية... فهذا الإسلام ينادي الإنسانية جمعاء أن الذي يتلقى مبادىء ويؤمن بها بدون بحث عقلي ونظر منطقي فما هو لسبيلي من المتبعين، ولا هو عندي من المؤمنين (53)».

والبراهين القرآنية على هذا كثيرة، لا تغيب عن أحد..

وعليه، فطريق نهوض المسلمين من الكبوة، منوط بالجنوح إلى اعتماد هذا المقوم المهم الذي هو أصل من أصول دينهم، فالدين حرب على المحاكاة العمياء، والاقتفاء الأعشى، والشعوذة الجاهلة.. إنها ـ جميعا ـ لمعطلة لدورة الخاطر، ونربأ بأنفسنا أن نأخذها على ذاك. والنداء الإسلامي قد ورد صادقا نحو تحريك العقل الساكن واستغلال فعاليته للسيطرة على أشياء الكون واستقصاء آفاق كنهه، ولاستخلاص العبرة الكبرى من كل ذلك، وفعلا بارك الشيخ محمد الفاضل استجابة المجتمع الإسلامي لهذا النداء، حيث سجل بكل حفاوة فقال : «ابتدأ شعور الأمة العربية من أول القرن التاسع عشر يتحرك في سبيل الأخذ بسبب النهضة الفكرية والصناعية لحماية نفسه من الخطر الماحق الذي جاء يتهدده من الغرب (54)».

د ـ إحياء العربية، كيف، ولماذا ؟

ويضاف إلى ما سبق من اختيارات الشيخ الفاضل ابن عاشور لأركان النهضة : العمل على إحياء اللغة العربية بتوسيع نطاق الممارسة، وبخدمتها مجمعيا، حتى تؤدي دورها كاملا في هذا العصر الذي تزاحمت فيه قائمات المعارف المبتدعة.. ففي رأيه ـ رحمه الله ـ أن بالعربية نتوصل إلى حفظ الذاتية العربية وتفتيق عبقريتها، ولذا ينبغي أن نعمل جاهدين على إحلالها المحل الأوجب في التعليم القومي (55)، ولقد ناضل المرحوم من أجل نيل هذا المطلب الجماهيري طيلة حياته الثرية ابتداء من مرحلة الكفاح الوطني ضد المستعمر الفرنسي إلى مرحلة الاستقلال وبناء المستقبل.. كتب عام 1931 : «ولقد تمخضت الجهود إلى الجهاد في سبيل إحياء العربية وإعزازها حفظ الرابطة العروبة السائدة بين أقطار وطننا الأكبر، والتي لم تزل أثمن روابط الاتحاد وأقوى أواصر القرابة، وأجمعت كلمة مفكرينا، على أن العربية يجب أن تكون لنا لسان التعليم القومي وهي الأساسية في كل مدرسة قومية (56)».

ويستمر هذا الطلب وجيها، دون أن يفقد تأكده، فنحن لا زلنا نثير ـ في أكثر من ساحة ـ قضايا التعريب، والعربية في الجامعة، وتعريب الإدارة، وما تفرع عن ذلك، بحماس موضوعي لا يقل عن حماستنا في الدفاع عن وجودنا.. كيف لا وهي : «لسان اختاره الله تعالى لبلاغ وحيه وأداء رسالته ففتح فيه مشكاة للمدارك الإنسانية حتى تستشرق من حكمة الله نورا على نور، فتهتدي في نظرها، وترشد في عملها، وتصدق في قولها، إذا هي شدت يدها

---

52) ومضات فكر، ص 216.

53) ومضات فكر، ص 217.

54) تعليق الأستاذ الفاضل ابن عاشور على محاضرتي سهيل إدريس وعبد الرزاق البصير ـ مجلة (الفكر) س 4 ع 5 فيفري 1959 ص 79.

55) ومضات فكر، ص 31.

56) ومضات فكر، ص 31.

بهذه اللغة الشريفة الفصحى، واتخذت من سر بيانها جلاء للمعارف وصقالا للمواهب (57)».

وسواء جاء ذلك جامعا بين ابتغاء حذق الأداة التي بها نفهم القرآن الكريم وعلومه، وبين الرغبة في إحكام الوحدة العربية، أو وصلا بين حاضرنا العلمي، ومستقبلنا وماضيهما، فإن مجموع ذلك يفيد المسلمين ـ قطعا ـ فيزيدهم اعتدادا وحضورا له دلالاته المتجذرة.. كما يضيف، للتمدن العالمي، أقباسا منيرة، ويسنده بآفاق طريفة لها امتداداتها الطيبة لتركيز الأمن والتقدم والسلام. ولم لا، وللثقافة العربية رصيد ثمين تأكدت ـ منذ القرن السابع ـ الاستفادة من إشعاعاته (58) !؟

وهو ـ غفر الله له ـ وإن لم يعمق الصلة الوثقى بين الثقافة والتنمية في كل الاتجاهات، أو بينها وبين علية الجهاد الإحيائي للعربية، فإنه ـ كما يلوح لي ـ لم يشته القفز التصوري حيث أن ذاك ليس من ضرورات مرحلة الإبلاغ الأولى ـ مرحلة العودة والإعزاز ـ إنما هو ملتصق بمرحلة الامتداد والتفرع والإفراز الحضاري ـ إن صح التركيب ـ كما هو الحال اليوم ـ إذ جاء ذلك المحور المركزي لجل ندوات الفكر والإعلام في العالم العربي (59).

هـ ـ التوحد الإسلامي :

وعسى أن يأتي من دلالات إيلاء اللغة العربية الاهتمام اللائق، تقوية رابطة التقارب فالاتحاد. والاتحاد، في معناه السامي، التقاء على الخير، واجتماع على العطاء الحضاري، وتعاضد على فك المغلق من الألغاز وصد الدخيل، وتضافر جهود على بث كلمة الله تعالى.. وهو بهذا الاعتبار، ما كان مركوزا في الإسلام إلا لأن «للأمة الإسلامية كلها شخصية موحدة، تنبثق من روح الترابط الاجتماعي وعامل التوحد القومي الذي هو الدين الإسلامي، بعقيدته، وشريعته، وآدابه (60)».

فاتحاد الشعوب الإسلامية مرمى ثمين يحرص ديننا في العديد من النصوص على ترسيخ أسسه وتهذيب تنظيمه. وفي تصور المفكر ابن عاشور أن «جامعة الإسلام» أقوى الأواصر الحافظة لكيان المسلمين المدافعة عنهم، لذا تلقاه يحث على مزيد التكتل والترافق بين المجموعات ونبذ دواعي التفرقة ومساندة المعذبين في الأرض، أولئك الخائضين جهادا مضنيا لرد عدوان تكتلات باغية. قال عام 1969 بالقاهرة من على منبر مجمع اللغة العربية : «أفلم يأن للذين تنبض بدمها شرايينهم وتتحرك بأنفاسها رئتاهم، أن يرابطوا بأفئدتهم وأهوائهم حول الأوطان العربية الأخيذة، بالقدس الشريف، وضفتي الأردن، وعوالي الجولان، وقطاع غزة، وأرض سيناء، حيث ابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا (61)».

وفي اعتباره ـ رحمه الله ـ أن منظمة المؤتمر الإسلامي (62) أفضل الهياكل الهادفة باتجاه تحقيق أهداف الوحدة فـ «إن هذا المؤتمر عندما يشغل بالمسائل المشتركة

---

(57) ومضات فكر، ص 413 من كلمته في جلسة افتتاح الدورة 36 (سنة 69 ـ 1970) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(58) من ثمار هذا الانبعاث أن تقوت الدعوة مؤخرا، الأغراض هاتيك، من ذلك :

أ ـ جاء بإعلان الدورة الثانية للمجلس الإفريقي الإسلامي المنعقدة بداكار (السينغال) أيام 21، 22، 23 ديسمبر 81 : (انطلاقا من أن اللغة العربية تحمل في طياتها المصدرين الأساسيين للإسلام وهما الكتاب والسنة النبوية الشريفة فإن المجلس يوصي كل المسلمين بتعلمها، بحيث يتحقق الاتصال المباشر بينه وبين التعاليم الإسلامية التي يلزم أن تخضع لها حياته..) انظر الإعلان في مجلة (دعوة الحق) ع 8 س 22 س 9 دجنبر 1981.

ب ـ في افتتاح مؤتمر (تخطيط التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية) المنعقد بتونس من 10 إلى 12 نوفمبر 1981 بتنظيم (اليونسكو العربية) أكد الأستاذ محمد مزالي على أنه :

(علينا أن نخطط ونعمل على تقديم صورة صادقة لثقافتنا وحضارتنا لدى الأمم الصديقة وعلينا أن نناهض الصورة المشوهة المفتعلة التي أشيعت لنا في أصقاع كثيرة من الأرض، وننزل ثقافتنا القومية، منزلتها الملائمة في خدمة الثقافة الإنسانية وإثرائها، ونساهم في تأكيد مبادىء الأخوة والتفاهم والسلام بين الشعوب) مجلة (الفكر) س 27 ع 3 ديسمبر 1981 ص 9.

(59) من التحليلات السهبة إقرأ للأستاذ أحمد بهاء الدين مقاله بمجلة (العربي) ع 278 يناير 1982 : (اللغة العربية حين نريدها سلاحا سياسيا واستراتيجيا وحضاريا).

(60) من أعلام الفكر الإسلامي ـ المقدمة ـ الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور.

(61) ومضات فكر، ص 414.

(62) أنشئت منظمة المؤتمر الإسلامي في سبتمبر 1969 في اجتماع القمة الأول بالرباط ـ مقرها جدة ـ تتألف من الدول العربية وآسيا وافريقية وأوروبا التي يكون المسلمون فيها الأغلبية. انظر عنها ـ مثلا ـ : مجلة (رسالة اليونسكو) وأغسطس / سبتمبر 1981، ص 17. (عدد خاص بـ : الإسلام والقرن الخامس عشر الهجري).

بين شعوب العالم الإسلامي، يكون سادا للفراغ الحاصل في حياة المسلمين بزوال الخلافة، على صورة تماشي أوضاعها العصرية، إذ يحكم الربط بينهم وبين مبادىء دينهم، ثم بين بعضهم وبعض، فيحقق لهم الغاية التي قامت الخلافة الرشيدة لتحقيقها وهي : حراسة الدين وسياسة الدنيا (63)».

قد يعترض معترض باستحضار «الوطنية» أو «القومية» كروابط متنافرة والجامعة الإسلامية، إذ الجميع يلم بأطراف الحملة التي أججها أصحابها على أساس التهويل من التناقض بين القومية العربية وجامعة الإسلام، والحال أنهما «قيمتان متكاملتان بينهما هذه الحركة الدائمة وهذا التفاعل الإيجابي الكامل ـ وإن تاريخنا لم يداخله الوهن وحركتنا الحضارية لم تعرف التقهقر إلا حين نزغ الشيطان بين هؤلاء الإخوة العرب والمسلمين (64)».

وباستقصاء العارف المدقق يؤكد ابن عاشور أن الإسلام لم يهمل عوامل الترابط الإجتماعي الموجودة ولم يزحزحها تماما، إنما هذب مفهومها ونسق امتداداتها «في رباط أعلى هو رباط الجامعة الكبرى التي تقوم على اعتبار تلك المجتمعات الجزئية، ولكنها لا تقنع بها ولا تجعلها غاية (65)».

فمن اعتبار الدين الإسلامي للقومية، يشرح الشيخ أغوار ذلك بوضوح، مستنتجا أنه «قد اعتبر النبيء صلى الله عليه وسلم وحدة العرب، واعتبرها وحدة نسبية للجامعة الكبرى، وأوصى بمحبة العرب، وتوليهم، ففي حديث سلمان رضي الله عنه : كيف أبغضك يا رسول الله وبك هداني الله، فقال : تبغض العرب فتبغضني ببغضهم (66)»...

إن تجاوز القومية على أساس كونها لبنة من البناء الكلي للوحدة الإسلامية، لا يفيد الإغضاء من شأنها في شيء.. ولذاك رمى الشيخ بمقولته، إيمانا منه بسمو نظرة الإسلام في هذا الشأن، فلا ضير عليه حينئذ إن حاضر مغذيا الشعور بالعروبة، وإن تزعم يوم مهرجان العروبة بالملعب البلدي بتونس يوم 20 مارس 1946 ! (67).

وكدفع عملي لبلوغ التوحد الأكمل، استقرت النية على تركيز التجمعات الجزئية، وفيما يخص منطقة شمال افريقيا، وجه الشيخ الفاضل عناية قصوى لمسألة وحدة المغرب العربي الكبير، فهو يستجلي من التاريخ العبر الناصعة لاستنهاض الإرادة نحو الاتحاد الذي هو كائن فينا وليس تطلعا من مثل الرؤى المستقبلية السياسية، لذا يهمس إليك بحرارة صادقة : «إن هذا المغرب العربي قد كانت له في تاريخه ـ كما كان لغيره من الأقطار الإسلامية ـ روابط تصله بوحدة التاريخ الإسلامي من جهة، ومعالم تحدد تاريخه بالأحداث الخاصة به من جهة أخرى، وكانت الفكرة الإسلامية خطة الطريق الرابطة، وأساس المعالم المحددة... (68)».

ومن المعالم الواقعية الباهرة التي ينبغي تأسي كل من بيده السلطة بها، والتي اهتم الشيخ الفاضل بها طلبا للوحدة : صلة المولى عبد الرحمان بن هشام (69) بالثائر الأمير عبد القادر الجزائري (70)، فعندما بويع هذا بالإمارة «كان هذا الحدث الهائل باعثا للأمل في نفوس المسلمين قاطبة، ولا سيما في القطرين الشقيقين تونس والمغرب الأقصى، فتباشر الناس بخبر هذه البيعة الرشيدة (71)».

ومن صور هذا الاستبشار توفر «إمام من أفضل أيمة المسلمين وأجمعهم لثقة الأمة وأتمهم ظهورا بمظهر المحافظة على الدين والعمل على إحياء روحه، وهو السلطان الشهير المولى عبد الرحمان بن هشام (72)». على قضية الجزائر وأميرها البطل، لذا «صار يمده بالخيل

---

63) ومضات فكر، ص 214.

64) حركات الإصلاح الإجتماعي في العالم الإسلامي، د/ شكري فيصل مجلة (الفكر) س 27 ع 3 ديسمبر 81 ص 66.

65) ومضات فكر، ص 112.

66) ومضات فكر، ص 113.

67) ومضات فكر، ص 32.

68) أعلام الفكر الإسلامي ـ للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ـ المقدمة.

69) حكم من سنة 1238 هـ 1823 م إلى سنة 1276 هـ 1859 م.

70) ولد بمعسكر (الجزائر) سنة 1808. حارب الاستعمار الفرنسي من عام 1832 إلى عام 1847. استسلم مضطرا فنفي إلى سوريا حيث توفي بدمشق سنة 1883.

71) من وثائق الوحدة ـ للأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور ـ مجلة (الفكر) س 5 ع 2 نوفمبر 1959 ص 28.

72) نفس المصدر، ص 29.

والسلاح والمال المرة بعد المرة... (73)». وحصلت بينهما رسائل تآزر وتعاضد وتبادل الرأي والمشورة (74). ويعد هذا الفعل : «صورة حية من العلائق الأخوية، والمساعي الاتحادية بين القطرين في تلك الفترة (75)».

على أن معيار التفرقة دائما بين ذلك وبين العصبيات المنحرفة، إنما هو هذا الميزان : «كل ما كان قاطعا عن الجامعة الكبرى كان مذموما. وكل ما كان متصلا بالجامعة الكبرى كان محمودا، وأصل هذا يرجع إلى قوله تعالى **«وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»**. فكذلك هذه الروابط (76)».

وبجملة بليغة تحدد مدلول هاته الجامعة من خلال هذا القول النبوي : «من أصبح ولا يهمه من أمر المسلمين شيء فليس منهم».

... على هاته الدعوة النبيلة، أمضى شيخنا محمد الفاضل ابن عاشور رحلته داعيا في تيسير وإيضاح وتجلية.. ومع هذا، تبقى الكلمة قاصرة عن الإحاطة بفكره الإصلاحي ما دامت آثاره الفكرية مشتتة في جرائد ومجلات وأشرطة إذاعية... يصعب الرجوع إليها.. (77) إنما هدفت الآن ـ في ترقب تيسير ذلك ـ محاولة المشاركة في الشروع نحو تأصيل نظريته ونعتها بالمناهل التي عنها صدرت، بعرض لوائح زكية من المحاور الإعلامية في تفكير الشيخ، نذر لإعلائها كل ما أوتي من كفاءة فأفصح وأحيا ضمن عقد عصابة الدفع الإصلاحي، من خيرة أعلام الإعلام الإسلامي، في بسالة خالصة !

مساكن (تونس) مصطفى بوهلال

---

73) نفس المصدر، نقلا عن الاستقصاء ج 2 ص 193.

74) ويذكر الشيخ أن صاحب كتاب (الابتسام عن دولة ابن هشام) قد أشار إليها وأثبت منها واحدة فقط نقلها عنه عبد الرحمان بن زيدان في كتابه (إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس س. ج 4 ص 149) ويقول : «ولدينا ست رسائل غير التي أثبتها صاحب الابتسام وهي مخطوطة لم يسبق نشرها ولا أعرف أنها توجد في مصدر من مصادر التاريخ ولا مجموع من المجاميع». وقد حققها ونشرها بـ (الفكر) تباعا.

75) نفس المصدر، ص 29.

76) ومضات فكر، ص 114.

77) أفاد الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة أنه يعمل جاهدا لإخراج إنتاج الشيخ المرحوم الفاضل ابن عاشور في طبعة متصلة الأجزاء، وقد صدر الجزء الأول : ومضات فكر، عن الدار العربية للكتاب سنة 1981. انظر تقديم الشيخ الدكتور ابن الخوجة له والأستاذ عبد الملك ابن عاشور.

في ذكرى صدور الظهير البربري بالمغرب

للأستاذ محمد الخطيب

يقيم المغرب هذه الأيام ذكرى مرور ثلاثة وخمسين عاما على صدور الظهير البربري الذي يعتبر تاريخيا أول انتفاضة وأول صرح من الحركة الوطنية للداخل والخارج بما كان المغرب يعانيه من جراء الاحتلالات الأجنبية لأرضه وترابه. وقد اثبت المغرب وأكد المغاربة كلهم بعد تمسكهم ومقدار التفافهم حول الإسلام الذي جمع لهم الشمل وأثبت وجودهم كدولة.

وهذه الظاهرة أولى المثابات بالنسبة للحركة الوطنية التي أكدت بعد نظرها، وإدراكها لحقيقة ما كان المغاربة يسعون له وكان الاستعمار الأجنبي يريده لإتمام السيطرة على المغرب وتثبيت قدمه فيه

فيوم سادس عشر مايو سنة 1930 إن كان بالنسبة للمحاولات الاستعمارية بهذه المثابة، فهو أيضا قد كان بالنسبة للحركة الوطنية يوما تأكد فيه لجموع الأمة وطبقاتها صواب ما كانت تدعو له وتعمل من أجله، فهو حد فاصل بين مرحلتين ومهدين من مراحل ومهود التطورات التي أثبتت للحركة الوطنية وجود مدلولات ما كانت تعمل من أجله وتسعى له.

إذ أن الكتلة الوطنية فيما كانت تتكيف به من تنظيمات سرية عن طريق الزاوية والطائفة قبل أن يصبح لها وجود ذاتي معترف به، كانت أول من أدرك موجبات العمل الوطني وسلك سبل التحرير القومي والوقوف في وجه الاستعمار الأجنبي للبلاد.

والذي يتذكر تلك العهود يعلم أن المغاربة كلهم باستثناء فئة قليلة من شبابه، قد كانوا منساقين مع ما كان يسيطر عليهم من شعور باليأس والاستسلام، خصوصا بعد النهاية التي آلت لها ثورتهم الوطنية في الشمال بقيادة الزعيم عبد الكريم الخطابي، إذ أنهم قد بذلوا كل ما كان بوسعهم أن يبذلوه من تأييد لتلك الطريقة في العمل، فجاءت حوادث 1926 وأحداث سنة 1927 نكسة لما كانوا يأملونه من انقضاض على الاستعمار بجميع ألوانه وأصنافه.

إننا لا ننكر النكسة التي ابتلى بها المغرب في تينك السنتين، كانت سدا لكل معنويات المقاومة بالنسبة لعموم الرأي العام في البلاد، فقد كان بإمكان كل واحد أن يطوف البلاد من أقصاها لأقصاها فلا تجد أثرا لزعيم جديد يوحي بالتفاؤل أو يبشر بإمكان القيام بأي عمل من شأنه أن يقض مضجع الاستعمار الأجنبي أو كيانه أو يثنيه عما كان يخططه لإتمام الوقيعة التي كان يعمل لها ويريدها لهذه البلاد.

المغرب كله كان مستسلما يائسا من جميع إمكانيات العمل والوقوف في وجه الاستعمار، إلا فئة قليلة من الناس وثلة من شبابه كانت تعمل وتسعى لإحياء الشعور والقضاء على اليأس الجاثم، تواصل عمل نهارها بليلها في سبيل بعث مكثف للروح والقضاء على مظاهر اليأس والتشاؤم برغم أن وسائلها لذلك كانت محدودة، وأسلوبها كاد يكون انفراديا لم تؤمن به غير جماعة قليلة كان لها عزم الشباب وهمة العاملين بقناعة الاختيارات التي ارتأتها.

كان ذلك في فاس مثلما كان بالرباط وسلا وفي طنجة وتطوان، وهؤلاء القوم كانوا قليلي العدد من ناحية الكم، إلا أنهم كانوا أكثر بإيمانهم وعقيدتهم وباتصالاتهم المستمرة بين الشمال والجنوب.

وكل من يبحث في التخطيطات التي كانت تلك الجماعة تقوم بها، ويقرأ عنها في مصنفات الكتب التي تناولت بالبحث هذا الموضوع، تحيره النتيجة التي حصل عليها المغرب بعد ربع قرن من جهاده وكفاحه الذي ابتدأ سنة 1925 وانتهى إلى ما انتهى إليه سنة 1955، والقليل من ذوي البصائر الثاقبة يدرك أن البداية في العمل كانت طبيعية تساير الفهم الحقيقي لانتهاج سبل الدعوة والوصول إلى النتيجة. أما الكثيرون منهم فهم لا يستطيعون ربط السوابق باللواحق أو الغاية بالنتيجة، وقد أثبتت الأيام بعد نظر الذين كانوا بقلتهم كثرا بما كانوا يدعون إليه ويستعملونه.

إن النهضة الدينية كانت المرآة الحقيقية لعمل أولئك الذين كانوا يسعون لتطوير العقول على أساس البحث في أصول التخلف الذي جاء نتيجة حتمية لما آل إليه الحال، والذي أمسكت جذوره بعقول الناس فحادوا عن كل تفكير ديني صحيح، وأصبحوا ينظرون إلى الواقع التخلفي نظرة الرضى والاقتناع، فليس العيب أن يكون التمسك بالشعارات ركيزة يعتمد عليها، لكن العيب أن تكون تلك الشعارات في كل نظرة إليها تخالف الطهر الديني والصفاء المذهبي، فعلة العلل والمصيبة التي أصاب المغرب منها خطأ حظا وافرا كانت تتجلى في التمسك بشعارات بعيدة عن الدين وعن العقيدة الإسلامية الصادقة.

لذا نجد أن تفكير الفئة القليلة التي تزعمت سائر الإصلاحات ونادت بعد ذلك بوجوب تحقيق ما آمنت به وسعت إليه من استقلال، كان مبنيا على أساس تطهير العقيدة التي هي الجامعة لكل شتاتات الأمة والعمل لتوحيدها، ولولا ذلك لما أفادت الأمة من جهادها ولما تمكنت الروح الدينية من الإمساك بقواعد الكفاح والجهاد.

وليس ما بين سنة 1925 وسنة 1930 غير خمس سنوات وهي وإن جاءت في أعقاب الهزيمة التي مني بها الكفاح الوطني خصوصا بعد استسلام الزعيم ابن عبد الكريم، فإنها كانت حجرا أساسيا في تشييد الحركة الوطنية وقيامها على الركيزة التي ما كان لها أن تقوم على غيرها

لست بهذا القول أنزع لصبغ الحركة الوطنية الأولى صبغة دينية فقط، لكنها كانت العمدة والركيزة التي جعلتها كل الجماعة أساسا للاتجاهات التي هي بالنسبة لكل واحد حسب إدراكاته واقتناعاته، الرصيد الأول الذي جمع حوله كل الفئات وسائر الناس من أبعد نقطة في المغرب إلى أقرب جهة فيه، من جنوبه لشماله.

وأعتقد جازما أن نوعية هذا التفكير قد اعطت نتائجها، وأوجدت أرضية صالحة للعمل الذي انطلقت منه الحركة الوطنية بعد ذلك.

واليقين عندي أن الفرنسيين لو أدركوا هذه الحقيقة لما أقدموا على ما قاموا به سنة 1930 ولما أصدروا ذلك الظهير الذي أكدوا له أمرين لا ثالث لهما ، صدق نية ما كانت الحركة الوطنية تريده وتسعى له، وسوء نية القوم الذين أغرتهم قوتهم فبادروا لتقنين ما كانوا يخططون له منذ العهد الأول لاستيلائهم على المغرب.

وكان لا بد للقوتين الغير متكافئتين من الاصطدام، هناك في فاس وسلا والرباط وتطوان قوم يومنون بإخلاصهم وحسن نيتهم، وهناك أيضا في فاس وسلا وفي الرباط وتطوان آخرون يهزؤون من مغبة أمر جماعة لم تدرك على حد اعتقادها مغزى ما كانت تتذرع به من عقيدة وتومن به.

وقد يرى البعض أن فيما قامت به فرنسا سنة 1930 كان ارتجالا منها واقداما على مالم تدرك عواقبه. وهذا القول إن لم يكن له ما يبرره بالنسبة للفرض الأول حيث جاء نتيجة تدبير ورصد للإمكانيات وترقب الوقت المناسب. فهو بالنسبة للأمر الثاني كان جهلا بواقعهم وعدم إدراك لما كانوا عليه من روح زاد إقدام الفرنسيين لها انتشارا وثباتا على العقيدة.

وقبل التفرغ لذكر تفاصيل تاريخ الظهير وسوابقه ومحتواه، بل وقبل ذكر نتائجه، يجدر أن نأتي ولو بعجالة قصيرة لذكر الحركة الوطنية خلال تلك الفترة وما قامت به لخير هذه البلاد ومستقبلها.

كانت فرنسا تعتمد على ما أشرنا إليه من عدم التكافؤ بين قواتها والفئة الغاضبة المحدودة التي جعلت من تاريخ صدور الظهير يوما لانطلاقتها الجديدة، فالثورة المغربية كانت شيئا موجودا في أذهان الكثيرين من الذين لم يأمنوا بما كانت تدعيه وتسعى لتثبيته في بعض العقول. والفئة القليلة التي تصدت للعمل وعرقلة السبل إليه وإلى تحقيقه، كانت منذ بدايتها في العمل الاستمراري ترى أن القلة لا بد أن تؤول إلى كثرة، وأن المدن المغربية سوف تنضم لها القبائل التي كانت تقصد العمل بها، فجعلت من شعاراتها ذكر اللطيف ورفض التفرقة بين عناصر الأمة في الدين، إذ الإسلام وحده كان ولا يزال مصدر الجمع بين الفئات المتعددة والطوائف الكثيرة، وكل عمل لا يعتمد الإسلام عقيدة ومذهبا وتشريعا يكون مآله ما لم تتوخاه فرنسا وسعت إليه الحركة الوطنية المؤمنة الحازمة. فكان هذا الاعتقاد والعمل لهذه الغاية مصدر ما أوجدته الأيام من التفاوت في التقدير.

فالحركة الوطنية في فاس وسلا وفي الرباط وتطوان قد اخذت تردد ما أصبح لتلك الانطلاقة وذلك التحرك الأول شعارا لها، إذ المقصود من الظهير زيادة التفرقة الدينية، قد كان بمثابة خلق النزعات والنعرات القبلية واحيائها وحمايتها. فتفطنت لذلك الفئة التي أصبحت بعد ذلك كثيرة لما آمنت به وصدق عزمها على القضاء عليه.

لست أدعي أن سنة 1930 كانت نهاية للمطاف، بل كانت البداية التي ارتكز عليها الجهاد في كل ظروفه وملابساته، والتذكير بهذا تذكير بعهد أغر من عهود الكفاح الوطني، وتذكير بانطلاقته الأولى التي حققت بعد ذلك المعجزات.

والإشارة إلى كون العمل كان داخليا وخارجيا إحاطة بجانب الكفاح التي كان الواحد منها يتمم الاخر. فقد كان ممكنا أن يقتصر على الناحية الداخلية ويبقى المغرب الوطني وجها لوجه مع قوات فرنسا العاتية وفي ذلك اتكال على الطاقات المحلية والقدرات الإقليمية، وذلك ما كان في حساب فرنسا التي اعتمدت لسيطرتها وتوجيهاتها ما كانت تملكه من قوة داخلية. لكنها أخطأت التقدير يوم شعرت أن العالم الإسلامي كله يقف ضدها بجانب تأييد المغرب في نضاله وكفاحه.

الفضل في ذلك يرجع لتصميم القادة الذين فكروا منذ أول لحظة في كشف كل غطاء عما كانت فرنسا تدعيه وتعمل له في الخارج من توليها لحمايتها للمبادئ الحرة وابتعادها عن المساس بالقضايا الدينية.

الحقيقة أن العمل كان كله صعبا سواء من ناحية الداخل أو في الخارج. لكن الجماعة التي كانت تتقدم الحركة وتتزعمها جعلت من عملها في الداخل جزءا وصدى يرجع في الخارج قوة إيمان الداخل والتفافه حول كل المناضلين والمكافحين، وبذلك اكتملت أساليب النضال الجديد الذي ولد مع الحركة الأولى.

يقول الفرنسيون إن المرحوم الأمير شكيب أرسلان كان السبب فيما أثير من ضجة كبرى في الشرق ضدهم، وأنه كان المصدر لجميع أنواع التكتلات التي تكتل بها العالم الإسلامي ضدها.

وفي هذا القول جانب واحد من الحقيقة، أما القسم الثاني لها، فهو إلى جانب اهتداء المدبرين للحركة الوطنية إلى جعل الداخل مرآة لما في الخارج وكان العكس صحيحا. فهو أن القادة الأولين كانوا بأتم دراية على أن هذا الأمر لا بد له من تعاون يكفل النجاح وإن العمل في

الداخل إن لم يكن له في الخارج مـا يجـب من الصدى القوي فإنه قد يطول أكثر.

وتشاء الظروف أن تجعل من زيارة الأمير شكيب للمغرب سببا للانطلاق في الخارج والصدع بما يجب تعريف العالم الإسلامي به عن الوضع والحالة بالمغرب. إذ سبقت زيارة الأمير لطنجة وتطوان تعرفه على شابين من خيرة شباب ذلك الوقت بل شبان كثيرون كانوا يزاولون دراستهم بفرنسا نذكر منهم أستاذنا الكبير السيد أحمد بلافريج (شفاه الله) وأستاذنا الكبير المرحوم السيد محمد بن الحسن الوزاني وأستاذنا الكبير السيد محمد الفاسي. أولئك كانت لهم صلة بل صلات قوية بزعيم الإسلام وأحد رواده الكبار. فلما حل بتطوان في شهر أغسطس سنة 1930 كانوا من الملبين للدعوة التي وجهت لهم بالحضور من طرف الزعيم المرحوم الحاج عبد السلام بنونة والزعيم المغربي الأستاذ داود - شفاه الله أيضا - فحضر الثلاثة وبمعيتهم آخرون من القادة الأوائل. وهم الذين أفاضوا في تبيان ما كان المغرب يعانيه على يد فرنسا وما أقدمت عليه بإصدارها ظهير سادس عشر مايو. فصدقت نبوءتهم وصحت دعوتهم إذ ما كاد الأمير شكيب رحمه الله يعود إلى جنيف حتى شرع في اختيار الوسائل للإقناع والاتصال بقادة الفكر الإسلامي وملوكه وزعمائه. بل شرع في ذلك قبل أن يصل إلى جنيف ابتداء من اسبانيا حيث كتب وكاتب العدد الكبير من أولئك. والذي يريد الاطلاع على تفاصيل هذه المرحلة نحيله إلى كتاب المرحوم الأستـاذ الطيب بنونة بعنوان (نضالنا) كما نحيله على الكتاب القيم للأستاذ السيد الحسن بوعياد عن «الظهير البربري».

وعندما نذكر نشاط الحركة الوطنية في الخارج خلال هذه المرحلة. نذكر ما لعبته تطوان من دور أكيد في ميدان هذا النشاط. وما كان لزعيم المغرب المرحوم الحاج عبد السلام بنونة وزعيم المغرب الأستاذ داود من اتصال ونشاط في الاتصال بالأمير شكيب أرسلان وسباقهما في اعطائه النظرة الواقعية عما تركه بالمغرب من نشاطات وتحركات بخصوص محاولة تنصير البربر والذي كان بدوره يمد القادة في الشرق الإسلامي وزعماءه وملوكه بما كان يتوفر عليه من معلومات زيادة على كتاباته المتتالية باسمه الصريح مرة وأخرى باسمه المستعار.

ولا شك أن الفرنسيين قد فطنوا لهذا. لكن انصبابهم على الدعاية ومحاولة النكاية برائد الإسلام وزعيمه لم يفدهم أدنى إفادة فيما كانوا يتوقون إليه ويطمعون فيه.

إذ إلى جانب نشاطات الأمير شكيب أرسلان تكونت بالشرق في مصر وسوريا وفلسطين لجان من المغاربة كانت تشتغل للعمل الوطني كل ما يصلها من المغرب وجنيف. فجعلت نشاطاتها كلها تحوم حول العمل لتحطيم ما كانت فرنسا تريد تفاديه وتسعى لبنائه وترميمه.

ليس هذا غير جزء من نشاطات الحركة الوطنية الأولى. والتي جعلت من يوم سادس عشر مايو يوم الذكرى للانتفاضة الأولى.

وقد زجت فرنسا بكثير من رجالات المغرب وزعمائه بمختلف السجون. وهم بما كانوا يومنون به ويسعون له لم يكادوا يغادرون مختلف المعتقلات حتى عادوا للعمل من جديد ناشرين بين الناس دعوتهم التوحيدية في الخارج والتعريف في الخارج. بما كانت سلطات الاحتلال الفرنسية تقترفه وترتكبه بالمغرب.

لست هنا بصدد ذكر تاريخ تلك الحركة وما كان لها من شأو وتأثير في المسيرة الوطنية كلها. إذ ذاك على ما أعتقد. أنه من نصيب غير ما أريده هنا. لكنني برغم ذلك الشعور وهذه الرغبة أجدني منساقا مع التاريخ يجذبني إليه سيما والأمر يتعلق بحادث كان زيادة على كونه بداية علنية للوطنية بالمغرب فإنه قد كشف للمغاربة عن حقيقة الحماية وما كان يراد منها ومن فرضها على البلاد.

وصعوبة العمل بالنسبة للمغاربة في هذا الميدان كانت في إقناع الأصدقاء والأقارب بكون فرنسا اللا دينية الحرة تقدم في المغرب على ما أقدمت عليه والذي يعتبر استمرارا للحروب الصليبية ضد الإسلام

فالذين كانوا يومنون بالوجه المشرق لفرنسا. يصدرون في حكمهم عليها بما كانوا يقفون عليه من أمرها داخل حدودها الطبيعية أو بعاصمتها الكبرى. وحقيقة الأمر

تختلف بين الوجه النير هذا والصورة الأخرى التي كان كل من ابتلى بالاستعمار الفرنسي يعاني منها

إن إقناع الرأي العام في الشرق الإسلامي وحتى بعض الزعماء من رجالات ذلك العهد، كان أمرا لم يتغلب عليه بغير صدق ما كان يكتب، وبمقام الرجالات الذين كانوا يكتبون.

لهذا كان الاهتداء إلى أمير البيان وظروف إقناعه بما وقف عليه نفسه، من علاقات علامات وأسباب نجاح الحركة الصادقة المخلصة

وليس عبثا أن يكون ما كان من ردود الفعل الفرنسية ازاء اكتشافها تدخلات الأمير ومباشرته الأمر بنفسه سواء على صعيد الصحف والمجلات في الشرق وفرنسا نفسها أو لدى الجمعيات الإسلامية والزعماء المسلمين الذين كانوا ينظرون لفرنسا بغير الواقع من أمرها طبقا لما سبق ذكره.. ففرنسا كانت تعلم أن صوتا كصوت الأمير له كثيرون من المنصتين إليه وما السامعين للعمل بما كان يخطط ويسعى.

الحديث في التاريخ كله ذو شجون، وهو بالنسبة للحركة الوطنية وتاريخها أكثر من شجن وشجون، سيما والأمر يتعلق بحادث رغم أنه كان بالنسبة للحركة الوطنية بداية الانطلاق، فإن الكثيرين من شباب مغرب اليوم يصعب عليهم تصديق ما سوف يقرأون ويسمعون لعقيدتهم الجازمة بما لفرنسا وما كان لها من أدوار تحررية في التاريخ.

إلى أولئك أتقدم بهذه السلسلة من المقالات عن قضية اعتبرها التاريخ ويجب أن تعتبر كذلك عند سائر المغاربة كأول انطلاقة لهم في ميدان التحرر والاستقلال.

محمد الخطيب

مِن وحي لقاء القمة بين جلالة الملك الحسن الثاني وفخامة الرئيس الشاذلي بن جديد

للشاعر الأستاذ قدور الورطاسي

في يوم السبت 12 جمادى الأولى 1403، الموافق 26 فبراير 1983م حدث لقاء بين جلالة الملك الحسن الثاني وبين الرئيس بنجديد في مكان بين مطار انجاد وبين الحدود الجزائرية حول العلاقات الثنائية وخصوصا قضية الصحراء وكان الرئيس الجزائري مع حاشيته ضيفا على جلالة الملك الذي أقام لذلك مأدبة غداء في التراب المغربي...
وكان لهذا اللقاء أصداء عالمية، فكنت ممن ألهم بذلك القصيدة الآتية :

من وحي لقاء القمة

أقيمو له الأفراح لا تترددوا ... لقاء على مر العصور مخلد
لقاء به الشعبان عادا إلى الصفا ... وعادا إلى الوفاء، والعود أحمد
فلله ما أحلاه يوما محجلا ... إلى غرة كالشمس دوما تجدد
فكم تاهت الدنيا سرورا ومتعة ... وباهت به فخرا، وظلت تفرد
لقد شاءت الأعداء طول خصامنا ... وطول جدال كم يغور وينجد
ولكنها الأقدار شاءت كما نرى ... وليس لحكم الله من دونه يد
فقد بدد اللقاء كل سحابة ... فما بعده - والله - ما يتلبد
ففي الأفق - بعد اليوم - بدر، وأنجم ... وشمس، فلا سحب تلوح فتكمد
قلوب تنفست بملء قواتها ... فيا طلما التظت بنار توقد

وفي كل ناد عطره متـــــارج   وفي كل صوب [illegible]

وما كان في الدنيا عجيبا بأن نرى   قلوبا على خير الجميـع توحـد

ولكنهـا الدنيـا تالـب شرهـا   علينـا. فأمسينا بـه نتبـــدد

السنـا الذيـن كم تجـاوب حبنا   قديما. وفي الضراء ينمو فنسعـد

ففي ساحة الأمجاد كانت نسورنا   كمـا شاءها النضـال صفا تجنـد

فما شأنها يوما خلاف، ولا وهـت   عزائمها. والرأي رأي موحـــد

إلى أن توالى في النضال انتصارنا   فعدنا كما كنا نصول فنمجـــد

ونبني جميعا. كيف كان جدودنا   بناء جديرا بالـذي نتقصـــد

لئن عادت الأعداء تثلم ودنـــا   وترقب أحلاما لهـا تترصـــد

لقد خاب ظنهم. وضلت عقولهم   فثابوا بما يضنى الفؤاد، ويرمد

ألم يذكروا أن المليك مليكنـــا   إليه دنى الالهام ترنو فتسجـــد

وتعرفه الدنيـا مليكـا موفقـــا   متى هم. جاءت الصعاب تـــودد

ألم يذكروا بين الجزائر سيـدا   رئيسا له الأمجاد ورد ومعبـــد

هنيئا لشعبينا بمجد لقاهمـــا   ولله نبل فيهما متأبـــــد

فما أسعد «الأقصى» بيمن مليكنا   ويمن الذي بين الجزائر سيـــد

وما أسعد الشعبين بعد تنافـــر   بسلم قويم لا وشاة تهـــدد

ألا فليعش ملك البلاد مهنئـــا   سليما مظفرا مدى العمر يحمـد

وعاش الرئيس الفذ بين «جزائر»   لها من ذوي الأقصى وفاء مخلد

تحية إلى (المغرب العربي)

يا عروس البوغاز، ياجنة الدنـــ   يا «هنيئا بملتقى الاحـــزاب»

فيك يامنية القلوب تجلـــت   ءاية الله في دنى الألبـــاب

أنت «ارز» بين الهضاب وزهـر   وخضم كم تاه في الأحقـــاب

عجبا للابداع كيف تجلـــى   فيك قدما، وحاضر، الاعقـــاب

فاساراك في نعيم مقيـــم   واسارى الافات رهن العـــذاب

نشأتك الأقدار للحسن، والحبــ   ب وبدع الدلال، ذوب الرضاب

واصارتك للبطولة ملقـــى   ثم جلتك للوئام العجـــاب

كم جمعت الأحرار من كل صوب ففسحت الافاق للأقطـــــاب
أنت في يومك الاغر، فتيهــى برواد أتوك كالأحبـــــاب
حضنك اليوم للجزائر والاقــ صى و«خضراء» درة الاذهـــاب
ليس فيهم - وحق لطفك - ضيف انهم كلهم دمآ الاصـــلاب
أوسعيهم لطافة ورقاقـــا وألظي بكلمة الترحـــاب
واغمريهم بعطر حب عميـــق ليس يؤذيه أي خطب ونـــاب
ودعى عنك كل عذل وعتـــب وتحلى بروعـــــة الاداب
إن قومي - وإن «تغيبت» عنهم لا تعيدى ما مر من أوصـــاب
هكذا الود بين مورده العـــذ ب زلال ينحط عبر الشعـــاب
لاغثاء يعلوه في أي حيـــن أو غبار «يليق بالأوقــاب»
إن شأن الأحرار شأن عجيـــب لا يرون الحساب تلو الحســاب
أنت في فرحة اللقاء فكونـــي كيف عهدى - لطيفة الاعجـــاب
يا عروس البوغاز أنت رسولـــي بين قومي وخيرة الاتـــراب
بلغيهم تحية ملؤها الـــــود، وصدق الوفاء فوق الحســاب
حقق الله باللقاء طموحـــا لا بتناء الامجاد فوق السحـــاب

من وحي لقاء ممثلي الاحزاب بجلالة الملك بفـــاس

أي شعر يطيب «يوم اللقـــاء بين تاج ورادة العليـــــاء
إنه حلقة الخوالد في الاقصـــى، فتيها على طباق السمـــاء
أنت بين الرحاب في غرة الدنيـا بفاس، وبين عرش الوفــاء
فانثر الزهر من رباك ورجـــع نبرات اللحون للعظمــــاء
فمليك الأقصى يتوج بالخلـــق كريما مواقف الصحـــراء
هكذا شاءه الاله نبيـــــلا يقطف المجد بالنهى والدهـــاء
فبما منة من الله صـــارت نفحات السماء خلق اللقـــاء
خلقه الرائد المؤيد في الدنيـا تسامي في روعة وازدهـــاء
فهو بين الأحزاب في الخلق نـــد ومليك يسمو على النـــدداء
ينثر الفكر كالزهور عبيـــرا وإذا الفكر مرهـــم الادواء

وإذا المغرب الموحد يبـــــدو في «غداء» معمق الارســـاء
وإذا بالشعوب تنظر للعيـــش رغيدا بالأمن والأمنـــاء
وكأني بالكون ينظـــــر للأقصى عرينا يتيه بالحكماء
حكماء الشعوب حذو مليـــك ينضد الفكر للاخآ والبنـــاء
فلقاء الاحزاب في قاعة العـــر ش بفاس مخلد الأضـــواء
أملاكان. فاستبان كفجـــر في شعاع كالشمس عبر الضحاء
يالها لحظة تماسك فيهـــا عروة الود في عميق الصفـــاء
وتراءى بين الوجوه اخـــاء كاخاء الأبناء والابـــاء
عش مليك الأقصى لمجداثيـــل وطريف لوحدة القربـــاء
في ظلال الإسلام في ورده الصا في، وظل الابداع والإنشـــاء
ولتعش ساحة العروبة عهـــدا أنت فيه مقـــدم الاراء

تحية إلى الجزائر بلقاء طنجة وفاس

حي الجزائر، قلب المغرب العربي وابـط يديك فما في الود من ريب
واضمم يديك على كفي اخوتهـا وانظر اليها تر الوجوه في صبـب
من رشح فرحتنا العظمى برؤيتهـا في موكب عز بين العجم. والعـرب
في حضن مغربنا الأقصى. و«مالكه» و«حزبه» مادت الغبراء في طـرب
واهتز للحدث العظيم أطلسنـــا وتاهت القبة الزرقاء بالرغـــب
والجو يطربه النشيد في مـرح والزهر عبر الربيع رائع الشـــب
والطير تشدو على افنانها نغمـــا احلى. واعذب من خلاصة الضـرب
واللسن بين «منصات» تمثل مـــا قد كان كالحلم. أو كالبارق الكذب
والكل حيا بملء القلب عودتنـــا إلى الأصالة بين الإخوة النجـــب

٥ ٥ ٥

ما كنت أحسب أن أحيا إلى أمـد أرى الجزائر فيه درة اللبـــب
ترنو الى المغرب الأقصى كعادتهـا عبر العصور ـ أخافي غمرة النــوب
مالاح كيد لها إلا رأت عجبـــا مما تراه من الأبطال. والنشـــب
فالملك. والشعب. والأموال فديتها حتى نرى راية الأمجاد في السحب
وليس في ذاك من «أذى» يضايقها إلا الأمانة للإسلام والنســـب
وما الحدود عدا وهم تطـــارده بالحزم. والعزم. والاباء والعقـــب

وكيف أحب، والأخطار محدقة … بكل أمنية في السلم، واكربي !

وكيف احب، والحساد في وغر … يقصي الأماني، يا لشر محترب !

وكيف أحب، والمشيب يقلقني … برحلة الخلد دون منية الطلب

اقضي ؟ وفي ساحة الصحراء معترك … بيز الاخوة، والقلوب في لهب ؟

أهوى إلى القبر والحروب قائمة … بيز الجزائر والأقصى فوا نصبي

شلت يمين عداة جل خطبهم … حتى تراءت لنا سحائب الحرب

كم من ليال فقدت النوم وانهمرت … ملء الجفون دموع الحزن والكأب

أشكو إلى الله ما بالقلب من ألم … وما يقاسي من الأهوال والعجب

حتى إذا طلع الصباح منفلقا … اغفو على الجرح، والمنام لم يطب

واليوم يا فرحة الفؤاد أحيا على … لحن اللقاء، فما أحس بالتعب

فليغمر الله بالالطاف وحدتنا … وليحفظ الله مجد المغرب العربي

وللجزائر ما ترجوه من أمل … عبر الأخوة في لواحق الحقب

الربـــاط : قدور الورطاســي

الكتاب المغربي

●● صدر العدد الأول من مجلة " الكتاب المغربي " عن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ويديرها الدكتور محمد حجي . وقد تناول العدد الأول بالعرض والتلخيص مجموعة المؤلفات والمجلات التي صدرت بالمغرب سنة 1982 ..

●● نهنئ د. حجي على هذه التجربة الثقافية الرائدة في الصحافة الأدبية بالمغرب ●●

الأسلوب القرآني في الجدل

للأستاذ محمد العربي الزكاري

امتحان الأنبياء

شاءت قدرة الله القاهرة واقتضت حكمته البالغة أن يتعرض الإسلام منذ انطلاقته الأولى لعداء أهل الكتاب ومن لف لفهم من المشركين والمعاندين. حتى لا يشذ عن القاعدة العامة التي واكبت الرسالات السماوية السابقة. فكان اجتياز خاتم الأنبياء والمرسلين لهذا الامتحان العصيب من الإرهاصات التي تؤكد صدق رسالته وما جاء به من دين هو آخر الأديان السماوية في انتظار اليوم الموعود !

ولو تدبر الإنسان بعناية ما تعرض له المسلمون الأولون من عنت، ولو غاص العقلاء بفكرهم في أعماق الأحداث التي واكبت الدعوة المحمدية، لأدركوا أن الشر دائما بالمرصاد للخير، وأن الباطل متحفز باستمرار للانقضاض على الحق، وأن النصر في نهاية المطاف حليف الخير والحق معا. **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق)** (1).

وأقرب الرسالات السماوية إلى رسالة الإسلام رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، فقد تعرضت هي الأخرى للإنكار الصريح والعداء الواضح، وتحمل صاحبها أنواعا وأشكالا من المشاق والأتعاب والعناد والتكذيب، حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء، مما يدل أسطع دليل على أن الضلالة بلغت بالمعاندين حدها الأقصى.

عناد متواصل

ومن الغريب والعجيب أن الإسلام استهل القرن الخامس عشر من حياته الخالدة بحول الله، ولا يزال المعاندون والمتنطعون وخصوم رسالات الله من دعاة التيارات الملحدة وبراذين الشيطان اللعين يناصبونه العداء، ويحاولون بشتى الوسائل تشكيك أتباعه في عقائدهم، ويتفننون في انتحال أساليب إبليسية للانحراف بهم إلى طريق الضلالة وسبل الغواية.

ولو كان هؤلاء على بصيرة من أمرهم، ولو لم يكن ابليس استحوذ على قلوبهم وعقولهم بوساوسه وإغراءاته لنكصوا على أعقابهم وعادوا إلى صوابهم، فأعلنوها سلما عامة مع المسلمين ودخلوا في دين الله أفواجا، إذ يكفيهم في هذا المجال أن هذا العمر الطويل من حياة الإسلام لم تؤثر فيه الزوابع ولم تزحزحه عن مركزه الأعاصير، بل على العكس من ذلك لا يزداد مع الأيام إلا امتدادا

---

1) سورة الأنبياء (18).

وانتشارا، وأن اتباعه رغم ما تعرضوا له من مضايقات واضطهادات على مر العصور والأجيال لا تزداد عقيدة الإسلام في قلوبهم إلا رسوخا ومتانة وعمقا.

وإن نحن حاولنا استعراض المواقف العدائية ضد الإسلام والمسلمين، وأخضعناها للبحث الدقيق والدراسة المعمقة والتحليل المنهجي، لطال بنا الحديث وتشعب الموضوع، وربما اتخذه المغرضون والدساسون ميدانا للجدل الفارغ، وانتحله المعاندون والملحدون وسيلة جديدة لوصفنا بالتعصب الديني وإحياء النعرات المذهبية.

موقف عدائي

ولكن هذا لا يعفينا من التعرض لموقف عدائي صريح لا يحل لمسلم صادق في إسلامه أن يغض الطرف عنه ويتجاهل أبعاده في الحاضر والمستقبل، فعقيدتنا الإسلامية تلزمنا بهتك الستار عن الحملة الضارية والمنظمة التي يتعرض لها المسلمون في طي الخفاء والتي تمس جوهر عقيدتنا، أما المواقف العدائية الأخرى فهي مكشوفة للعيان، وتفصح من تلقاء نفسها عن العداء الواضح الذي تسلكه كل جهة لها ضلع من قريب أو بعيد - في حبك الدسائس وتدبير المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

نشرة تبشيرية

كثيرا ما سمعت بأن بعض الجهات في الخارج تبعث عن طريق البريد بنشرات تبشيرية إلى بعض المسلمين في وطننا المعتز بإسلامه والفخور بإيمان أبنائه، وكم وددت لو وضعت يدي على إحداها لأعالج الموضوع وأنا على بينة من الأمر، إلى أن وجدت في بريدي ظرفا يحمل إسمي الكامل وعنواني المدقق، وقد أتى من إرسالية بالسويد توضح هي الأخرى عنوانها بالتفصيل، والظرف يحتوي على نشرة تبشير بالنصرانية وتدعو إلى اعتناق المسيحية، بالإضافة إلى قسيمة إن اعدتها مملوءة تصلني نسخة من الإنجيل مجانا، وفي النشرة كذلك دعوة ملحة للاستماع إلى إذاعة تبشيرية من (مونت كارلو) موضحة موقعها برسم بياني لالتقاط الإذاعة، وأغلب الظن أن اسمي وعنواني مأخوذان من الدليل التليفوني بالمغرب.

أمام هذه الوثيقة التي بين يدي لم يكن بد من أن نناقش أصحابها الحساب الهادئ ونجادلهم بالتي هي أحسن كما يأمرنا ديننا الحنيف، ولكن بشيء من الوضوح والصراحة لتصحيح مفاهيم القوم والتأكيد لهم على أن عقيدتنا الإسلامية راسخة في قلوبنا رسوخ الجبال، وأنها لا تتأثر بدعاية الذين يتخذون من الأديان مطية لأغراض بعيدة لا تخفي خطورتها على أحد، إذ لو كان الدين هو الهدف لوجدوا أمامهم وخلفهم وعن يمينهم وشمالهم من هم في حاجة ماسة لمن ينتشلهم من وحل الارتداد عن الأديان وارتمائهم في أحضان الشرك والوثنية.

لا ندخل من الأبواب الخلفية

وليس من أخلاقنا كمسلمين أن نسلك طريق الخديعة، ونندس في البيوت كلصوص، وإنما نأتيها من أبوابها ونستأذن أصحابها ليفتحوا أمامنا الأبواب على مصراعيها، ومن الواضح أن المتسلقين للسطوح والمتسربين من الأبواب الخلفية لا تنتفي عنهم صفة الاختلاس، لا اختلاس متاع الدار هنا، وإنما سرقة أثمن وأغلى وأرفع وأنبل ما يمتلكه المؤمن وهي عقيدته.

ومعنى هذا بالحروف العريضة أن التبشير بالإسلام لا يتخذ الأقنعة، ولا يتهرب من الساحة، ولا يندس خفية في الصفوف، وإنما يعمل رافعا الرأس وضاء الجبين، وبعبارة أصرح وكلمة أوضح أن المسلمين في كل زمان ومكان ينشرون عقائدهم على الناس دون التواء ومن غير مطالبتهم باعتناقها، بل يتركون لهم حرية الانتخاب واستعمال ملكاتهم العقلية لاختيار الأصلح لهم والأنفع، تطبيقا للآية الكريمة **(لا إكراه في الدين)** حتى إذا ما اقتنعوا بصلاحية الإسلام وأعلنوا اعتناقهم لعقيدته الأساسية فمرحبا بهم كإخوة مؤمنين، وإلا قلنا لهم ما لقنه لنا القرآن الكريم **(لكم دينكم ولي دين)** (2).

2) سورة الكافرون (6).

ويتجنب الحقيقة من يدعي زورا وبهتانا أن الإسلام انتشر بالسيف. إذ لو كانت هذه الفرية تتوفر ولو على نسبة ضئيلة من الصحة لما عاش اليهود والنصارى قرونا وقرونا في كنف الإسلام دون أن تمس عقائدهم وأموالهم وأعراضهم بسوء. وإنما عاشوا أحرارا في مزاولتها بمعابدهم وكنائسهم تحت حماية الدولة الإسلامية. وإذا كان المسلمون خاضوا غمار حرب فقد كانت دفاعا عن عقائدهم وحماية لأرواحهم وصيانة لأعراضهم من أولئك المعاندين الذين ناصبوهم العداء فاغتصبوا ديارهم واختلسوا أموالهم وتحالفوا مع من تنكروا للعهود والمواثيق. ومن المسلم به دوليا وقانونيا وعرفيا ودينيا أن يلام المدافع عن نفسه ضد هجمات المغيرين الذين يتحملون وحدهم مسئولية إشعال فتيل الحرب...

هذه التوضيحات كان لا بد منها قبل الدخول في صلب الموضوع لنناقش القوم الحساب مناقشة هادئة لا تعصب فيها ولا عناد. ما داموا يدعوننا إلى الانسلاخ عن ديننا والتنكر لعقيدتنا والارتداد عن إسلامنا.

تساؤلات

ومن حقنا أن نسألهم أولا هل هم يلتزمون بتعاليم السيد المسيح الذي بشرهم الإنجيل كما أنزله الله بالبعثة المحمدية. وإنا لنجد الجواب الشافي على تساؤلنا في قول الله تعالى **(أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)** (3).

ونتساءل ثانيا عن اعتقادهم في المسيح وأمه العذراء. ونقارن هذا الاعتقاد بما نومن به نحن إيمانا راسخا من كونه لم يدع الألوهية وإنما هو عبد من عباد الله كما يحكي لنا القرآن المجيد **(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد)** (4).

فكيف تسمحون لأنفسكم بدعوتنا إلى دين المسيح وأنتم أول من توجه إليه الدعوة للعودة إلى تعاليمه الصحيحة المتمثلة في عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا مثيل ولا نظير **(قل إنما أمرت أن اعبد الله ولا أشرك به، إليه أدعو، وإليه مآب)** (5).

والواقع الذي لا مرية فيه أننا أحق من غيرنا بالمسيح، لإيماننا به كرسول من جملة رسل الله **(أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون، كل أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير)** (6).

ونتساءل ثالثا عن ادعائكم بأن المسيح عليه السلام قتله بنو اسرائيل مصلوبا، مع أن عقيدتنا مخالفة لهذا الادعاء اليهودي تمام المخالفة. واستمعوا إلى ما جاء في دستورنا المقدس من حقيقة ناصعة وجواب إلهي قاطع **(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما)** (7).

على أن رسالة السيد المسيح لم تكن للناس كافة ولا ممتدة إلى النهاية، وإنما اقتصرت على شعب معين وفترة زمانية محددة، لتحل محلها الدعوة المحمدية العامة لكافة البشر والخاتمة لجميع الرسالات السماوية **(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيئين، وكان الله بكل شيء عليما)** (8).

---

3) سورة البقرة (85).

4) سورة المائدة (116 ـ 117).

5) سورة الرعد (36).

6) سورة البقرة (235).

7) سورة النساء (157 ـ 158).

8) سورة الأحزاب (40).

لا سجود إلا لله

ومن المضحك ـ إن لم يكن من المؤسف ـ أن تقول النشرة التبشيرية بالحرف الواحد «أنا صليت وقبلت يسوع المسيح في حياتي» ونحن مع تصديقنا لرسالة المسيح نترفع عن تقبيل الأحجار والأخشاب، ونربأ بأنفسنا عن السجود للأصنام والأوثان، وإنما نعفر جباهنا لخالق هذه العوالم، والأكوان والمهيمن عليها بقدرته القاهرة وحكمته البالغة.

ولو وضعنا هذه الحقائق الإسلامية وما تعتقدونه أنتم موضع الدراسة النزيهة المجردة عن الهوى والأغراض والهادفة إلى الحقيقة والصواب، لرجحت كفتنا رجحانا مبينا ولقادتكم النتيجة الناصعة التي تتفق والعقل الناضج إلى العودة لما جاء به السيد المسيح في إنجيله الصحيح.

التفتوا حولكم

وهناك نقطة رئيسية لا مناص من الإشارة اليها ونحن نناقش هذا الموضوع الحساس، وتتمثل في الردة داخل أوربا وغيرها من قارات الدنيا، وحرى بارساليتكم أن تبحث عن الأسباب الحقيقية من التيه الذي أصاب جل شبابكم، فتوجه اليه نشراتها لا الى المسلمين الذين لهم من الحضانة الإسلامية، والمناعة الدينية، والعقيدة الراسخة، ما يحول بينهم وبين التطلع الى دين نسخه الله بآية قرآنية جامعة **(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)** (9).

ولست أدري ـ ولا المنجم يدري ـ لم لا تلتفون خلفكم، وأمامكم، وعن يمينكم، وشمالكم لتقتلعوا الأشواك التي تدمي الأقدام، بدلا من بعثرة جهودكم في مزارع بعيدة عنكم جدا، مع علمكم بأننا تزخر بالورود والرياحين العابقة بنسائم الإيمان الصادق والعميق بالله الواحد الأحد الفرد الصمد.

هذه نصيحتنا

وبعد فليس غرضنا مهاجمة المسيحية ولا الدخول مع أتباعها في جدال عقيم لا فائدة من ورائه قديما وحديثا، وإنما قصدنا توضيح ما يجب إيضاحه في موضوع يهمنا نحن بالذات كمؤمنين بالإسلام، وتفهيم القوم أن التطاول على عقيدتنا غير لائق ومرفوض رفضا باتا، وأنهم بسلوكهم لا يخدمون حتى دينهم، وإنما يؤججون نيران الخصومات المذهبية التي استغلها دعاة الصليبية في الماضي ويستغلها اليوم زعماء الحركات الهدامة والمشرفون على خلايا الإلحاد.

ونصيحتنا إلى من يهمهم الأمر أن يترفعوا عن هذه الأساليب الملتوية التي لا تليق بمن يحترم نفسه ويقدر مسؤوليته كداعية، ويكرسوا جهودهم لإصلاح ما فسد في ديارهم، ولا نقول لهم في الختام إلا ما أرشدنا إليه كتابنا المقدس **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** (10)

تطوان : محمد العربي الزكاري

9) سورة آل عمران (85).

10) سورة آل عمران (10)

اشارات حول
الإشعاع الفكري والحضاري
لمدينة تطوان

-2-

للأستاذ محمد العربي الشاوش

اشتمل القسم الأول المنشور في العدد السابق على التعريف بمنطقة شمال المملكة المغربية التي كانت تطوان عاصمة لها، وعلى التعريف بمدينة تطوان وتاريخ نشأتها وتجديدها، ومكانتها التاريخية والحضارية، وكيف احتضنت الحضارة الأندلسية بعد استقرار الأندلسيين فيها في أواخر القرن الخامس عشر بعد سقوط غرناطة في يد الإسبانيين، مع ذكر بعض الأحداث التاريخية الهامة والأعلام اللامعة في هذه الفترة. وفيما يلي يواصل الكاتب الحديث عن الدور الفكري والحضاري البارز لمدينة تطوان.

(11)

وقد تعاقب على حكم تطوان عدة ولاة ما زالت آثار بعضهم ماثلة أمام الأعين وكأنها تردد قول الشاعر :

تلك آثارنا تدل علينـــا

فانظروا بعدنا إلى الآثـــار

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب ولاة تطوان قد حملوا راية الجهاد لإعلاء كلمة الله وتحرير شواطئ البلاد من الغزاة الأجانب، فكانت مدينة تطوان حصنا حصينا للمجاهدين. وكانت القوة التطوانية في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي مشكلة من أربعمائة فارس، وألف وخمسمائة من المشاة، معززة بأسطول بحري مكون من خمس عشرة سفينة حربية مهيأة للهجوم والدفاع، وكان حاكم المدينة رئيسا أعلى للقوات الجهادية البرية والبحرية.

فمن هؤلاء الحكام الرؤساء، المقدم أحمد بن عيسى النقسيس التطواني المتوفى سنة 1622 وإليه تنسب (زنقة المقدم) المعروفة بتطوان. أما قبره فهو في أعلى مقبرة سيدي المنظري، وقد كاد المقدم أحمد أن يسترجع مدينة سبتة سنة 1588 في عهد السلطان المنصور الذهبي السعدي الذي سر بهذه المحاولة الجريئة سرورا بالغا. والمعروف أن أسرة النقسيس حكمت تطوان ما يقرب من ثمانين سنة في

القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي. ولكن أشهرهم هو المقدم أحمد الذي يتعين صيانة قبره وفاء لجهاده وتقديرا لمكانته.

ومنهم كذلك القائد المجاهد أحمد بن حدو الريفي المتوفى سنة 1679 وإليه تنسب الزنقة المعروفة بزنقة (القائد أحمد) وقد ولاه السلطان المقدس مولاي اسماعيل العلوي على تطوان سنة 1673 فكانت ولايته نهاية لحكم أسرة النقسيس المعاصرة للدولة السعدية، وبداية لعمال الدولة العلوية الشريفة التي كانت تطوان من المدن المغربية الأولى مبادرة بتقديم الولاء للدولة القائمة أدام الله عزها ومجدها. وكانت ولاية القائد أحمد فاتحة لمحاولات جهادية جديدة لتحرير مدينة سبتة والثغور الشمالية المحتلة.

ومن الأعلام البارزة في هذه الفترة الشيخ الصالح العلامة أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدي المتوفى سنة 1622 وضريحه مشهور بالمدينة، وبجانبه مسجده الذي بناه سنة 1620 وأدخلت عليه إصلاحات في الوقت الحاضر. والشيخ علي بن مسعود هو أستاذ الشيخ الصالح العلامة أبي الحسن علي المصيمدي المعروف عند العامة بالمسيندي، وقد مات قبل أستاذه بسنة واحدة، أي في سنة 1621 وقد بنى أيضا مسجدا قريبا من مسجد شيخه، وهو المعروف بجامع المصيمدي.

ومنهم أيضا الشيخ الأستاذ المربي عبد العزيز بن الحسن الزياتي التطواني المتوفى سنة 1645 وله كتاب نفيس سماه (الجواهر المختارة، فيما وقفت عليه من النوازل بجبل غمارة) والشيخ الزياتي من أبرز تلاميذ الشيخ الأستاذ أبي حامد محمد العربي الفاسي الذي كان مقيما بتطوان وتوفي فيها سنة 1642 ودفن بها، ثم نقل إلى مقبرة أسرته بفاس، وأبو حامد هذا هو صاحب كتاب (مرآة المحاسن) وقد كتبه في مدينة تطوان في مدة إقامته بها.

(12)

وقد اشرنا إلى أن تطوان قد صارت منذ فجر الدولة العلوية معقلا للجهاد من أجل استرجاع الثغور الشمالية المحتلة. فابتدأت هذه الحركة بولاية القائد أحمد بن حدو الريفي السابق الذكر، وتلاه القائد علي بن عبد الله الحمامي المتوفى سنة 1713 وهو من أسرة القائد أحمد المذكور، ولاه مولاي إسماعيل على المنطقة الشمالية من تطوان إلى الناضور، وذلك بعد وفاة سلفه مباشرة سنة 1679 كما تقدم. فقام القائد علي بتسيير المجاهدين الأبطال الذين حرروا مدينة طنجة من الاحتلال الإنجليزي سنة 1683 ثم حرروا مدينة العرائش من الاحتلال الإسباني سنة 1689 واسترجعوا مدينة أصيلا من يد الإسبانيين كذلك سنة 1690 ثم اتجه القائد علي إلى حصار مدينة سبتة إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وهكذا قضى هذا القائد المجاهد مدة ولايته في الجهاد من أجل العقيدة والوحدة والكرامة.

وخلفه في الولاية وقيادة المجاهدين ولده القائد أحمد بن علي المتوفى سنة 1743 وهو القائد أحمد الثاني من أسرة القائد أحمد بن حدو الريفي التي حكمت اقليم تطوان بل منطقة الشمال في عهد أمير المؤمنين مولاي اسماعيل العلوي.

وقد واصل القائد أحمد الثاني حصار مدينة سبتة وكان على وشك اقتحامها في فاتح المحرم سنة 1132 هـ موافق 14 نونبر 1719 بجيش يقدر بثلاثين ألف مجاهد، ولكن القوات الإسبانية المتفوقة أحبطت هذه المحاولة العسكرية المغربية الجبارة. ولم يكن المغرب ضعيفا من الناحية العسكرية، وإنما كان يحتاج إلى ديبلوماسية ماهرة وإلى جهاز مخابرات متيقظ ساهر، وإلى خطة حربية جديدة أيضا لكسب المعركة.

ونذكر من آثار القائد أحمد الثاني بتطوان قصره الفخم الذي شيده بزنقة المشوار، وقد صار هذا القصر بعده مقرا لعمال تطوان، ثم صار مقرا للخليفة السلطان في عهد الحماية الإسبانية وعرف بالقصر الخليفي.

ومن آثاره كذلك بناء برج مرتيل سنة 1719، وقد جدد هذا البرج سنة 1759 في عهد الملك المقدس محمد الثالث على يد عامله بتطوان عبد الكريم ابن زاكور، وأحدث بجانبه مرسى لتصدير منتوجات المدينة ومنها

الجلد والشمع. مع تخصيص دخل المرسى لموظفي البرج والمرابطين فيه. وفي حرب تطوان سنة 1860 دمر الإسبانيون البرج تدميرا، فأعيد بناؤه وتجديده بعد جلاء جيش الاحتلال الإسباني سنة 1862 وذلك في عهد الملك المقدس محمد الرابع. وكان هذا البرج يتوفر على منارة فخمة متحركة تدور حول نفسها على غرار منارة سبتة. تبعث شعاعها قويا يظهر من كل جهة مواجهة للبحر داخل مدينة تطوان. كما كانت المراكب البحرية تهتدي بنوره في ظلمة الليل. فكان هذا المنار من أجمل وأفخم ما يتميز به برج مرتيل. وقد غاب فيما غاب من الآثار التطوانية النفيسة في ظروف غامضة بعد انتهاء عهد الحماية.

(13)

وعلى ذكر القائد الأديب عبد الكريم ابن زاكور. نذكر أنه بنى زاوية (سيدي بلعباس) بزنقة (الوسعة) وكان مكان الزاوية سجنا. فحوله القائد إلى مسجد. ونسبه إلى الشيخ الجليل المشهور بأبي العباس السبتي المتوفى سنة 1204 تبركا باسمه اللامع. وتخليدا لذكراه في تطوان رضي الله عنه. أما ضريحه الحقيقي فهو في مدينة مراكش. وما زال هذا المسجد قائما في الوسعة. وقد ادخلت عليه أخيرا إصلاحات وتحسينات لا بأس بها.

وعلى ذكر أمير المؤمنين محمد الثالث مجدد برج مرتيل كما تقدم. نذكر أنه في سنة 1761 حبس على المسجد الأعظم بتطوان مجموعة كتب لينتفع بها طلاب العلم. وهذا الحدث يفيد بأن تطوان كانت مركزا للثقافة الإسلامية والدراسة الفهية والأدبية في القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي. وان المسجد الأعظم كان مدرسة إسلامية أصيلة تخرج منها عدد من العلماء والأدباء.

ومما يذكر أن مكان هذا المسجد كان مقبرة قديمة بني على أرضها مسجد صغير ومدرسة لإيواء طلبة العلم. فأمر أمير المؤمنين مولاي سليمان العلوي بتجديده وتوسيعه سنة 1808 فكان ذلك على يد عامله بتطوان القائد محمد بن عبد السلام السلاوي البخاري المتوفى سنة 1815 وتحول مأوى الطلبة إلى محكمة شرعية تحيط بها مكاتب العدول. كما انتقل مأوى الطلبة إلى المؤسسة المعروفة بمدرسة لوقش. وقد عرف المسجد الأعظم بعد تجديده وتوسيعه بالجامع الكبير. وما زال على الهيئة التي جدد عليها في عهد مولاي سليمان مع إدخال تحسينات على صحنه الواسع من طرف وزارة الأحباس بتطوان سنة 1362 هـ 1943 بمناسبة احتفال تطوان بمرور ثلاثة عشر قرنا على الفتح الإسلامي للمغرب. ونعيد إلى الذهن أن تطوان عرفت الإسلام سنة 62 هـ ـ 682 م. بعد فتح سبتة كما تقدم. ولا يفوتنا أن نذكر أن الجامع الكبير كان في عهد الحماية مقرا للمعهد الديني الذي أطلق عليه بعد الاستقلال (ثانوية القاضي ابن العربي) ونقل إلى البناية التي يوجد فيها الآن والتي كانت ثكنة للجيش الإسباني.

(14)

والجدير بالذكر أن ملاح اليهود كان قريبا من الجامع الكبير وقت تجديده. وهو المكان المعروف الآن بزنقة (الملاح البالي) فأمر السلطان بترحيل اليهود إلى الجهة المعروفة الآن بحومة الملاح. وكانت الأرض التي بني عليها هذا الملاح الجديد من أملاك الدولة عوضت بها اليهود عن ملاحهم القديم وذلك سنة 1810. وقد توج مولاي سليمان اهتمامه بتطوان بزيارتها سنة 1813 وأقام بها ثمانية أيام تفقد فيها رحمه الله أحوال المدينة وسكانها.

وتجدر الإشارة كذلك أن الملاح الجديد قد صار ملاحا باليا أيضا بعد أن هجره اليهود منذ سنة 1960 أي بعد استقلال المغرب. وقد حل المسلمون المغاربة محلهم في السكنى والتجارة. وحتى البيعة اليهودية صارت متجرا للملابس. وبنى المسلمون سكان الملاح مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس أطلقوا عليه (مسجد الأندلس) ويقع هذا المسجد في مكان بارز بالملاح المذكور. زيادة على كتاتيب قرآنية يتعلم فيها صبيان المسلمين كتاب الله الكريم. ومع ذلك ما زالت شوارع الملاح وما يتفرع عنها من أزقة تحمل أسماء أعلام اسرائيلية خالصة. وهذه وضعية

شاذة يجب على الجهات المختصة أن تعيد النظر فيها. لأن المواطنين اليهود تخلوا عن الملاح بمحض إرادتهم. بل الأغلبية الساحقة منهم هاجرت إلى مدينة سبتة المحتلة. وإلى اسبانيا وغيرها بمحض اختيارهم. فما ضايقهم أحد ولا تعرض لهم أحد بسوء باعتبارهم من المواطنين المغاربة أولا، وباعتبار التسامح الديني الذي اتسم به المغرب قديما وحديثا. ويذكر التاريخ للملك محمد الثالث أنه عند زيارته لتطوان سنة 1759 م قدم ليهود المدينة خاصة قرضا من خزينة الدولة قدره خمسون ألف ريال فضي مغربي للتوسعة عليهم وتنشيط تجارتهم. تأسيا بما فعل أسلافه معهم عندما هاجروا من الأندلس فرارا من محاكم التفتيش الكاثوليكية الرهيبة. فوجدوا في المغرب عامة خير ملجأ ومأمن تمتعوا فيه بحريتهم الدينية وكرامتهم الإنسانية. وكذلك أوصى الملك محمد الرابع بضعفاء اليهود التطوانيين خيرا. وأمر عامله الحاج عبد القادر أشعاش بالرفق بيهود تطوان، وأن لا يكلفوا إلا بما يطيقون. كما في الرسالة الملكية المؤرخة في ثالث ذي القعدة سنة 1280 هـ ـ 1863 م. فعاش اليهود في تطوان محترمين ملحوظين على الدوام. ولكن تهور بعضهم أبى عليهم أن ينسجموا مع مواطنيهم المغاربة بعد استقلال البلاد ورحيل الأجانب عنها. فتبعوا الأجانب. وتخلوا عن ديارهم ومدينتهم. فليس من اللياقة بعد هذا السلوك اللا أخلاقي أن يسكن المغاربة المسلمون في أحياء تحمل أسماء يهود فروا من مدينتهم. وأسماء يهود لا علاقة لهم من قريب أو بعيد بهذا المجتمع التطواني الجديد.

(15)

ومن قواد تطوان البارزين أيضا الحاج محمد بن الحاج عمر لوقش المتوفى سنة 1776 م ومن آثاره سقاية باب العقلة. وسقاية باب التوت. وكلتاهما من المعالم الحضارية الجميلة بتطوان. ومن آثاره كذلك مسجده المعروف بجامع لوقش في ساحة الغرسة الكبيرة وله باب أيضا بزنقة المقدم. ويتصل المسجد بدار كبيرة بنيت على لوقش. كان طلاب العلم يسكنون فيها مجانا. والأحباس تساعدهم بالإنارة والماء وخبزة في اليوم لكل طالب مقيم في الدار تحت إشراف ناظر مكلف بشؤون الدار. ومن اللائق أن يعاد لهذه المؤسسة اعتبارها لتكون مأوى لطلبة التعليم الجامعي بعد إدخال تحسينات مناسبة عليها. وتجديد اسمها باسم (مأوى القائد لوقش للطلبة) فالطلبة وخاصة منهم طلبة كلية أصول الدين أحق بها من غيرهم. لأنها أنشئت من أول يوم لطلبة التعليم الإسلامي الأصيل.

وكان والد الحاج محمد لوقش وهو الحاج عمر لوقش من أبرز علماء تطوان وأدبائها. وقد أسندت إليه ولاية المدينة بعد انتفاضة تطوانية شارك فيها بنفسه ضد الاستبداد والقهر. وقد خلد هذا الحدث التاريخي بقصيدة لامعة طويلة نقتطف منها قوله :

بلغت من العلياء ما كنت أرتجي
وأيامنا طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحا ومصرحا
هلم أبا حفص فأنت لها الصدر
أنا عمر الموصوف بالبأس والندى
أنا البطل المقدام والعالم الحبر
ظهرت لأحيي الدين بعد اندراسه
فطوبى لمن أمسى يساق له الأمر
...
وجئت بعدل للإمامين تابعا
أنا الثالث المذكور بعدهما وتر

ويقصد القائد الشاعر بالإمامين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما. وقد اشتهر كل منهما بالعدل والرفق والاستقامة. وقد دأب الناس على وصف من تشبه بهما في العدل وحسن السلوك من الأمراء والحكام بثالث العمرين. وإلى ذلك اشار بقوله : أنا الثالث...

هذه القصيدة نموذج من نماذج الفخر والحماسة لولا ما فيها من مبالغة في الطموح إلى المجد والرئاسة قال عنه الناصري في الاستقصا بأنه «ازرى بأدبه مع أنه كان من أهل الأدب البارع والعلم والرئاسة» ونعقب على ذلك بأن المبالغة في الطموح سمة من سيمات الرؤساء والشعراء

خاصة. وعذر قائدنا الحاج عمر أنه كان شاعرا بليغا أطلق العنان لقلمه بدون تحفظ من فلتات الفكر واللسان التي تؤدي في غالب الأحيان إلى النقد اللاذع وإن كانت صادرة عن حسن نية وسلامة طوية. ومعلوم أنه لم يتمرد على النظام ولا على الدولة. وأنه بعد نقله من ولاية تطوان إلى البلاط الملكي بمكناس كان من أخص الملازمين للملك المقدس مولاي عبد الله بن اسماعيل حيث كان يحظى منه ومن والدته العالمة الأديبة للا خناثة بنت بكار المغافري بوافر العطف والتقدير. وقد انتفع بمجالسه العلمية كثير من الطلاب في تطوان ومكناس ثم في تارودانت حيث كان مرافقا للملك في زيارة لها. وبها توفي سنة 1736. وقد اثبت الحاج عمر لوقش بعلمه ويقظته أن العلماء أقدر الناس على تحمل المسؤوليات وقيادة الرأي العام نحو المثل العليا وتحقيق رغائب الأمة في العدالة والعزة والكرامة. ولا غرابة إن كان ولده الحاج محمد لوقش المتقدم ذكره في مستوى الحاكم النبيه الذي عرف كيف يخلد اسمه في المدينة بمآثره الحضارية وخاصة مسجده ومدرسته التي لا تقل أهمية عن مدرسة العطارين مثلا بفاس.

(16)

ولا يفوتنا أن نقول بأننا لا نلتزم في هذه الإشارات بتسلسل الأحداث تسلسلا زمنيا على نهج المؤرخين وإنما نشير إلى بعض المعالم الحضارية البارزة التي ظهرت على يد بعض ولاة تطوان النابهين. فمرادنا هو التعريف بأهم الآثار الحضارية والأحداث التاريخية مع تسلسل الكلام عن نقطة معينة من البداية إلى النهاية. قدمنا ذلك أو أخرناه حسب ما يقتضيه المقام. والعبرة في إشاراتنا كامنة في المضمون لا في الشكل.

وحديثنا عن تطوان في ماضيها وحاضرها إنما هو حديث عن أهلها الذين صنعوا تاريخها وحضارتها وأمجادها، ونستدل على ذلك بقول الله تعالى : **(واسأل القرية التي كنا فيها)** (82 سورة يوسف) أي أهلها.

وقديما قال الشاعر :

وما شرف الأوطان إلا رجالها
وإلا فلا فضل لترب على ترب

ونحن نذكر من القوم فقط بعض من ترك أثرا قائما أو كان نجما لامعا في حدث من أحداث المدينة أو كان علما من أعلام العلم والفكر فيها. ومعلوم أن حضارة مدينة ما تتجلى في مآثرها العلمية والعمرانية القديمة أو الحديثة. وهذا التنبيه إنما هو استدراك لما كان ينبغي أن نقوله في مقدمة الموضوع.

(17)

ونعود إلى تطوان القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي لنشير إلى بعض الأعلام الذين كان منهم الشيخ الصالح الأستاذ العلامة سيدي الحاج علي بركة المتوفى سنة 1708 وكان منقطعا لنشر العلم بالتدريس ومجالس الوعظ والإرشاد. وضريحه معروف ومشهور بالزاوية التي تحمل اسمه بتطوان. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الشيخ كان أستاذا لبعض أعلام المغرب. كالفقيه الأديب الشاعر محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي المتوفى سنة 1708 وهي السنة التي توفى فيها شيخه. والفقيه العلامة المحدث الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي المتوفى سنة 1750 وفي هذا ما يدل على أن بعض الأطر العلمية والأدبية الفاسية تخرجت من تطوان.

ومنهم الشيخ الصالح العلامة سيدي أحمد بن محمد الورزازي المتوفى سنة 1765 وعرف عند العامة بسيدي الورزيزي. وضريحه مشهور في مدخل مقبرة سيدي المنظري. وقد كان من العلماء المجتهدين حتى اتهم في فكره وسلوكه بالاعتزال. وحينما زار أمير المؤمنين محمد الثالث مدينة تطوان حضر صلاة الجمعة في جامع لوقش حيث كان الشيخ خطيبا فيه. فدعى سيدي الورزيزي للملك في الخطبة. وكان مما قال : «اللهم انصر عبدك هذا - وأشار إليه - إن كان على الحق» وفي هذا ما يدل على إيمان الرجل ورباطة جأشه وقوة شخصيته. ومما يذكر عن

الشيخ أنه لما حج سار على قدميه من الحرم المكي إلى الحرم القدسي لزيارة المسجد الأقصى المبارك.

ومنهم الفقيه الصالح الشيخ سيدي محمد غيلان المتوفى سنة 1774 وكان متفرغا للعلم والعبادة، يقوم بالتدريس في مسجده الذي عرف بجامع غرسية، وانتفع بعلمه عدد من الطلاب.

وكانت ابنته السيدة آمنة بنت محمد غيلان عالمة صالحة متفرغة للعلم والعبادة وتعليم النساء اللغة العربية والقرآن الكريم وشؤون الدين إلى أن توفيت سنة 1775 أي بعد والدها بسنة واحدة، وقبرها مشهور في مسيد بزنقة المطمار يعرف بلالا غيلانة.

ومنهم الشيخ العلامة سيدي علي بن طاهر شطير المتوفى سنة 1777 وكان مدرسا وإماما بجامع الربطة، وله كتاب سماه (الحديقة الحسنة، في خطب الشهور والسنة) وهو أستاذ العلامة المتصوف سيدي أحمد بن محمد ابن عجيبة الذي سنشير إليه بسطور فيما بعد.

ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر أيضا الشيخ الصالح العلامة مولاي عبد الله بن مولاي العربي الوزاني المتوفى سنة 1785 وهو جد الشرفاء الوزانيين بتطوان ومن رجال العلم والتصوف في وقته. وضريحه معروف بتطوان في زاوية جده الصالح مولاي محمد بن مولاي عبد الله الوزاني المتوفى سنة 1708 وذكر صاحب الاستقصا أن نسب هذه الأسرة الوزانية الشريفة يتصل بالشيخ الصالح سيدي يملح بن مشيش أخي الشيخ العلامة القطب مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقال، فلا بأس بالإشارة إلى ما كان بين الأسرة الوزانية الشريفة وأسرتنا من ذكريات مشرقة وعلاقات ودية صادقة، خاصة في عهد الشيخ الصالح سيدي الحاج عبد السلام بن سيدي الحاج العربي الوزاني المتوفى حوالي سنة 1912 الذي كان يعتبر جدي الفقيه عبد السلام بن محمد الشاوش المتوفى سنة 1893 من أخص الخواص المقربين إليه بحيث كانت دار جدنا بمثابة دار ثانية خاصة للشريف المذكور يقصدها وينزل بها معززا مكرما هو وأسرته خصوصا في سياحاته وتنقلاته بين طنجة ووزان. وتقام حفلات استقبال فاخرة يحضرها الشرفاء والعلماء وعلية القوم للسلام على السيد الشريف والتبرك به. وكذلك كان الحال في أيام والدي الأستاذ أحمد بن عبد السلام الشاوش المتوفى سنة 1950 فقد كان يحظى بعطف الشريف وعظيم تقديره ويعتبر بيته بيتا ثانيا له كما كان الأمر في أيام والده. وبتقديم حفيد السيد المذكور مولاي علي بن مولاي محمد بن سيدي الحاج عبد السلام الوزاني، نقيب الشرفاء الوزانيين، كان والدنا نائبا مفوضا عاما للسيد النقيب وقيما على أوقاف الزاويتين الوزانيتين بتطوان والقصر الكبير كما هو مسطور في وثيقة عدلية مؤرخة في 28 جمادى الثانية عام 1336 هـ - 1918 م، وهي ممهورة بامضاءات عدلين وثلاثة قضاة. وكان الشريف النقيب يتقلد مهمته بظهير حفيظي شريف مؤرخ في 15 جمادى الثانية عام 1327 هـ - 1909 م، نحتفظ بنصه بين وثائقنا الخاصة. والحمد لله كان والدنا عند حسن ظن شرفاء آل وزان ونقيبهم خاصة، ملتزما لآل البيت رضي الله عنهم بالمحبة والإخلاص والوفاء كما يستفاد من رسائل الشريف النقيب إلى سيدي الوالد رحم الله الجميع.

ومن العلماء البارزين أيضا الفقيه العلامة سيدي محمد بن الحسن الجنوي المتوفى سنة 1786 وهو من تلاميذ سيدي أحمد الورزيزي السابق الذكر. وكان الشيخ الجنوي عالما مشاركا في العلوم الشرعية والأدبية، وهو أستاذ الشيخ العلامة سيدي محمد الرهوني الوزاني المتوفى سنة 1815 صاحب الحاشية على الشيخ بناني محشي الشيخ الزرقاني على مختصر الشيخ خليل. ومما يذكر عن الفقيه الجنوي أن جلالة الملك محمد الثالث استفتاه في استخلاص بعض الأموال من الشعب، فأفتاه بأن أموال الناس كأعراضهم حرام، والفتوى مستمدة من الخطاب النبوي الشريف في حجة الوداع، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، الا هل بلغت، اللهم فاشهد...».

ومن رجال التصوف والصلاح في هذا العصر، الشيخ الجليل والشريف الحسني الأصيل سيدي عبد الله الحاج البقالي المتوفى سنة 1792 صاحب الضريح المنور بزاويته المشهورة بتطوان، وبلغنا من حفيده الشريف البركة صهرنا سيدي محمد بن الحسني البقالي المتوفى سنة 1939 كما ذكره أيضا الأستاذ داود في تاريخه أن الشيخ سيدي عبد الله كان صاحب أحوال ومكاشفات وكرامات، يقصده الناس للزيارة والتبرك، وما زالت زاويته قائمة عامرة بذكر الله.

ومن فقهاء تطوان في هذا العصر أيضا الفقيه محمد بن محمد الجنوي المتوفى سنة 1799 وهو الجنوي الصغير، أحرز على رئاسة الفقه والفتوى في عهده، وكان خطيبا ومدرسا بمسجد سيدي ابن مسعود.

ومنهم أيضا الفقيه العلامة سيدي محمد بن علي الورزيزي المتوفى سنة 1799 وهو الورزيزي الصغير من أقارب الشيخ سيدي أحمد الورزيزي السابق الذكر، كان عالما متفننا وإماما وخطيبا بجامع لوقش، ومن تلاميذه الشيخ الرهوني الوزاني المشار إليه فيما تقدم، وللفقيه الورزيزي الصغير تآليف مفيدة، منها كتاب (الفهرست) ذكره المرحوم الأستاذ عبد السلام ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب، ومنها كتاب ، ما يجب على المكلف من قواعد الإسلام، أشار إليه الأستاذ داود في تاريخ تطوان.

تطوان ـ محمد العربي الشاوش

للموضوع بقية :

تطوان في القرن التاسع عشر وما بعده

يا أغنياء المسلمين...

للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

تأثر الشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي لضخامة المشروع الخيرى الذي أقامه المحسن الكبير السيد (عبد الهادي التجموعتي) وشركاؤه بمدينة (فاس)، والذي هو عبارة عن مدرسة تتسع لألف طفل وطفلة من أبناء المجاهدين من شهداء قضيتنا الوطنية، فكتب هذه القصيدة يحيى فيها المحسن الكريم وشركاءه ويحث أثرياء المسلمين على الاقتداء بعملهم العظيم.

«دعـوة الحـق»

سمعنا عن «التجموعتي» ما أثلج الصدرا ... ومنه رأينا ما لأعيننا ســـرا

أفاء عليه الله من طيباتـــه ... فلم ير في المال التجبر والكبـــرا

ولا غره منه الغرور بربـــه ... ولا بزه المال البراءة والطهـــرا

رآه من المولى إليه أمانـــة ... فصد بها البؤس الذي عم واستشـــرى

ولم يرث الأموال عن والـــد، ولا ... أتته حراما، أو أراد بها شـــرا

ولكن بفضل الله والكد والعنـــا، ... واخلاصه في كل أعماله، أثـــرى

وموهبة فنية أدخلت علـــى ... قلوب الملايين المسرة والبشـــرا

فآلاتـه منقوشـة بمهـــارة ... لصانعنا الفنان كم رفعت قـــدرا

فما صد مسكينا، ولا رد سائـــلا ... ولا خاب فيه ظن من قصد الخيـــرا

وفي عهد الاستعمار عاش مجاهـــدا ... خفيا.. فكم أسدى لأمته ســـرا

ولو كان يدري كيف يخفي عطـــاءه ... لما علمت يمناه ما تنفق اليســـرى

ولكن ما أسدى إلى «فاس» من يـــد ... تعاظم حتى ما استطاع له ستـــرا

مدارس تؤوي ألف طفل وطفلـــة ... إذا ما رآها عابر ظنها قصـــرا

يدرس فيها الدين والعلم والهـــدى ... وتدرأ عمن أمها الجهل والفقـــرا

فيا أغنياء المسلمين اقتدوا بـــه ... وقوموا.. فلم يترك لكم فعله عـــذرا

إذا لم يقل في مثله الشعر شاعـــر ... فلا أنجبت يوما قريحته شعـــرا

في إحياء التراث

للأستاذ أحمد تسوكي

ليس من المغالاة في شيء، أن نقول بأن ما نعرفه عن تاريخنا وآدابنا وعلومنا ومعارفنا الحضارية التي يزخر بها تراثنا القديم، لا يمثل إلا جزءا يسيرا جدا من ذلك التاريخ ومن تلك الآداب والمعارف والعلوم التي أسهمت في تطوير حياتنا وأضافت إلى الفكر والحضارة الإنسانية رصيدا هائلا ورائعا من الأفكار والثقافات الإنسانية الناضجة. وأما ما طبع ونشر من ذلك كله، فلا يمثل إلا أيسر اليسير وأقل القليل مما يجب أن يطبع وينشر منه، بالقياس إلى وفرة وكثرة ما يختزنه تراثنا من كنوز في التاريخ والآداب والعلوم والفنون وشتى المعارف الإنسانية الأخرى.

ولقد كان من أهداف الاستعمار حين تسلطت علينا أطماعه، وتكالبت علينا مناوراته ودسائسه السياسية، وتفاقم خطره العسكري علينا سواء في الشمال أو في الجنوب، أن يطمس آثار حضارتنا ويهيل عليها أكداسا من كوم التراب حتى تختفي هذه الحضارة من الوجود الوطني والقومي، وتنمحي آثارها الإيجابية من حياة الأمة، فلا تحس الأمة بعد ذلك لحياتها معنى، ولا تستشعر قوة كيانها وأصالة شخصيتها، ولا تجد إلى تاريخها العريق صلة من الصلات تربطها به وتشدها إليه، ولا تتحسس معالم وملامح شخصيتها التاريخية وهويتها الحضارية، ولا تتلمس نفسها الحقيقية ووجدانها العام وضميرها الوطني في ماضيها المجيد الحافل بصفحات مضيئة من الإبداع والابتكار والتجديد الفكري والعلمي والأدبي الزاخر بالمآثر والمفاخر الوطنية والقومية التي حفظت للأمة المغربية كيانها، ورسمت نهجها على طريق الجهاد العلمي والفكري والعقلي والوطني بصفة عامة.

ولقد كان في تصور الاستعمار حين جثم بكابوسه البغيض على بلادنا، أنه إذا تحقق له هذا الهدف الدنيء المستهدف لوجود الأمة وكيانها المتميز، سهل وهان عليه فيما بعد ذلك الوصول إلى سائر أهدافه ومراميه الخبيثة. وإذا وجد إلى تحقيق هذا الهدف سبيلا من السبل المشروعة وغير المشروعة، وجد الطريق بعدئذ أكثر سهولة ويسرا إلى تحقيق أهدافه البعيدة الرامية إلى محو شخصية الأمـــة، وطمس معالمها وآثارها الواضحة والكامنة، والقضاء على ذاتيتها المتميزة والمتفردة، والإجهاز على وجودها الخاص والعام.

فالاستعمار إذن، كانت خططه وبرامجه لا ترمي إلى شيء بقدر ما كانت ترمي إلى الانقضاض على فكر الأمة وعقيدتها بشتى الوسائل والأدوات التي تدل على ذكاء الاستعمار ودهائه، وعلى رؤيته الواضحة والمرسومة بدقة إلى البعيد البعيد الذي يتوخاه ويسعى إليه سعيا دؤوبا

ولذلك، فقد كان من الغايات الأساسية الملحة التي توجهت إليها الدولة بعد استعادة الاستقلال والحرية والسيادة في هذا المضمار بالذات، هو التعجيل ببذل الجهد وصرف العناية وتوجيه الاهتمام إلى تراث الأمة التاريخي والأدبي والعلمي والوطني من جميع وجوهه وجوانبه، والتشجيع على جمعه وتصنيفه وفهرسته وتصويره وطبعه ونشره، وتحريك عزائم وهمم الباحثين والدارسين والمهتمين على الوقوف على ذلك التراث في أصوله وفروعه وتحقيقها وتحريرها وتحري مصادرها الموثوقة واستقصاء مظانها وتحليلها ودراستها بمناهج وأساليب حديثة ومتطورة.

فكان أن توسلت الدولة إلى ذلك كله بإحداث مجلات ودوريات متخصصة، ورصد الجوائز، والبحث عن نفائس المخطوطات وذخائر التراث، وتكليف الباحثين والدارسين ذوي الاختصاص بتحقيقها وطبعها ونشرها بين الناس. فأنشأت لهذا الغرض بالذات، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق، وجائزة المغرب في الآداب والعلوم الإنسانية والفنون، والمركز الجامعي للبحث العلمي، وسوى ذلك من الأجهزة والمصالح والمرافق الثقافية المعنية بهذا الجانب الخاص من تراث الأمة، وقد توجت هذه الجهود جميعا بإحداث أكاديمية المملكة المغربية التي تضم صفوة من مفكري ومثقفي المغرب والأقطار العربية والإسلامية والغربية، والتي تعنى مائدة البحث والدراسة فيها بالنظر الدائم والعمل الدؤوب على ابراز تراث الأمة والكشف عن معالمه وخطوطه، مجهولة أم معروفة.

ولم تدخر الدولة جهدا في تكثيف أعمالها من أجل البحث عن المخطوطات والذخائر والتماسها من مظانها القريبة والبعيدة، فاتجهت في هذا الباب إلى إحصاء الخزانات الخاصة وجمع كتبها ومجلداتها وأسفارها وإلى الوقوف على التآليف التي تضمها رفوف المكتبات الخاصة والعامة على السواء، وقوفا لا يقتصر على النظر والجمع والإحصاء والترقيم، بل يتجاوز ذلك إلى التحقيق والضبط والمقارنة والقياس والتصنيف العلمي الذي يضع المادة أو رأي أو مسألة أو قضية مما يشغل بال هؤلاء خلال دراسة وبحث جوانب وآفاق التراث في الماضي والحاضر.

وقد نتج عن تلك الجهود الموصولة في هذا الخصوص، أن ظهرت نسخ فريدة من الكتب والمخطوطات النفيسة التي لا يوجد لها نظير إلا في مكتبات المغرب. وبعض هذه الكتب والمخطوطات، قامت بتحقيقها وطبعها ونشرها عدة مراكز ودور للنشر في المغرب وفي المشرق أيضا، مثل المطبعة الملكية، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووزارة الثقافة، وجامعة محمد الخامس، ومعهد مولاي الحسن بتطوان، ودار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط، وغير ذلك. أما في المشرق العربي، فقد اسهمت وزارة الإعلام في العراق الشقيق في نشر كتاب ، بدائع السلك في طبائع الملك) لأبي عبد الله بن الأزرق بتحقيق وتعليق المرحوم علي سامي النشار، في جزأين كبيرين.

هكذا إذا، وفرت الدولة على الباحثين والدارسين جهودا كبيرة وكثيرة أغنتهم عن مواصلة البحث والتقصي، وكفتهم مؤونة ومشقة وعناء التنقيب والتفتيش والمتابعة لمصادر التراث المغربي، فوضعت بين أيديهم نفائس وذخائر المخطوطات المتصلة - من قريب أو من بعيد - بتاريخ المغرب وآدابه وعلومه ومعارفه المتعددة التي أسهم بها في تطوير وإغناء الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية، وفتحت لهؤلاء الباحثين والدارسين آفاقا واسعة وإمكانيات جديدة وفرصا سانحة للتحقيق والدراسة والتحري والمقارنة والاطلاع الواسع، حتى يتوفروا على صورة شاملة ومتكاملة لهذا الفرع أو ذاك من فروع التاريخ والأدب والمعرفة عموما، وحتى يقفوا على المعلومات والحقائق الأمينة والدقيقة التي تتصل إما بعصر تاريخي معين، أو بسيرة شخصية علمية أو أدبية معينة، أو بتطور وتجدد علم من العلوم، أو بكل ذلك جميعا.

والحق أن هذا التراث الضخم، لولا الجهد الموفور الذي بذلته الدولة في سعي دائب وعمل متصل في سبيل جمعه وفهرسته وتصنيفه وطبع ونشر ما تيسر منه للطبع والنشر

على مدى العشرين سنة المنقضية، كان لا قدر الله، عرضة للتلف والضياع والتشتت والاندثار. ولولا هذه المبادرات الواسعة المحمودة التي قامت بها الدولة لإنقاذ هذا التراث وانتشاله مما كان يعانيه من إهمال لأهميته وغفلة عن قيمته وانتقاص لحقه وافتئات على دوره ووظيفته في حياة الأمة حاضرا ومستقبلا، لكان هذا التراث التاريخي والأدبي والعلمي والحضاري الذي لا يقدر بثمن، قد طوته يد النسيان واندثر من الوجود وعدت عليه غوائل الزمن.

فهاهي خزاناتنا العامرة ولله الحمد في الرباط وفاس وتطوان ومكناس ومراكش وغيرها من المدن، تفتح أبوابها لكل طالب من طلاب المعارف والعلوم، ولكل شاد من شداة الاطلاع والوقوف على حقائق وصفحات مجهولة أو شبه مجهولة من تاريخ الأمة وآدابها وثقافاتها وعلومها ومعارفها التي أنتجتها في شتى العصور التاريخية، والتي كانت إلى وقت قريب مما يعسر على هؤلاء وأولئك كافة معرفتها أو الاطلاع والوقوف عليها.. تلك الصفحات المشرقة التي تضيء لنا عصورا وعهودا من تاريخنا وآدابنا، تألقت فيها أجيال وأجيال متعاقبة متواترة من القادة والعلماء والساسة والأدباء والمفكرين والمؤرخين والشعراء والفقهاء والرحالة اللامعين الأفذاذ، الذين نذروا أنفسهم وكرسوا أعمارهم للتأليف والتصنيف والقيادة والسياسة والدفاع والحرب والتدوين والتسجيل... فخلفوا للأجيال المتعاقبة تراثا معرفيا غنيا وخصبا بالتجارب والأفكار والمواقف، لتفخر وتعتز به وتحافظ عليه وتنظر فيه إلى ماضيها المجيد وتاريخها العريق، ثم لتهب طائفة من طوائف هذه الأجيال الحاضرة تمحص هذا التراث الإنساني، وتستجلي منه صورة من الصور التي يكتنفها الغموض، أو حقبة من الزمن تلتبس فيها الأحداث والتحولات، أو شخصية لامعة لم تستكمل حولها المعلومات والعناصر الدقيقة بشكل يفي بالغرض من الدراسة والبحث ويفضي إلى القصد ويؤدي إلى إثبات حقيقة من الحقائق.

ولا يخامرني شك ولا ريب، في أننا قد استجمعنا اليوم في هذا الباب المهم، رصيدا ضخما لم يتح إلا للقليل من الأمم والشعوب الناهضة أن تستجمع مثله حول تراثها التاريخي والأدبي والعلمي والسياسي والحضاري بوجه عام، ومن هنا، فإنني اعتقد أن مهمتنا اليوم بالذات، يجب أن تنصرف إلى تكوين وتنشئة تلك الطائفة التي تتجه بجهودها وطاقاتها العلمية والفكرية إلى استنطاق هذا التراث المرصود، واستحضار صفحاته والعمل على تحقيقها وطبعها والقيام بنشرها على المهتمين الذين يتزايد عددهم في المعاهد والكليات، وذلك لأن التراث هو حق من حقوق الأمة، وصيانته وحمايته وحفظه واجب من أوكد الواجبات الذي يتعين أن تنهض به الجماعات والهيئات والمؤسسات والأفراد على السواء، نهوضا سليما من الشوائب والأغراض، خاليا من النقائص والمثالب، عاريا من العيوب والهنات، وحين نقول ذلك، فلكي نجعل الأمة المغربية متمسكة بتراثها ومحافظة عليه وحامية له، لأنه بالنسبة لها مرآة مصقولة صادقة في إجلاء حقائق ودقائق ماضيها القريب والبعيد، والإفصاح عن أسرار وأغوار تاريخها القديم والحديث، والتبيان عن مكنون صدرها والمحفوظ في قلبها مما يتصل بفن من الفنون أو علم من العلوم.

وكما ذكرت في صدر هذه الكلمة، فإن الاستعمار قد حاول جهده في أن يباعد بين المغاربة وبين تراثهم الحضاري العظيم، وأن يشوه لهم هذا التراث ويزيفه ويزوره، وقد كاد أن يفلح في بلوغ هذا المرمى الخبيث، لولا أن تداركنا الله سبحانه وتعالى باستقلالنا وحريتنا وسيادتنا على أنفسنا وحاضرنا ومصيرنا، فأتيح لنا بفضل ذلك أن نرجع إلى مصادرنا وأصولنا لندرسها ونبحثها ونحقق الغامض منها، وأتيح لنا من بعد ذلك أن نزداد معرفة بتاريخنا وماضينا وثقافتنا وحضارتنا وبمن صنع هذا التاريخ وأبدع تلك الثقافة وطور هذه الحضارة، وبمن أنجبت بلادنا طوال تاريخها من أعلام أفذاذ خلفوا أعمالا أدبية وتاريخية وعلمية وفقهية من الواجب أن ننفض عنها غبار الزمن ونظهرها للناس ونجلوها للمثقفين والمفكرين والباحثين.

ونريد اليوم، بعد أن قطعنا هذا الشوط الصعب والثقيل في تجميع مصادر التراث وتبويبها، أن تتيح لنا معرفتنا بهذا التراث فرصا أكبر وأوسع لمعرفة شيء أهم من

مجرد المعرفة لذاتها ألا وهو معرفة الذات والتعرف على مكونات الشخصية الوطنية ومواقفها من الحياة والكون والمجتمع والقضايا الإنسانية الأخرى التي طرحت نفسها بإلحاح شديد على الذات المغربية.

فإحياء التراث لا يراد لذاته قط، وإنما يراد أساسا لهذه المعرفة بالذات والحياة والمجتمع وقضاياه التي تشغل منه طائفة المفكرين والشعراء والكتاب في كل لون من ألوان المعرفة، خصوصا وأننا نمر بفترة تاريخية وحضارية دقيقة وحاسمة ونجابه فيها أعداء وخصوما لا تختلف مقاصدهم عن مقاصد الاستعمار بالأمس القريب، بل هي امتداد لها واستمرار لكل ما كانت تستهدفه وتسعى إلى تحقيقه بالفكر والقوة معا، أو بأحدهما، وإحياء تراثنا هو سلاح من أمضى أسلحة المواجهة والتصدي في المعركة الحضارية والفكرية ضد أعدائنا وخصومنا الذين لم يكن لهم على الإطلاق إسهام معين في تحريك التاريخ وتوجيه أحداثه، بل كانوا همِلا غفلا في سجل التاريخ والحضارة، وهم بدون شك يأكلهم الغيظ ويساور صدورهم الحقد الدفين، حتى باتوا لا يرتاحون إلى جوار، ولا يلتزمون بمبادئ وعهود ومواثيق.

وإنني لأومن بأن إحياء التراث لا تنهض به فئة معينة من الشعب، ولكنه مسؤولية الأمة بأكملها، إلا أن هذا لا يعني مطلقا أن إحياء التراث مهمة متروكة لمن هب ودب، ولكنه يعني بالأساس ضرورة إحساس الأمة بأنها مسؤولة في هذا الإحياء، من قريب أو بعيد، وهو يعني كذلك أن الإحياء يشكل أمانة في أعناق الدارسين والباحثين والمحققين الذين تمتلئ بهم مدرجات الكليات والمعاهد والمدارس المتخصصة، وعلى هؤلاء جميعا نعتمد في إحياء تراثنا، لأنهم الأكثر من غيرهم المؤهلون لتحمل هذه الأمانة الوطنية والفكرية والتاريخية والحضارية والوفاء لها وفاء متصلا لا ينقطع ولا يتوقف لسبب من الأسباب، وهؤلاء المؤهلون، فيهم الأستاذ المتخصص، وفيهم الطالب الذي يشق طريقه ولا يزال في البداية يترقب النصح وينتظر الدليل ويتطلع إلى من يساعده ويأخذ بيده، ولا بد أن نوجد علاقة وثيقة ومتينة بين هذا وذاك وصلة حميمة بينهما حتى تؤدى الأمانة كأحسن ما يكون الأداء ٪

الرباط ـ أحمد تسوكي

الصّفوة والطبقة

للدكتور ابراهيم دسوقي اباظة

هل يظل الإنسان موصوما بواقعه الطبقي.. فلا ينسلخ عن هذا الواقع من الميلاد إلى الموت.

ان في تحليل المراكسة وتطبيقاتهم ما ينبىء بذلك... بل وأكثر من ذلك فهم يعتبرون أن الواقع الطبقي للإنسان لا مفر من احتماله... ولا جدوى من الهروب منه إلا بعمليات تنكر آلية تفرضها تعاليم مذهبهم..

أما إذا ظل الإنسان بعيدا عن هذه التعاليم... أو رافضا لها فإن سماته الطبقية من مفاهيم وسلوك ستظل عالقة بأعماله لاحقة بشخصه إلى أن يعترف يوما بالماركسية أو يكره على الاعتراف بها في مجتمع يأخذ بتعاليمها ويفرضها قسرا على أعضاءه.

والمتابع للماركسية.. من النظرية إلى التطبيق لا يعدم إلا مثله على ذلك فالنظرية تلخص تاريخ الإنسانية في صراع طبقي جرى ويجرى منذ الأزل وتحدد مراحل التطور الاجتماعي بذلك الصراع الطبقي.

والماركسية تبني التصنيف الطبقي على أساس مادي إذ تعتبر أن الطبقة المستغلة في كل عصر.. هي الطبقة التي تمسك بمقاليد الإنتاج.

فهؤلاء الذين يملكون وسائل الإنتاج المادية في المجتمع يشكلون طبقة متميزة عن غيرها من الطبقات.. وهذه الطبقة بالضرورة هي الطبقة المستغلة !!

كيف ذلك ؟

لزيادة الإيضاح يقول ماركس.. أن أساليب الإنتاج ذاتها تخلق علاقات إنتاج جديدة بين أصحاب وسائل الإنتاج (المستغلين) والذين يقومون بأعباء الإنتاج (المستغلين) وهذه العلاقات تنشيء أنماطا من السلوك وطرقا من التفكير تحدد الوعي الطبقي عند هؤلاء وأولئك...

الطبقية إذن ترتبط بنوع الآلة وشخصية مالكها. الطاحونة كانت مملوكة للسيد الإقطاعي.. وكانت إدارتها موكولة للعبيد... لذلك كان مجتمع العصور الوسطى مقسما إلى طبقة الإقطاعيين المستغلين وطبقة العبيد وخدام الأرض المستغلين.

الآلة البخارية مملوكة (للبورجوازي)... وإدارتها موكولة للعمال «البروليتاريا»... لذلك يتكون مجتمع اليوم من طبقة البرجوازيين الصناعيين المستغلين. وطبقة العمال «البرولتاريا» الكادحين المستغلين.

ويحق لنا وفقا لهذا المنطق العجيب أن نتساءل عن كيفية تصنيف مجتمع اليوم في أوربا وأمريكا حيث تبدل نوع الآلة وتغير أسلوب الإنتاج... مرات ومرات فقفزنا من ثورة صناعية إلى ثورة صناعية دون أن يصحب ذلك أي تغيير طبقي جذري كما أكد ماركس... فلا زالت

«البورجوازية» هي «الطبقة» المسيطرة في أوربا وأمريكا منذ اختراع الآلة البخارية وحتى اختراع الآلة الذرية !!

لقد مر المجتمع الغربي بثورات تكنولوجية عديدة نالت ولا شك من تركيبه وأثرت في تكوينه. ولكن هذا النيل والتأثير ليس في الاتجاه الماركسي... إنما في اتجاهات أخرى جديدة... لم يتنبأ بها ماركس.. ولم يتخيلها في أي من كتاباته...

لقد وقعت ثورة تكنولوجية في الغرب باكتشاف الكهرباء ...

ووقعت ثورة تكنولوجية أخرى باكتشاف البترول واستخدامه على نطاق واسع...

ووقعت ثورة تكنولوجية ثالثة باكتشاف الذرة وتفجيرها...

ووقعت ثورة تكنولوجية رابعة باكتشاف الالكترونات واستخدامها في كل مجالات الصناعة...

ومع كل ثورة تبدل نوع الآلة المستخدمة... وتبدلت أساليب الإنتاج... بل وتبدل الهيكل الكلي للإنتاج في المجتمع الغربي ومع ذلك لم يحدث تغيير طبقي على الصورة التي توقعها ماركس بل بقيت ملكية الآلة الجديدة للطبقة البورجوازية كما في حالة الآلة الكهربائية أو البترولية أو الالكترونية أو انتقلت إلى الدولة كما في حالة الآلة الذرية !!!

فكيف إذن نفسر هذا التغيير بالإستناد إلى مفهوم الطبقة الذي اعتمده ماركس... ؟!

وكيف نصنف المجتمعات الغربية المعاصرة وفقا للمعيار الطبقي الماركسي ؟!!

مثال آخر يسأل فيه الإنسان نفسه ان كان من الممكن تصنيف المفكر، والعالم تصنيفا طبقيا وكل منهما أداة إنتاج مادية ولا وسيلة إنتاج مادية ؟!

أين موقع المفكر والعالم الذي لا يملك سوى فكره أو علمه من الهرم الطبقي الذي شيده ماركس ؟!

سؤال سرعان ما يجيب عليه المراكسة إجابات متخبطة فتارة يعتبرون المفكر والعالم ملحقين «بالطبقة المستغلة» وفي خدمتها طالما أن هذه الطبقة تملك وسائل المعيشة المادية إذ في استطاعتها دائما تسخيرهما لخدمة قضيتها والدفاع عن استغلالها. وتارة يعتبرون المفكر والعالم من «الطبقات المستغلة» تأسيسا على أنهم يكدحون بجهدهم الفكري والعلمي شأنهم في ذلك شأن «البروليتاريا» العاملة ومن الممكن بالتالي أن يكونوا موضع استغلال الآخرين. وتارة يقررون أن المفكر والعالم يشكلون النخبة القيادية التي ستقود المجتمع من جحيم الاستغلال «البورجوازي» إلى جنان التحرر «الشيوعي» وأنهم بالتالي يكونون فئة من نوع خاص.. فئة خارج التصنيفات الطبقية التي تعارفوا عليها !!

فأين وجه الحقيقة من كل ذلك ؟!!

أين ؟!!

ومن زاوية أخرى... إذا ما ركزنا النظر على مفهوم الطبقة في حد ذاته باعتبارها حشد من الأفراد تربطهم مصالح مشتركة ومفاهيم مشتركة وتطلعات مشتركة لتبينا أنه ليس بالمفهوم المطلق.. ولكنه مفهوم شديد النسبية.. شديد التجريد... دقيق المراجعة على الواقع.

والواقع أن هذا التصنيف الجامد الذي أخذ به ماركس ومن تبعوه يخرج من الاعتبار الحدود المتحركة لمفهوم الطبقة الاجتماعية... ويخرج بالتالي من الاعتبار التداخل والامتزاج بين «الطبقات» التي يتركب منها المجتمع الواحد.

فالإنسان الذي يولد وينمو في «طبقة بروليتارية» ليس مرتبطا بالضرورة بطبقته.. وغير محكوم عليه أبد الدهر أن يظل حبيس هذه الطبقة.. إذ من الممكن أن يقع «تصعيد طبقي» فينتقل «البروليتاري» إلى الطبقة التي تعلوه في سلم التدرج الطبقي... والشواهد كثيرة لأفراد بدأوا حياتهم «بروليتاريين» وتحولوا من بعد إلى «بورجوازيين» بل ومنهم من تنكر بشدة للطبقة التي خرج منها وانسلخ عنها حتى أصبح ينازعها المصالح ويناصبها العداء !!

ومن عجب أن يكون أكثر الناس غلظة في التعامل مع الفئات «البروليتارية» وأشدهم قسوة على مصالحها في أيامنا هذه هم هؤلاء الذين خرجوا من صفوف العمال واكتووا بآلامهم.

وعلى النقيض من ذلك فإن أبرز المدافعين عن حقوق «البرولتاريا» وأشد المعبرين عن مصالحها ينتمون بالتعريف الماركسي «للطبقة البرولتارية» أو لم يكن كارل ماركس ولينين وغيرهم من أقطاب الحركة الشيوعية في العالم من أسر برجوازية ؟

وإذا ركزنا النظر على «طبقة من الطبقات» لوجدنا أن هذه «الطبقة» لا تتسم باتساق المصالح ولا تتصف بوحدة الهدف إنما كثيرا ما يقوم بين أعضائها تنافر في المصالح... وتصادم في الأهداف ويكفي مثالا التعارض الذي ينهض من آن لآخر بين عمال الزراعة وعمال الصناعة أو بين عمال الصناعة الفنيين وعمال الصناعة العاديين وهذا التعارض يصل في حالات كثيرة إلى درجات من العنف لاتقل عن التعارض الذي يمكن أن يقوم بين البرولتاريا والبرجوازية.

وأمام هذا الجمود والغموض لذلك المفهوم الأساسي الذي تقوم عليه النظرية الماركسية نطرح التساؤل التالي :

أليس مفهوم الصفوة أقرب إلى الحقيقة الاجتماعية من مفهوم الطبقة ؟

ان القول بأن التعارض بين الفئات والجماعات التي يتشكل منها الجسد الاجتماعي هو تعارض بين الصفوة القيادية أيا كانت الطبقة التي تنتمي إليها قول أقرب إلى الحقيقة الاجتماعية وأجدى في تفهمها من مفهوم الطبقة...

فالصفوة وهي الجماعة الموهوبة بفكرها وطاقاتها وقدرتها على الإبداع مهيئة بطبيعتها للقيادة الاجتماعية..

وهذه الصفوة ليست وقفا على طبقة دون طبقة أو فئة دون فئة.. ولا يتركز تحديدها على المصالح أو درجة الثراء ولكنها تستند إلى الموهبة الخاصة والكفاءات الذاتية والقدرة على العطاء لخير المجموع.

والواقع أن هذه الصفوة القيادية تتواجد في كل مجتمع بل ان القفزات الهائلة التي حققتها البشرية عبر تاريخها الحافل بالنضال مردوده إليها.

وهذا المنظور الجديد يسمح بتحديد أكثر وضوحا لمفهوم الصراع الطبقي «الذي اجتهد ماركس في تقديمه كمحرك للمجتمعات فهذا الصراع لم يكن في يوم من الأيام صراع طبقات اجتماعية محددة ومتراصة في مواجهة بعضها البعض.. ولكنه «صراع صفوة» لا يحركها بالضرورة وعي طبقي إنما الذي يدفعها ويحرك مسيرتها هو وعي الصفوة بحقيقة دورها في التغيير الاجتماعي وسعيها الدائب إلى هذا التغيير.

وإذا كانت الطبقات تعكس أحيانا أبعاد هذا الصراع فإنها لاتحركه ... ولا تقوده.. إنما التحريك والقيادة يكون من صنع الصفوة ومن تخطيطها.

وعلى الرغم من وضوح مفهوم الصفوة وسهولة مراجعته على الواقع فإن المراكسة يرفضونه.. ويقاومونه بشدة... وينعتون من ينادي به بكل النعوت وهذا أمر طبيعي.. لأن في التسليم بهذا المفهوم هدم النظرية الماركسية وتحطيم لأهم محاورها وهو الطبقية وما انبنى عليها من نتائج.

فهل يأتي يوم يناقش المراكسة مفهوم الصفوة بشيء من الموضوعية... قبل أن يتهموا غيرهم بأنه ينطق كفرا !!

د. ابراهيم دسوقي أباظة

سيد قطب
ومنهجه في تفسير القرآن الكريم

-1-

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

المولد والنشأة :

بقرية (موشة) (1) الجميلة الحالمة حيث المياه تفيض على الربوع سخية، فتغمر منها ما تغمر حاملة الخصب والخير تستحث السواعد المفتولة على العمل الجاد، وتنبه في الإحساس شوق الحياة وخاصة بعد أن تشرق مشاهد الطبيعة زكية نضرة تملأ الخاطر بشتى ألوان الأحلام الخضراء الندية.

بهذه القرية المعطاء الواقعة في محافظة (أسيوط) في الوجه القبلي من ريف (مصر) استقبلت الحياة الطفل (سيدا) كما تستقبل كل مولود. وذلك عام 1324 هـ موافق سنة 1906 م. ويرجع أصله إلى الأرومة الهندية اعتمادا على ما أورده الأستاذ الداعية أبو الحسن الندوى (2) في كتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) (3) الذي اعتمد هو أيضا في هذا على سيد قطب نفسه، إذ صرح له في لقاء معه بأن جده السادس الفقير (عبد الله) كان هنديا.

كان والده (الحاج قطب ابراهيم) متدينا، ذا مكانة ملحوظة بين أهل القرية، جوادا ينفق ولا يبخل على الأسرة بشيء الأمر الذي جعله حين يقع في ضائقة مادية يبيع مما يملكه من قطع أرضية، وقد غمر كرمه هذا حتى الخدام والعمال، ولم يكن يسمح لهم بأن ينادوه (سيدى) (4).

تزوج والده زوجتين، أنجبت الأولى أولادا ـ وقد ألمع (سيد) إلى أحد منهم وهو أخوه الأكبر غير الشقيق في كتابه (طفل من القرية) (5)، وأنجبت الثانية ـ وهي أم سيد ـ خمسة أولاد ، ذكران هما (سيد) ومحمد (6) وبنات ثلاث.

---

1) ذهب الدكتور مهدى فضل الله في كتابه (مع سيد قطب في فكره السياسي والديني) ص 43 ـ ط 2 ـ عام 1399 ـ 1979 ـ مؤسسة الرسالة إلى أنه ولد بقرية (قها) من محافظة أسيوط، والصحيح ما أثبتناه لأن جل المراجع عنه تؤكد هذا، ومن هذه المراجع ما اعتمد على ملف خاص عن (سيد) يوجد بقسم المحفوظات بوزارة التربية والتعليم انظر الأستاذ عبد الباقي حسين رسالة ماجستير بالآلة المكررة تحت عنوان (سيد قطب ، حياته وأدبه) عام 1400 ـ 1980 ـ كلية دار العلوم.

2) من اعلام الحركة الاسلامية المعاصرة ولد في مديرية بالهند تسمى (الارابي بريلي) عام 1322 هـ موافق 1904 م وهو من أسرة علمية مشهورة، حفظ القرآن ودرس العلوم الإسلامية وأتقن العربية والانجليزية والاردية والفارسية من انتاجه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) انظر صحيفة (النور) الإسلامية المغربية العدد 29 ـ السنة 3 ـ عام 1396 ـ 1976

3) الطبعة الثانية 1975 ـ مؤسسة الرسالة بيروت.

4) انظر كتاب سيد قطب (طفل من القرية) ص 80 ـ ط 4 ـ عام 1387 ـ 1967

5) ص 33 وص 156 وص 207.

6) ولد سنة 1338 موافق عام 1919 م، عاش في رعاية أخيه (سيد) فكان له أخا مخلصا وأبا عطوفا رباه فأحسن تربيته، التحق بالتعليم الابتدائي ثم الثانوي، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة حصل على ليسانس في الانجليزية ودبلوم في التربية وعلم النفس، وبعد التخرج التحق بوزارة التربية والتعليم، غادر مصر إلى السعودية للعمل هناك في جامعة الملك عبد العزيز وهو لا يزال إلى الآن بها، ويعتبر محمد قطب من كبار الدعاة والكتاب الإسلاميين، له كتب عديدة من بينها (دراسات في النفس الإنسانية البشرية) (ومنهج الفن الإسلامي) (والتطور والثبات في حياة البشرية) انظر الخالدي (صلاح) (سيد قطب الشهيد الحي ص 64 ـ ط 1 عام 1401 ـ سنة 1981 مكتبة الأقصى.

(نفيسة) (7) و(أمينة) (8) و(حميدة) (9)، وأكبرهم نفيسة ويليها (سيد) و(أمينة) و(محمد) ثم الصغرى (حميدة).

وكانت أمه هي الأخرى متدينة تنتمي إلى أسـرة معروفة، وقد اعتنت بتربيته أيما اعتناء، وأخصبت في نفسه الحب إلى المعرفة والعلم والثقافة.

ومهما يكن من أمر فقد عمل أبواه على تنشئته نشأة طيبة، إذ استطاعا أن يبذرا في أعماقه الإيمان والأنفة والمروءة من خلال تصرفاتهما اليومية، ومعاملاتهما مـع الناس، والقيام بمسئوليتهما الدينية على خير وجه، الأمر الذي كان له انعكاس على حياته منذ نعومة أظفاره إلى أن ظفر بالشهادة.

من ذلك مثلا أنه كان يرفض وهو صغير أن يرتكب ما يؤدي إلى خدش مروءته، فحينما هرب من المدرسة سأما من التمرينات الرياضية أحس بعد أن هدأت فورة أعصابه بالحياء، لغمره إذ أدرك ما في فعلته من غضاضة وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة فلم يستطع أن الضرب - ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق ففضل أن يزوى وجهه عنهم وأن يعتزلهم في مخزن التبن.وقد كان ملحقا بدارهم الكبيرة ولكن له بابا مستقلا فأغلقه عليه وارتمى فوق التبن، فنام) (10).

عاش (سيد) في هذه الأسرة التي لم تكن بالأسرة البرجوازية ولا بالأسرة الفقيرة، وإنما كانت أسرة ميسورة الحال يجد في رحابها ما يلبي رغباته ويرضيه في تطلعاته الصبيانية.

وفي هذه القرية التحق بالمدرسة الابتدائية، وفي نهاية السنة الرابعة حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، شغف حبا بالقراءة منذ صغره حين كان يأتي إلى القرية رجل يدعى (صالحا) يبيع الكتب في السوق فيـرع (سيد) بدافع من شوق يتقد بين الجوانح إلى شرائها قبل أن تنفد (إنه كان عاشقا لهذه المكتبة الفريدة من نوعها في القرية بما تحويه من أنواع الثقافة) (11).

حقا أنه كان يلتهم ما يشتريه من مكتبة (عم صالح) التهاما، ويدفع في ذلك ثمنا لا يستهان به، ولا يتأخر عن شراء ما كان يعجبه في هذه المكتبة المتنقلة.

من القرية إلى المدينـــة :

بعد أن أنهى دراسته الابتدائية في القرية تركها عام 1340 هـ موافق سنة 1921 إلى (القاهرة) حيث أقام عند خاله (أحمد حسين عثمان) الذي كان يباشر التدريس والعمل في الصحافة بعد تخرجه من (الأزهر)، وهناك التحق بمدرسة المعلمين الأولية تدعى حينذاك مدرسة (عبد العزيز)، قضى بها ثلاث سنوات حصل بعدها على اجازة الكفاية في التعليم الأولي..

وفي حوالي سنة 1344 هـ موافق 1925 م التحق بتجهيزية دار العلوم التي لم يكن يلتحق بها إلا من أحرز الامتياز في التخرج من دار المعلمين الأولية، وبعد ذلك أصبح لـ (سيد) الحق في الالتحاق بكلية دار العلوم، فالتحق بها وتخرج منها سنة 1352 هـ موافق سنة 1933 م، وعين موظفا بتحضيرية الداودية في السنة نفسها، ومر عامان انتقل بعدهما إلى مدرسة دمياط الابتدائية وانتقل من مدرسة دمياط إلى مدرسة بني سويف الابتدائية سنة 1354 هـ موافق 1935 م ومنها انتقل إلى مدرسة حلوان الابتدائية سنة 1355 هـ موافق سنة 1936 م، ثم عمل محررا عربيا في مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف سنة 1359 هـ موافق سنة 1940 م، ومنها انتدب إلى إدارة الترجمة والإحصاء في العام نفسه.

وكان من المقرر أن يعاقب على ما يخطه قلمه من كتابات سياسية، ولكن بدل هذا العقاب بعقاب آخر وهو بعثه مفتشا في التعليم الابتدائي إلى (الصعيد) شهرين وذلك سنة 1364 هـ موافق سنة 1944 م وفي هذا يقول هو نفسه في الخاطرة الفنية إلى (الاسكندرية) المنشورة بمجلة

7) تكبر (سيدا) بثلاث سنوات، لا نعلم لها مشاركة أدبية.

8) أديبة لها أعمال أدبية خاصة في القصة، من بينها مجموعة قصص (في الطريق) وقصص أمينة كلها تلتزم في المعالجة التصور الإسلامي انظر قطب (محمد) منهج الفن الإسلامي ص 326 ـ دار القلم (بدون تاريخ).

9) أديبة كتبت مقالات في مجلة (المسلمون) وشاركت مع اخوانها في اخراج كتاب (الاطياف الأربعة).

10) طفل من القرية ص 29.

11) المرجع السابق ص 131.

(الرسالة) عن هذا الحدث (كانت الحرب وكانت الأحكام العرفية وقال الوزير لا بد أن يفصل هذا الموظف أو ينفى من الأرض أو يشرد فيها فقد أبلغتنى إدارة الأمن العام عنه أشياء) إلى أن يقول (وأبلغت أنني منفي من الأرض وقررت أن أستقيل. وأباها (الرجل الأريحي) الدكتور طه حسين وقال : لن تصنعها وأنا هنا في الوزارة) والى أن يقول أيضا (ووفق الرجل بين «أريحيته الكريمة»وتشدد الوزير فكلفني أن أقوم بمهمة تفتيشية في الصعيد لمدة شهرين اثنين اختار فيها من الجهات والمدارس ما أشاء وأكتب تقريرا شاملا عن دراسة اللغة العربية في المدارس على اختلافها وافصل اقتراحاتي في اصلاح الدراسة بصفة عامة) (12).

ونظرا لكفايته العلمية التي أصبح لها وزن وأي وزن انتدب للتدريس بعد عودته من أمريكا بكلية دار العلوم والقاء المحاضرات بها (13).

وقد ظهر نبوغ (سيد قطب) وتبرعمت مواهبه وهو لا يزال طالبا بكلية دار العلوم ويعضد ذلك شهادة أستاذه الدكتور (مهدي علام) (14) في المقدمة التي كتبها لكتابه الأول (مهمة الشاعر في الحياة) حين يقول : (انه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة واطمئنانا إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها) (15) ويقول أيضا (أنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم (16).

وما أن أخذ يمارس مهنة التربية والتعليم حتى راح يقرع عالم الفكر والأدب ناقدا شاعرا قاصا كاتبا سياسيا واجتماعيا يرسل صوته في كل ناد فترتج رحابه تردد صداه. وفي هذا الإبان من شهرته الأدبية والفكرية يقع في حب فتاة قاهرية فيشجعه ذلك على محاولة بناء عش الزوجية فيتقدم اليها يرغب في الزواج منها. غير أنه اكتشف أن الفتاة تحب غيره. مما كان له أكبر الاثر في تحريك شاعريته واحساسه الأدبي. فأصبح في هم وغم يصارع عواطفة اللاهبة ترجمها إلى شعر يزخر بفحيح الحرمان. ولهيب العذاب من ذلك قصيدته (الكأس المسمومة) التي يقول فيها ممزق الاحشاء ساخطا معذبا :

أفلاك أفلاك كالشيطان أفــلاك
أفلاك كالسم يسرى جد فتــاك
أفلاك أنك في نفسي وفي زمني
وفي حياتي أفعي ذات أشواك

ورغم ذلك فقد استطاع (سيد) أن يغالب نداءات القلب وكأن كل شيء قد انتهى. وانتهى بالصورة التي يعييه أن يحاول بعدها وصل ما انقطع أو رجع ما فات. كانت كبرياؤه تأبى عليه أن يعود. وكانت مرارة الذكرى تطغى على حلاوتها في معظم الأحيان. وكانت تجربته تذكره دائما بالآلام (17).

وأصيب (سيد قطب) في حبه. وكان ذلك مأساة بالنسبة إليه مما أملى عليه أن يكتب قصته الرومانسية (أشواك) وسيأتي الحديث عنها.

وقد حاول بعد هذا أن يتزوج. وبذل في ذلك محاولات عديدة بدون جدوى. ولكنه تزوج بالدعوة إلى الله تعالى فاستشهد في سبيلها وكان زفافه في السماء لا في الأرض حيث رضوان الله وآلاؤه وروحه وريحانه.

في تيه القلـــق .

انتقل (سيد قطب) ـ كما سبق ـ من القرية إلى المدينة. وقد شارف مرحلة المراهقة. فحمل معه أشتاتا من الأحلام. إذ أن أمه كانت تعده لأن يجابه الحياة الحضارية الجديدة. ويكافح في غمارها كي يسترجع للأسرة مكانتها (وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحي بأن له مهمة عظمى حتى كأنه ذاهب لفتح عكا) (18).

---

12) العدد 681 السنة 14 ص 796 عام 1366 ـ 1946 م.
13) انظر الخالدي (صلاح) سيد قطب الشهيد الحي ص 94.
14) هو أحد رواد الفكر العربي الحديث عمل أستاذا بدار العلوم ولا يزال ويتقلد بجانب ذلك الآن منصب أمين عام مجمع اللغة العربية من إنتاجه (نظرية الوسط في الإسلام).
15) ص 9 طبعة دار الشروق (بدون تاريخ).
16) ص 10.
17) قصة أشواك ص 118 (بدون تاريخ ولا اسم الناشر).
18) طفل من القرية ص 218.

إن القاهرة في خاطر (سيد) أمل وضيء وضيء يتخلص في أن يصبح متعلما. فأخذ يواجه المجتمع القاهرى الجديد. وبرغم أن الحياة في القاهرة تختلف كل الإختلاف عن حياة القرية فإن (سيدا) استطاع أن يندمج في جوها. وأن يصل أسبابه بها دون أن يحس بما قد يحس به البعض من عقدة النقص أو عقدة الخوف من مجابهة حياة حضارية لها من مظاهر الجمال البراق ما يدهش الإحساس وخاصة إحساس القروى.

عاش (سيد قطب) في المجتمع الجديد. وراح على طبيعته يندمج في تياره كما يندمج كل الناس. وراح يعب من نبع المعارف على مختلف اشكالها. ويصاحب العقاد (19) ويتأثر به. وبالطبع كان يتلقى قيم هذه المعارف على علاتها. ويتمثلها دون أن يحاول فرز الطيب فيها والخبيث. مما كان له أثره في تصدع كيانه ووقوعه في تيه القلق ونار الشك. يبحث عن ذاته الضائعة في خضم التساؤلات والحيرة. ما الحياة ؟ ما وظيفة الإنسان ؟ ما مصير الكون ؟ ما الغاية من هذا الوجود ؟ هكذا كان ينطلق في جحيم التساؤلات دون أن يصل إلى جواب مفحم يجد في أحضانه برد اليقين واشراقة الإطمئنان.

وسار (سيد قطب) فترة من الزمن على هذا الدرب المزروع بالشكوك. المعتم بالضياع يتلمس الخلاص فلا يجد. وقد ترجم شعره هذه المرحلة من حياته من ذلك قوله معبرا عن تشتت الذات والبحث عن سبيل النجاة.

أنقب عن ماضي بين سرائرى
فألمحه كالوهم أو طيف عابـر
انقب عن نفسي التي قد فقدتها
بنفسي التي أعيا بها غير شاعر
وأطلبها في الروض إذ كان همها
تأمله يفضي بتلك الأزاهـــر

ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته (أقدام الرمال) :

نحن أم تلك على الأرض ظلال
وخيال سارب إثر خيـــــال
في متاهـات وجـود للـــــزوال
كبقايا الخطو في وجه الرمال

وان خير ما يقطع بثبوت هذه المرحلة الضياعية في حياته اعترافه هو بها وبتخلصه منها بإيمانه بالله تعالى على الوجه السليم يقول : (فالمومن يعرف بقلب مطمئن وضمير مستريح وروح مستبشرة أنه يلبس ثوب العمر بقدر من الله الذي يصرف الوجود كله تصريف الحكيم الخبير وأن اليد التي ألبسته اياه أحكم منه وأرحم به. فلا ضرورة لاستشارته. لأنه لم يكن ليشير كما يشير صاحب هذه اليد العليم البصير. وأنه يلبسه لأداء دور معين في الكون يتأثر بكل ما فيه ويؤثر في كل ما فيه وان هذا الدور يتناسق مع جميل الأدوار التي يقوم بها كل كائن من الأشياء والأحياء منذ البدء حتى المصير.

وهو يعلم إذا لماذا جاء كما أنه يعرف أين المقر ولا يحار بين شتى الفكر. بل يقطع الرحلة ويؤدي الدور في طمأنينة في ثقة وفي يقين وقد يرتقي في المعرفة الإيمانية فيقطع الرحلة ويؤدي الدور في فرح وانطلاق واستبشار شاعرا بجمال الهبة وجلال العطية هبة العمر أو الثوب الممنوح له من يد الكريم المنان الجميل اللطيف الودود الرحيم. وهبة الدور الذي يؤديه ـ كائنا ما كان من المشقة ـ لينتهي إلى ربه في اشتياق حبيب.

ويختفي شعور كالشعور الذي عشته في فترة من فترات الضياع والقلق قبل أن أحيا في ظلال القرآن وقبل أن يأخذ الله بيدي إلى ظله الكريم. ذلك الشعور الذي خلعته روحي المتعبة على الكون كله فعبرت عنه أقول.

---

19) عباس محمود العقاد (1307 ـ 1384 هـ = 1889 ـ 1964 م) علم من اعلام النهضة الحديثة ومفكر موسوعي كبير ولد بأسوان في أسرة متدينة كون نفسه بنفسه وأتقن الانجليزية واستطاع بعصاميته وذكائه الحاد أن يحتل مكانة مرموقة ومرموقة جدا في الفكر العربي الحديث، ولا يملك من الشواهد الدراسية غير الشهادة الابتدائية، له كتب عديدة في الفلسفة والتاريخ والإسلام، انظر ضيف (شوقي) مع العقاد سلسلة اقرأ وانظر مجلة الهلال العدد الخاص عنه السنة 75.

وقف الكون حائرا أين يمضى ؟

ولماذا وكيف ـ لو شاء ـ يمضي ؟

عبث ضائع وجهد غبيـــــن

ومصير مقنع ليس يرضـــــي

فأنا أعرف اليوم ـ ولله الحمد والمنة ـ أنه ليس هناك جهد غبين فكل جهد يجزى، وليس هناك تعب ضائع فكل تعب مثمر، وأن المصير مرض وأنه بين يدي عادل رحيم، وأنا أشعر اليوم ـ ولله الحمد والمنة ـ أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبدا فروح الكون تومن بربها وتتجه اليه وتسبح بحمده والكون يمشي وفق ناموسه الذي اختاره الله له في طاعة ورضى وتسليم) (20).

ولكن هذه المرحلة من الضياع ما لبثت أن ذابت في وهج الإيمان الغامر حين استقر نور اليقين في أعماقه وهيمن على حسه، وعمر فكره فانطلق لذلك يصحح المفاهيم الخاطئة التي سيطرت عليه مدة من الزمن. ويشق الدرب على هدى الله لا يرى هناك خلاصا إلا فيه كما لمسنا ذلك في النص السابق له ولمسناه فيما كتبه إلى أن تزوج بالشهادة المعطاء من أجل أن تسود كلمة الله بين الناس.

في غمار الحياة الفكريـــة .

لقد تابع (سيد قطب) رحمه الله تعالى مسيرته الفكرية فلم تقف مأساة الحب في طريقه حجر عثرة، إذ أخذ يبني مجده الأدبي وجاهه العلمي بهمة لا تعـرف النصب فلفت اليه الانظار حين شرع يسهم في المعارك الأدبية والفكرية، ورحبت كبرى المجلات بانتاجه كمجلة (الرسالة) و(الثقافة) و(المقتطف) و(الكاتب المصرى) ومجلة (دار العلوم) وجريدة (الأهرام) وغيرها.

وكان (سيد) في خضم هذه الحياة الفكرية لا ينى يربط صلته برواد الفكر حينذاك، ويتابع بنهم ما يوالى نشره أستاذه (عباس محمود العقاد)، ويحضر ندواته الشهيرة باستمرار.

وقد فاجأ (سيد قطب) عالم الفكر بإنتاجه النقدي حين طلع على الناس بعدة مقالات تحت عنوان معركة النقد الأدبي ودوافعها الأصلية، وذلك أن مجلة (الأسبوع) خصصت بابا للنقد سنة 1353 هـ موافق سنة 1934 م تحمل عنوان (المنبر الحر) (21)، ونظرا لجودة هذه الكتابات شك بعض الأدباء أن يصدر ذلك من (سيد قطب) وخاصة وهو لا يزال في بداية شهرته الأدبية وظنوا أنها لأستاذه العقاد.

وتشغل (سيد قطب) الحياة الفكرية وتملأ عليه حسه وفؤاده، ويمضي في الطريق الذي اختاره لنفسه لتحقيق أمجاده الأدبية. ويخوض المعارك الفكرية كلما لاح في الأفق ما يشجع على خوضها. وينحاز للدفاع عن أدب العقاد ضد أدب الأستاذ (مصطفى صادق الرافعي) رحمه الله (22) وأنصاره من أمثال (محمود محمد شاكر) (23) وعلى الطنطاوى (24) (وسعيد العربان) (25) (واسماعيل مظهر) (26) متهما أولئك في مذهبهم الأدبي بالتصنع والابتعاد عن الواقعية وذلك حين يقول (أما شأن الرافعيين معي شأن

---

20) انظر في ظلال القرآن المجلد 7 ص 543، 544 ـ ط 6.

21) انظر مجلة (الأسبوع) السنة 1 الاعداد 31 ـ 35 عام 1353 ـ 1934.

22) مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (1397 ـ 1356 هـ = 1880 ـ 1937 م) عالم شاعر أديب كاتب حجة في الأدب واللغة واحد رواد النهضة العربية الحديثة، أصله من طرابلس الشام ولد بطنطا بمصر وتوفي بها، أصيب بالصمم، من انتاجه (تاريخ آداب اللغة العربية) و(اعجاز القرآن) انظر العريان (سعيد) (حياة الرافعي) وانظر الرمادي (جمال الدين) الدكتور من (اعلام الأدب المعاصر) ص 111 مطبعة الاستقلال الكبرى (بدون تاريخ).

23) كاتب مشهور متمكن وأحد الاعلام المرموقين ومن الذين كانت لهم صولات في مجلة (الرسالة) له انتاج قيم من بينه (أباطيل واسمار).

24) من أسرة الطنطاوى التي هاجرت من (طنطا) بمصر، عالم وأديب له مكانة مرموقة في سوريا تولى القضاء الشرعي في دمشق ثم العضوية بالغرفة الشرعية لمحكمة التمييز، وهو من كتاب مجلة (الرسالة) المشهورين هاجر إلى السعودية مؤخرا ويعمل هناك مدرسا بالجامعة من كتبه (فكر ومباحث) و(قصص من الحياة) ويبلغ من العمر الآن 73 سنة انظر مجلة (الوطن العربي) السنة 6 ـ العدد 215 ص 19 ـ 1981 م.

25) أحد الكتاب والأدباء المشهورين وتلميذ الرافعي له انتاج من بينه كتاب (حياة الرافعي) ومجموعة قصص (من حولنا) توفي منذ سنوات.

26) من حملة الدعوة إلى تحرير الفكر العربي من الأساطير على زعمه تأثرا بالفكر الالحادي، ولعله قد رجع عن كثير من أفكاره من كتبه (معضلات المدنية الحديثة) انظر الجندي (انور) (الكتاب المعاصرون) ص 74 ـ مطبعة الرسالة 1958 م.

الرافعي مع العقاد سواء بسواء كنت أعرض لهم الحياة المائجة الهائجة فيعرضون علي النصوص والألفاظ وكنت أحاول أن أفتح أبصارهم وافتق احساسهم وأفهمهم أن الدنيا شيئا غير التعبير المزوق، وغير اللفتات الذهنية القسرية والمعاني اللولبية والجمل المنتثنية المتراقصة فيأبون إلا أن يعودوا إلى هذا العبث العابث في لف ودوران) (27).

بجانب هذا كان لـ (سيد قطب) معركة أخرى مع الدكتور محمد مندور (28) حول موضوع (الأدب المهموس) (29) وفيه يرفض أن يكون هناك ما يسمى بأدب مهموس في الأدب المهجرى، كما يذهب إلى ذلك مندور، ويرى أن الأدب الصحيح هو الذي يعتمد على الصدق لا الهمس، إذ الصدق هو الميزان الحق الذي ينبغي أن ننظر إليه حين نود أن نقيم عملا أدبيا ما.

يتبــــع

تطــوان : محمد المنتصر الريسونـي

---

27) الرسالة السنة 6 العدد 280 ص 4 186.

28) أحد النقاد المشهورين من انتاجه (النقد والنقاد المعاصرون) و(مسرحيات شوقي).

29) راجع الرسالة السنة 11، الاعداد : 515، 518، 520، 522 ـ عام 1362 هـ ـ 1943 م.

مفاهيم تربوية للشباب في الإسلام

للأستاذ عبد القادر فهمي العلوي

قال صلى الله عليه وسلم ، سبعة يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقته يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

من المسلم به أن الحياة المعاصرة تتطلب تكوين مجتمع متكامل متضامن تسوده روح الأخوة والتعاون والنصح لله ولرسوله ولكافة المسلمين وعامتهم. ويكون من خلال هذا ومن باب الأوليات أن يقع إصلاح المجتمع بجميع طبقاته وتوجيهه الوجهة الصالحة ليكون مجتمعا مثاليا تطبع علاقات طوابع الدين الراسخ، والمحبة الصادقة، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

وغير خاف أن الشباب عمدة من أعمدة المجتمع يتقوى بها إن كانت راسخة متينة وينهار إن كانت نخرة متلاشية، ولذلك وجبت العناية به ليكون للأمة دواما واصالة وحسن تدبير.

والإسلام اعتنى بالشباب عناية خاصة تتجلى في الاشادة بكل شاب طبع حياته بطابع الإستقامة وروح الإمتثال والتقوى، وخاف الله في جميع حركاته، ومن خلال ذلك يخلق التوجيهات الصالحة لبناء النفس والجسم والعقل على نمط متكامل يعطى للحياة الدنيا حظها وللآخرة مطالبها وينشأ نشأة دينية واخلاقية تبشر بالخير وتفتح طريق السعادة في الدنيا والدين.

وهكذا نجد القرءان الكريم وقد خص الشباب بالتوجيه من خلال القصص التي ساقها تكريما للشباب الذي سبق ظهور الإسلام واستحق الفضل بما جناه من كريم الصفات وجلائل الأعمال يقول الله تبارك وتعالى ، في سورة الكهف ، **«نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلاها لقد قلنا إذن شططا»** ويقول في آية سابقة من نفس السورة ، **«إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا».**

فبهذه الآيات ومثلها أشار القرآن الكريم إلى أن الشباب قد خلد في الصالحات ذكره بما أوتى من عقل وتبصر في وقت طبعت الأهواء جميع المعاملات وانشغل الناس بمشاغل الدنيا وابتعدوا عن التفكير في الوحدانية

الشباب ليتقصى الحقيقة من خلال تدبره ومطالعته واستقرائه لأسرار الكون وما وراءها.

وضرب الله المثل في القرآن عن الشباب الطاهر النفس، القوى الإرادة، الذي يراقب الله في جميع تصرفاته وهو يتطلع إلى الثواب والجزاء الحسن فيقول تعالى حكاية عن سيدنا يوسف وهو في فتوته وشبابه وجماله **«وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى أنه لا يفلح الظالمون»**.

والقرآن الكريم يسوق لنا القصص للإستفادة والتثبيت مصدقا لقوله تعالى ، **«وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك»**. ومنها نلاحظ الغاية المقصودة في إظهار العناية بالشباب وحثه على اقتباس السنن الحسنة من ماضي الأمم السابقة.

يقول تبارك وتعالى ، في سورة الأنبياء **«قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم»**. ثم نجد لقمان وهو يعظ ابنه ويربيه ويضع أمامهم علامات منيرة لكي يسترشد بها في طريقه ، **«يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض في صوتك»**.

وهكذا اهتم الإسلام بالشباب اهتماما كبيرا لا يقل عن اهتمامه بجميع أركان الدعوة الإسلامية إن لم يكن أكثر منها وليس ذلك من دواعى الإستغراب إذا سلمنا بأن الإسلام جاء لتكوين مجتمع نافع. إذ المجتمع كما أسلفنا لا يقوى إلا بشبابه فهم دعائم اليوم وبناة الغد وآباء المستقبل ففي توجيههم والعناية بهم كل الضمانات الإجتماعية والحضارية. فقياس الأمم عادة يقاس بعدد شبابها. والتعرف على خريطتهم الإقتصادية في المهارة والإختراع والإبتكار والإنتاج. فيكون الشاب في بلده هو قلبها النابض وحركتها والطاقة العاملة بقوتها وتجربتها.

فلا عجب كما قلنا أن يهتم الإسلام منذ بدأ نشأته بتوجيه اهتمامه للشباب فكان الرسول صلى الله عليه وسلم في أول تحمله الرسالة يتصل بالشباب ويثق فيهم.

وكان له فيهم تطلع خاص يرى فيه المستقبل الصارخ والقيادة الراسخة والقلب المتفتح للإيمان الذي لا تراجع فيه ولا خذلان. فقد روى جندب البجلى رضى الله عنه قوله ، «كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حراوره «فترة الشباب القوى» فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازداد إيماننا. وكان صلى الله عليه وسلم يقول ، «الزموا أولادكم واحسنوا أدبهم» فيكون الخطاب هنا على سبيل الإلزام والوجوب لأن الإخلال به يكون إخلالا بما هو وارد في القرآن الكريم ، **«يأيها الذين آ منوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا»**.

فتحمل الأسرة الأب والأم أمانة الإحسان إلى الولد وتربيته تربية إسلامية صحيحة لأن المولود يولد على طبيعته فيأخذ اتجاهه وعقيدته من الوسط الذى يفتح عينيه فيه. يقول عليه الصلاة والسلام ، «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وكان الرسول الأكرم يقرب إليه الشباب ويجالسه ويستمع إلى آراه وأقواله بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقلد أسامة بن زيد قيادة الجيش ليحارب قضاعة وكان الجيش بطبيعة الحال يضم العديد من الصحابة الأخيار يكبرونه سنا ويفوقونه تجربة ولم يعترض أحدهم على الرسول لأنهم وجدوا في عمله درسا من الدروس النافعة لأبنائهم من الشباب يتعلمون من خلاله تحمل المسؤولية والإعتماد على النفس في توجيه الأحداث المحيطة وحتى يخبروا أهليتهم وكفاءتهم وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ، «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم أن يثبوا على الخيل وثبا» وهذا التوجيه منه رضي الله عنه مبنى على تعاليم الإسلام التى تريد أن يكون المسلم قويا في كل

شيء وهو مشابه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «المومن القوى أحب إلى الله من المومن الضعيف وفي كل خير».

ويقدر الإسلام العلم والعلماء ولذلك فهو يهيب بشبابه أن يكون في طليعتهم يتسابق لنيل درجاته العليا وكان من خصائص المجتمع الإسلامى الأول أن يتطلع إلى المزيد من التعمق في أسرار القرآن والسنة فيأخذ عن الشباب الذى طبع الله قلبه للإسلام وأنار بصيرته لإدراك أسرار الآيات والأحاديث.

من ذلك ما ثبت عن أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفضل الإستماع إلى شروح ابن عباس رضي الله عنه عن غيره من كبار الصحابة وشيوخهم كلما حدث أن وقع اجتماع أو تدارس آية وكان يريد من وراء ذلك أن يفهم الصحابة أن ابن عباس رغم شبابه فإنه عالم قوى الإدراك وهكذا ففي يوم ضمهم مجلس كالعادة فسأل عمر رضي الله عنه الجالسين عن قوله تعالى : **«إذا جاء نصر الله والفتح»** حتى نهاية السورة فشرحها الشيوخ على أن الله أراد أن يبلغ رسوله أنه إذا دخل الناس في دين الله أفواجا بعد فتح مكة وجب عليه التسبيح والإستغفار، ثم سأل بعد ذلك ابن عباس بقوله : «وما تقول يا ابن عباس فقال : ذلك أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الله يقول لرسوله إذا فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد تمت رسالتك ودنا أجلك فاستعد للآخرة بالإستغفار والتسبيح فقال عمر ما أرى إلا رأيك».

وكان من مبادىء الإسلام الإعتماد على الشورى امتثالا لقول الله تعالى : **«وشاورهم في الأمر»** فأخذ الرسول الكريم بهذا الإتجاه وأعطى للشباب خطء من الرأى بل ذهب إلى أبعد من ذلك ونزل عند رأيهم أحيانا لعلمه أن رأيهم يكون منبثقا عن الإيمان القوى والرغبة في تحقيق الطموح المتدفق وطوي المراحل للوصول إلى إحقاق الحق ونشر ردائه. من ذلك ما وقع في غزوة أحد. فقد علم الرسول الكريم بوصول جيش المشركين إلى جبل أحد زاحفا على المدينة لأخذ الثأر عن ما وقع لهم في غزوة بدر التى فتح الله بها باب انتشار الإسلام والتعرف على شوكته التي لا تكسر، فأخذ المشركون عدتهم التي بلغت ثلاثة آلاف مقاتل ومنها مائتى فارس بقيادة خالد بن الوليد - قبل إسلامه - في وقت لم يكن للمسلمين عتاد من هذا النوع فأدرك الرسول مخاطر هذه المعركة وعواقبها فرأى أن يبقى في المدينة تاركا للمشركين الهجوم عليها لتضمحل قوة الفرسان بين الأزقة ويستطيع أهل المدينة المشاركة في الحرب ولو من فوق السطوح بالرمى بالحجارة وغيرها. غير أن الشباب المتحمسين من الأنصار أصروا على الخروج لقتال المشركين خارج المدينة فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم عند رأيهم ودخل بيته ليلبس درعه فعاب من وافق رأى الرسول الشباب على أصرارهم فرجع الرسول ليجد المتحمسين قد غيروا رأيهم لكنه عليه السلام قال ما معناه كان لرسول الله وقد لبس لباس الحرب ليرجع عنها.

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سلك هذا النهج رغم ما فيه من المخاطر فإنه أراد أن يعلم الصحابة الكرام أن رأى الشباب محترم مادام قد صدر عن حسن نية ورغبة في الإنتصار لله ولرسالة نبيه. فمجال التربية واسع يتوجب أن يكون من بين عناصره إعطاء المتربى فرصة التعبير والتجربة لأن التجربة درس من دروس الحياة التى تعلم وتربى وتكون وإن صح التعبير فهي معمل لإخراج أفراد المجتمع وصناعة شبابه. وقد ترسخ في دهن الشباب تلك الاغلاط التي ارتكبها في فترة تدبيره فيستفيد منها ويتعظ بها فلا يعود إلى أسبابها.

لذلك يبتغى أن يكون هدف المجتمعات الإسلامية وهي تربى فلذات أكبادها ليصبحوا رجال الغد وأن يوجهوا كل عنايتهم ليكون هذا الشباب قويا في بدنه صادقا في دينه مثاليا في أخلاقه حزما في أعماله وليكون خيرا لنفسه ومجتمعه وأمته كلها، ومن هذا المنطلق يتحمل كلنا مسؤولية إعداد الشباب اعدادا إسلاميا يشع في قلبه نور الإيمان ويتحلى بمكارم الإسلام وخصاله المثلى. ولا يمكن أن يتحقق هذا المكسب الغالى والمهم. إلا إذا

تظافرت جهود الأسرة والمدرسة والثانوية والجامعة وجعلوا هدفهم واحدا يتجلى في تنشئة الجيل الصاعد تنشئة نافعة فيتلقى في منزله أصول الأدب وحسن الأخلاق ويكون تصرف الأب والأم عوامل لتحقيق هذه الغاية فينطبع ذلك في ذاكرة الطفل تنموا معه كلما سقيت جدورها بالمدرسة وهدبت أزهارها في باقي المراحل الأخرى حتى يطلع شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ولإعطاء رسالتنا حقها من العناية نرى أن نلفت النظر إلى أن حياة الشباب محفوفة بالمصاعب تذكيها نفحات المراهقة وأطوار البلوغ وتخلق فيها نزوات جبارة تتسارع مع الدوافع الاخلاقية الكامنة في نفس الشباب فإذا وجدت سبيلا للتأثير عليها كانت كارثة في حياة الشباب وسببا من أسباب خروجه عن الطريق السوى. لذا يجب الإدراك بأن أخطر مرحلة في حياة الإنسان خاصة هي تلك التي تلتقى فيها فترة انسحابه من الطفولة ودخوله حلبة الشباب. وعليه، فإن التحسب لهذه الفترة الدقيقة يجب أن يكون قبل وصولها بالذات ولا يتأتى ذلك إلا بتلقين الطفل مبادىء الدين وإرشاده إلى عواقب الخروج عنه.

فإذا تعلم الشباب وأخذ من أسرار الآيات البينات وهو في مطلع شبابه استطاع أن يحجب عن نفسه أسباب الزلل والزيغ فبقوله تعالى مثلا : **«فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى»**. يدرك الصلة بين عمله ومآله فيحجم عن ولوج ميادن الفساد والخراب. وهذا بطبيعة الحال عندما يدرك من قبل أن هذا القرآن نزل ليكون صلة وصل بين الخلائق والخالق فهو كلامه إليهم على لسان رسوله ، **«ان هو إلا ذكر وقرآن مبين لتنذر من كان حيا»**. وليس على الرسول أكثر من التبليغ والتبيان وينبغى على المرء أن يختار إلى أى الطرق يسير وفي كلها جزاء ينتظره لأن كل من سار إلى طريق أدرك نهايتها وصدق الله العظيم.

«يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل».

ومتى رسخت في قلب الشباب وعقله أهداف الإسلام ورسالته الصادقة تشبت ـ بطبيعة الحال ـ بأهدابه واهتدى بهدية. ولذلك فإن التوجيه الدينى يجب أن يرافق الطفل مند سنه السابعة. وهي فترة هامة تأخذ فيها أفكار الطفل في التبلور والتكيف فلا ينبغي أن تحصر العائلة عنايتها بالطفل في المجال التعليمي وحده. وتترك الجانب الدينى بل يجب أن يكون هناك سيرا موازيا. فقبل خروج الابن إلى المدرسة عليه أن يعلم أن حق الله أولى وأسبق فيبادر إلى الوضوء والصلاة مستعينا بالله ثم إذا كان يوم الجمعة صاحبه والده لأداء الصلاة معه في المسجد فإذا سمع القرآن يتلى دربه على الإنصات والتمعن والتفكير. ولا حرج أن يكون ذلك فوق مستوى الطفل فيتمرن ويتهيأ للسنين المقبلة من حياته. وهذه العملية هي ما يطلق عليها اليوم بالتربية الروحية. والدين الإسلامى أكبر مدرسة في الحياة المعاصرة ومنذ أن ظهر للوجود إطلاقا. فهي مدرسة للتربية الأخلاقية والإجتماعية ولصقل نفس الطفل ولزرع بذور الخير والمحبة والصفاء والتلاحم والتعاون وهو الدين الذى هدى إلى الأخوة الإنسانية بعيدا عن النزعات والعصبيات.

والتربية الإسلامية تحلى الشباب حلل الرحمة والإيثار وتنهاه عن المناكر وتأمره بالمعروف وتشرح له المضار الموجودة في الأمور المنهى عنها والمنافع التي تتضمنها الأشياء المأمور بها وتعطيه حرية التفكير في الاصلح وهو يتدبر قول الله تعالى ، **«إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يومنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما»**.

فإذا نشأ شبابنا على تقوى من الله ورضوان أصبح درعنا الوافى وسلاحنا البتار وقوتنا التى لا تغلب فانطلق يدافع عن دينه غيرة وحماية ودعا إلى التمسك به والإهتداء بأحكامه فانتشرت بفضله كلمة الله وعاد للإسلام

دوره الطلائعي في تسيير الحياة الدنيوية. ومتى كان لنا هذا الشباب الذى طبع على حب دينه وأدرك مكامن الدين الحنيف تعبدت الطريق أمامنا وزالت كل المسالك الوعرة لأنه - بوجوده في كل مكان - سيعبر عن حقيقة الإسلام كما آمن بها وكما تعلمها من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويدافع عن الدين في مواجهة من يتقولون عن الرسول والقرآن بقوله تعالى : **«وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم»** ورد على المعاندين على أنه الدين القويم الذى بشرت به الكتب السابقة في قوله تعالى : **«وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إسرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين»**. وقال تعالى : **«ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه أحمد»** وأفهم أهل الكتاب أن دين الإسلام جاء بواسطة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتمم ما سبق ان جاء به الرسل السابقون : **«إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا»**. ويقول تعالى : **«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتنى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب»**.

ولا يمكن أن نحصر مهمة تربية الشباب وتكوينه في المجالين المنزلى والمدرسى بل أن التطور الحالى والحياة المعاصرة والتقدم التكنولوجى جعل الإمكانيات متعددة ومتنوعة فأصبح الإعتماد على تكوين الشباب دينيا مطلوبا من وسائل الإعلام مثلا، إذ بإمكانها أن تضع برامج خاصة بالشباب المسلم من خلال ما يعرض عليه من برامج ومحاضرات وندوات. وإنتاج افلام إسلامية صرفة عن السيرة ودور الشباب في مطلع الدعوة الإسلامية ثم تقدم إليه توجيهات عن المحرمات والممنوعات بوسائل علمية وعملية. ويدخل في دور الاعلام إقامة مناظرات بين الشباب نفسه بمحضر رجال العلم الإسلامى فينظم مثلا لقاء بين شابين أو ثلاث يتحدثون فيه عن دور الصلاة في تربية النفس وترويدها على الإمتثال وضبط الغريزة ويتحدثون كذلك عن الصوم وفضائله على الجسم والعقل والروح ويتناقشون عن الزواج في الإسلام وأثر التنظيمات العصرية عليه. ويتكلمون عن مضار الطلاق وآثاره. ولا يهمنا أن تكون المناقشة في المستوى العالى إذ أن الغاية ليست الثقافة كميدان ولكن تكوين ملكة البحث عن مكامن الإسلام لدى الشباب وتبعا لذلك فلا معنى أن يشترط في الشباب مستوى ثقافي عالى بل يمكن أن نفسح المجال حتى إلى تلاميذ الأقسام الثانوية وهم أبناء 15 أو 16 سنة.

ثم أنه من الواجب أن نترك للشباب فرصة الإستفسار ونحاول أن نعطيه جوابا مقنعا من خلال الكتاب والسنة والواقع الإسلامي وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويجب أن يكون اهتمامنا ونحن نؤلف قصصا أن نجعل للتراث الإسلامى قصب السبق فيها ومن خلاله نقتبس للقارىء فصولا مشرقة ومنقوشة عن الملاحم البطولية عند الشباب المسلم ولنا في علي بن أبي طالب وابن عباس. وأبو ذر الغفارى وخالد بن الوليد وابن عمر وغيرهم كثير. المثل الأعلى للشباب المسلم في مطلع الدعوة وبرفقة الرسول الأكرم. وإذا أسرعنا الخطى وانتقلنا إلى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية تطالعنا أسماء وأعلام تعيش على طعمها ورحيقها إلى اليوم في مختلف المجالات العلمية. وميدان الإختراع ولست في حاجة إلى القول بأن الخوارزمى وابن الهيثم وابن سيناء وابن رشد وغيرهم كانوا فقط نواة من جذور الإسلام الصحيح والتعاليم الصادقة لهذا الدين.

وغير خاف مادام الحديث قد ساقنا إلى ميدان العلم والمعرفة أن نذكر أن دين الإسلام حمل راية الإنطلاق في التسابق إلى العلم والإرتواء من فيضه الدافق في أى ميدان

كان لا يهمنا منه إلا الإدراك والإستنباط والإستقراء. فاذن يكون من الواجب أن نبلغ شبابنا أن دعوة الإسلام ابتدأت بالإشارة إلى العلم والتعليم ليفهم المسلم أن العلم نور يهدى به الله وبواسطته يتقوى إيمانه ويقترب من ربه وخالقه ويزداد يقينا بأن عظمة الكون دليل على عظمة الخالق - ولا حد لعظمته - يقول الله تعالى ، **«اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنســن من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنســن مالم يعلم»**. ويقول **«إنما يخشى الله من عباده العلماء»** وللدعوة إلى العلم والحرص عليه قال صلى الله عليه وسلم ، «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

فالشباب المسلم وهو يتعلق بتعاليم دينه أولى الناس بأن يكون على ما وصل إليه العقل من اختراعات وصناعات ومعطيات متنوعة لا يهمنا ضررها ونفعها بقدر ما يهمنا أنها من عقل الإنسان وأن التعرف عليها أمر وجوبى لأن الله تبارك وتعالى ، يقول **«أو لم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يفقهون بها»** ، **«قل انظروا ماذا في السموات والأرض»**. ويقول ، **«وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس»**.

وبصفة عامة فإن الشباب المسلم مطالب بالمشاركة في كل الميادين الإجتماعية المعاصرة مع حرصه التام على أن يتبع الاصلح فيها لأن شباك الاعداء وحبال المخادعين منصوبة لشبابنا في كل مكان وشيطان الشر يترقب خطاهم كما أكد ذلك الخالق سبحانه ، **«قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم»**.

فالمشاركة في الرياضة والندوات والرحلات والنشاط الثقافي والفنى كالرسم والتمثيل كلها ميادين من حق الشباب أن يندمج فيها وليكون رسول إخوانه المسلمين عند بقية الشباب ويبين لهم بطريق الممارسة والتنفيذ تعاليم الإسلام وتربيته.

ذلك أن التيارات المتواجدة في الحياة اليومية والتقلبات المتوالية تتسلل إلى ساحة الشباب فتأثر بأحداثها فيكون من الواجب أن نفسرها له بحسب المفهوم الإسلامى وما يراه الإسلام لها من أسباب وما يقترحه من علاج. فلا يكون من المنطق أن نسد أمامه طريق التفكير في تطوراتها لأن سماحة الإسلام لا تخاف من الأهواء ولا تنخدع بالاديولوجيات. وعليه فلا نرى بأسا أن يتعرف الشباب المسلم وهو قوي الإيمان بدينه على مختلف الإتجاهات ويدرس أبعادها ومضمونها ليتبين خبثها وسوء طويتها. فإذا عرف الشاب المسلم أن نظرية الشيوعية هي سلب الإنسان شخصيته التي تكرم عليه الله بها وميزه بها عن باقى المخلوقات **«ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»**. يدرك بالبديهية أن هذا المذهب خروج عن الحقيقة الإنسانية ودور الإنسان في الحياة على أنه مخلوق رزق العقل يتدبر به والقوة ليسخر بها باقى الكائنات ولم يخلق ليكون هو نفسه آلة مسخرة في يد القوى.

ومن باب الإرشاد أن نعطى لشبابنا نظرة توجيهية عن الحضارة في مفهوم العالم النصرانى واليهودى واللادينى على أنها ضرب من الإنحلال والتعفن وتخدير العقول وطمس الأخلاق وأن مجتمعها أصبح يتطلع إلى حياته الحيوانية على أنها نوع من التقدم والرقى فضرب عرض الحائط بالمقومات الروحية ووصل الإستهتار ببعض الدول التى ترتب عندهم في رأس القائمة وأعلى سلم الحضارة والمدنية. إلى سن تشريعات تبيح الشذوذ الجنسى وتدافع عنه وبعضها يبيح الزنا ولا يعاقب عليه والبعض الآخر أباح الاجهاض وقتل النفس التى حرم الله وغير ذلك من أنواع الإستهتار بأبسط مبادىء الحياة الإجتماعية المثالية.

وكثيرة هي الأبواب التي يمكن أن نوجه منها إلى الكفار طعنات تدل على خساستهم وانحطاط مجتمعاتهم ويدرك من ورائها الشباب المسلم أن الحق أحق أن يتبع وأن ديننا الحنيف هو المعيار عند اختلاط الهواجس والتيارات وأن من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

وإشارة بسيطة وهامة يجب أن يتنبه لها الشاب المسلم ويتمسك بها وهي أن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه وبذلك فلا محل فيه للتطرف والتعقيد والتشدد والتضييق حتى نخرج عن مفهوم الدين الإسلامي والذي أسس على اليسر منذ أن أمر الله رسوله بالتبليغ بل بشره بأنه تحمل رسالة أيسر الأديان فقال تعالى ، **«ونيسرك لليسرى»**.

ومن باب تحصيل الحاصل أن نقول أن الإختلاف في تفسير بعض الأحاديث أو بعض الآيات لا يجب أن يكون سببا في وقوع شقاق بين المسلمين أو تضارب في أقوالهم تدفع إلى نزعات وخلق الطائفية.

ولا يجب أن يكون الإجتهاد في تفسير بعض الأقوال وحيا يجبر صاحبه الناس على أتباعه لأن ذلك يعتبر تطرفا وتعنتا والواجب يفرض أن يحترم كل رأى صاحبه وأن يكون النقاش بالموعظة الحسنة بعيدا عن الجدال العقيم والذى يجعل عامة الناس في خلط واضطراب وينبث أسباب العداوة بين المذاهب والإجتهادات. لقد علق بعض الأصولين بقوله لولا هذه الآية لهلك كل المجتهدين وذلك عندما تدبر قول الله تعالى ، **«وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما»**. ويجب أن يكون الحكم على الشيء فرع عن تصوره فلا يراد من الحكم العناد والتعصب وفرض الرأى بدون مناقشة واقناع.

وكلمة أخيرة يجب أن يعلمها شبابنا ويومن بها وينشرها وهي أن الإسلام يوصى بالمحبة الإنسانية ولا يضمر حقدا أو عداوة لأحد مهما كان اتجاهه أو دينه مادام هناك نوعا من الإحترام المتبادل والتعاون الصادق والمعاملة الخالية من الدس والمكر ، **«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين»**.

فإذا ظهر منهم عداء للإسلام واتجهت نيتهم نحو النيل من تعاليمه والمس بكرامته وجب آنذاك معاملتهم بما هو مناسب لتصرفهم. ولم يبق وقتئذ مناسبة تسمح بالتعاون معهم لأن التعاون معهم يسيء إلى نخوة الإسلام وكرامته. وكل تعاون مع أعداء الإسلام ضد الإسلام وضد أممه يضع المتعاون في صف المنافقين ويجعل مصيره مرتبطا بمصيرهم.

وذلك مصداقا لقوله تعالى ، **«بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا»**.

تلك إخواني الشباب هي تعاليم الإسلام وتربيته وتلك هي الأخلاق التي جاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليتممها وهو القائل ،

«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ولعلكم الآن قد أدركتم أنه دين جمع فوعى وأحسن صنعا وتوجيها وأن مبادئه وأخلاقه مثالية لم يستطع أن يدركها أفلاطون ولا سقراط ولا غيرهم من فلاسفة الحضارة والإجتماع. ولا نحتاج إلى كثير من البحث لنعرف سبب ذلك لأنه جلي من خلال المنهج المثالي لتعاليم الإسلام الحنيف وأهدافه السامية التي جاءت للإنسان رحمة والبشرية هداية وإرشادا وصدق الله العظيم. **«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم»**.



من المراكز الثقافية بشمال المملكة المغربية في القرن 16 م :

مدينة شفشاون

للأستاذ عبد القادر العافية

عرف القرن السادس عشر الميلادي مراكز ثقافية متعددة في جهات كثيرة من المغرب ، كجبال الريف والأطلس المتوسط، والأطلس الكبير، والصغير، والسهول الساحلية، والصحراء وغيرها...

وفي الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي أسست مدينة شفشاون (1471م - 876 هـ) لغاية حربية، وقصد إيقاف الزحف البرتغالي الذي كان يهدف إلى التوغل في البلاد، بعدما تحقق له الاستيلاء على عدد من المدن الساحلية.

أسست المدينة المذكورة وأصبحت في حاجة إلى مرافق ووظائف اجتماعية واقتصادية وإدارية، ودينية، وقضائية... وما إلى ذلك من المرافق التي تتطلبها مدينة ناشئة.

وكان أول ما أنشيء من ذلك دار الحكومة (أو دار الإمارة) وأنشئت إلى جانبها دار القاضي، ودار الكاتب، ثم أسس المسجد إلى جانب كل ذلك.

وأصبحت المدينة بالرغم من صبغتها الاستراتيجية تتطلب وظائف مختلفة في ميادين شتى من ميادين الحياة...

وتتعرض الوثائق إلى ذكر أسماء لشخصيات علمية وثقافية كانت موجودة بالمدينة منذ التأسيس الأول ، مثل أبي الحسن علي بن عمر بن مصباح ابن عسكر (2) والد صاحب الدوحة الذي تقلد منصب قاضي بالمدينة في الفترة الأولى من حياتها، ومثل الفقيه العلامة المفتي والد القاضي أحمد العلمي علي الشريف جد شرفاء القوس العلميين بشفشاون الذي ذكر ولده أحمد «أنه تولى منصبا حكوميا مع بني راشد سبب روح ترامت إليه..» (3) ومثل علي بن ميمون الإدريسي (4) الحسني الذي كان أول كاتب مع الأمير علي ابن راشد، والذي ما زالت داره بشفشاون تحمل اسم الكاتب بن ميمون، والذي ولي منصب القضاء بالمدينة لفترة من الزمن، ومثل القاضي محمد بن أحمد ابن الحاج الذي تولى منصب القضاء بشفشاون لفترة طويلة (5) على عهد الأميرين إبراهيم ومحمد من بني راشد.

هؤلاء العلماء والفقهاء وأمثالهم كان لهم دور تثقيفي بالإضافة إلى دورهم الوظيفي خاصة ونحن نعلم أن المسجد في حياة المسلمين كان يقوم بدوره في التعليم والتثقيف ابتداء من المراحل

---

1) جاء في كتاب معطيات الحضارة للأستاذ ع. بن عبد الله أن شفشاون كانت موجودة منذ العهد الروماني وأنها كانت تسمى ، APPINUMM نقلا عن المجلة الاسيوية م (10) ص 152.

2) تقييد الشيخ محمد الصادق الريسوني عن شفشاون مخطوط خاص.

3) مرآن المحاسن، ترجمة أحمد العلمي الشفشاوني ، 165.

4) ترجمه صاحب الدوحة ص ، 23 ط. م ونشرت له ترجمة مع ذكر جل تآليفه في دعوة الحق ع ، 8 س 16 ص 165.

5) ذكره صاحب النوازل العلمي، وصاحب المعرب الفصيح.

الأولى في تعليم القراءة والكتابة إلى تدريس العلوم والفنون المختلفة.

وتؤكد الوثائق أن المدينة عرفت نشاطا مبكرا، أي في الفترة الأولى من حياتها. ففي هذا الوقت المبكر كانت شفشاون موئلا لطلبة العلم ومدرسيه، حيث كان طلبة العلم يقصدون البلدة للتعلم بها وللاغتراف من معين علمائها ومن الذين أموها في هذا الوقت من أجل الدراسة بها ، الشيخان الجليلان عبد الرحمن وعلي ابنا ريسون (6) وهما في ريعان شبابهما. وكانت أمهما قد تزوجت بعد وفاة أبيهما سيدي عيسى. قال أبو علي الحسن بن محمد بن علي بن ريسون في كتابه «فتح التأييد في مناقب سيدنا الجد وأخيه والوالد»... استعملهما زوج أمهما في رعاية الغنم والمعز فافترس الذئب يوما شاة لهما فضربهما. فبلغ ذلك خالهما، سيدي الحسن بن محمد وكان من أهل العلم والدين بمكان لا يجهل، وكانت له وجاهة عند الخاص والعام مع انضاف لذلك من شرف النسب فأتاهما متغيظا وحملهما لشفشاون، وكان مأواه بها، وهي محل قراره، فدفعهما للعلم والقراءة وأحسن معاملتهما إلى أن بلغا. وظهرت نجابتهما وفضلهما فانقطع سيدي عبد الرحمن (ت : 950 هـ) بجامع سيدي أبي خنشة من القرية المذكورة (7) وبيته بها معروف إلى اليوم وآثر الخلوة على الجلوة، والانفراد على الخلطة. واشتغل بتحصيل العلم...» (8) .

وهكذا نرى أن الشيخين الجليلين قضيا شطرا من حياتهما في طلب العلم بشفشاون حيث انقطع الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن ريسون بأحد بيوت مسجد سيدي أبي خنشة من أجل التفرغ للعلم، والعبادة. وهذا النص يدلنا على أن المدينة أصبحت منذ بداية القرن العاشر الهجري مركزا ثقافيا يؤمه الطلبة والمدرسون وعشاق المعرفة.

وممن درس بشفشاون خلال هذه الفترة أبو العباس أحمد بن يحيى العلمي الشفشاوني المولود بجبل العلم بمدشر (بوسرواس) والمتوفي سنة ، 1001 هـ (9) فهو بعد ما حفظ القرآن الكريم، توجه لشفشاون لطلب العلم، فأقام بها ونسب إليها ثم رحل لفاس للانتفاع والتبرك بشيوخها...

ومما جاء عنه في فتح العليم الخبير ما يلي ، «ومن أولاد سيدي موسى اولاد الفقيه العلامة سيدي أحمد بن عيسى بفاس، ويعرفون الآن بالشفشاونيين وكانوا يعرفون (بجبل العلم) باولاد (بن يحيى)، وسبب انتسابهم لشفشاون أن العلامة سيدي أحمد بن يحيى كان يقرأ العلم ويطلبه بمدينة شفشاون وطالت مدة إقامته بها عند شيوخها، حتى ظهرت نجابته واشتهر فضله، وبانت نباهته، فرحل لفاس واستوطنها واشتهر بالشفشاوني ونسب بنوه إليه ...(10)».

ويتضح من هذه النصوص أن شفشاون كانت مركزا ثقافيا ـ في القرن السادس عشر الميلادي ـ يقصده الطلاب، والعلماء، وعشاق المعرفة.

ومن المعلوم عند كتاب التراجم أن ابن عسكر صاحب الدوحة (ت : 986 ـ 1578) قضى شبابه في هذه المدينة، متنقلا بين حلقات الدروس، ومتصلا بعلمائها وفقهائها وصلحائها... (11).

ومعنى هذا أن شفشاون بالرغم من أن القصد من تأسيسها كان حربيا، ومن أجل الجهاد، فإننا نلاحظ أن الحياة الفكرية والثقافية، واكبت نمو المدينة وازدهار عمرانها، منذ التأسيس الأول، وتطور ذلك فيما بعد تطورا ملحوظا.

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري نجد أسرا علمية استقرت بالمدينة وسكنتها كأسرة ابن عرضون (12) وأسرة

---

6) ترجم لهما صاحب الدوحة : 15، والحضيكي : طبقات : 2 ، 319، والفضيلي الدرر البهية : 2 ، 72، وأحمد الرهوني في عمدة الراوين : 5، بدون ترقيم : لغ : المكتبة العامة بتطوان . والحسن بن محمد بن ريسون في فتحه ومناقبه.

7) مازال هذا المسجد يحمل نفس الاسم، هو مسجد جامع يقع بحومة الخرازين قرب باب العين من مدينة شفشاون.

8) فتح التأييد ص : 21 مخ خاص، ومناقب الاخوين مخ الخزانة العامة بالرباط : 2286 ك ص : 116.

9) ترجم له ابن القاضي في درة الحجال ج : 1 : 101 : ط : القاهرة : 1970. ومحمد بن الطيب القادري في نشر المثاني ج : 1 : 16 ط : الحجرية بفاس. ومحمد بن الصادق بن ريسون في فتح العليم الخبير، ورقة : 24 ـ 73 مخطوط المكتبة العامة بتطوان تحت رقم : 856.

ومحمد حجي في (الحركة الفكرية) ج : 2 ، 424.

10) فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير، ورقة : 74 ـ 75.

11) انظر ابن عسكر عند ليفي بروفنسال في كتابه مؤرخو الشرفاء، وفي الاعلام للعباس المراكشي ج : 4 : 174.

12) أسرة ابن عرضون : تولى عدد من أفرادها القضاء بمدينة شفشاون وإقليمها.

(السكاج) (13) وأسرة آجليان. (14) وأسرة مخشان. وأسرة اولاد بن علوش. بالإضافة إلى أسر الشرفاء العلميين الذين استوطنوا منذ نشأتها.

هذا ولا شك أن الجالية الأندلسية التي سكنت بالمدينة كانت تضم عددا من رجال الثقافة والفكر ونجد بعض الأسر الأندلسية بشفشاون توارثت بعض الأنواع من المعارف كالطب والصيدلة في أسرة اولاد المفرج (15) والبيطرة في اولاد البيطار، وفن البناء في اولاد العاقل...

وعدد من الأسر الأخرى توارثت فن الموسيقى الأندلسية. وتأثرت المدينة في مظهرها العام بالطابع الأندلسي. ويتجلى ذلك في شكل البناء المقوس بالقرميد، وفي طريقة مد المنازل بالمياه بواسطة شبكة من الأنابيب المحكمة الصنع، وفي العناية بالزهور داخل المنازل، وفي صحون المساجد. إلى غير ذلك من التأثيرات الأندلسية الواضحة المعالم.

وبدأت الصبغة العسكرية تزول عن المدينة ابتداء من الربع الأول للقرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. وذلك نظرا للتغيير الذي طرأ على السياسة البرتغالية تلك السياسة التي أخذت في هذا الوقت بالذات تجنح إلى فكرة التخلي عن التوغل نحو الداخل والاقتصار على الاحتفاظ بالمراكز المحتلة. وذلك ابتداء من عهد الملك البرتغالي عما نويل الأول (1491 - 1521) وكذلك طيلة عهد جيان الثالث (1521 - 1557) وكان الدافع لفكرة عدم التوغل نحو الداخل :

1) فشل القوات البرتغالية في احتلال مراكش سنة 1515م وكذلك فشلهم في نفس السنة في النزول بأرض المعمورة الذي كانت الغاية منه التوجه نحو فاس العاصمة.

2) ظهور قوة جديدة بالمغرب قامت على الجهاد وحصار الثغور المحتلة وتحريرها. تلك هي القوة السعدية الناشئة. وكان من شأن ذلك انه لم تبق هناك ضرورة لوجود معسكرات بعيدة عن مراكز الاحتلال المتمثلة في نقاط على الساحل ، سبتة. القصر الكبير. طنجة. أصيلا.

ولهذا عرفت المدينة استقرارا وحياة فكرية خلال القرن العاشر الهجري. حيث أصبحت تعيش حياة عادية. اللهم إلا ماكان من المساهمة في الحصار حول سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا.

وهذا الوضع الجديد جعل من المدينة مركزا ثقافيا خلال القرن العاشر الهجري لأنه بالإضافة إلى حاشية أمراء بني راشد. وما كانت تتوفر عليه من فقهاء، وعلماء، وقضاة وقواد ومستشارين... نجد هناك حركة فكرية تجلت في التدريس والافتاء، والنشاط الصوفي...

والوثائق التي نتوفر عليها - لحد الآن - لاتعطينا تفاصيل هامة عن جميع المواد المدروسة. ومع ذلك فالذي بين أيدينا من الإشارات والنتف اليسيرة نستطيع أن نعرف من خلاله أن حركة التدريس والتعليم كانت حركة نشيطة وغير منقطعة. فحلقات الدروس كانت تعقد بمساجد المدينة وخاصة بالمسجد الأعظم.

ففي هذه المساجد كانت تعقد حلقات لتدريس علوم القرآن الكريم والفقه والنحو واللغة والادب والحساب والفرائض والتصوف وما إلى ذلك...

وإذا كانت العادة بالمغرب كما يقول ابن خلدون هي البداية بحفظ القرآن الكريم واستظهاره عن ظهر قلب وختمه عدة مرات. فإن هذه العناية كان لاينفصل عنها - في كثير من الأحيان - العناية بالعلوم القرآنية وخاصة ما يتعلق منها بالقرآت والروايات المختلفة وما يتعلق بضبط القرآن ورسمه وتتبع ألفاظه وجمله وآيه.

وهذه الدراسة القرآنية كانت تعقد لها حلقات متعددة. وكان لها أساتذة يتقنونها. وقد اشتهر بالمنطقة في هذه الفترة الأستاذ الشيخ سليمان (16) اللولي وهذا الأستاذ هو شيخ الحسن ابن عرضون. وشيخ أخيه عمر ابن عرضون وغيرهما.

واشتهر كذلك في هذه الفترة الشيخ عبد الله القسطلي وهو شيخ عبد الله الهبطي في العلوم القرآنية (17) .

---

13) أسرة السكاج تحدث عنها كل من : صاحب لقط الفرائد ص 287 ؛ ط ؛ الرباط المعرب الفصيح ورقة ، 24 ونوازل العلمي : 2 ، 328 ط حجرية بفاس سنة : 1332.

14) تنبيه الولدان للكلالي المقدمة. شبه الولدان الحضيكي.

15) ثمرة أنسي للحوات.

16) انظر مقنع المحتاج في آداب الأزواج .

17) انظر الدوحة لابن عسكر ص : 23 ط . ج.

وفي نهاية القرن التاسع الهجري كان علي ابن ميمون البوزراتي الغماري وهو أحد المتضلعين في علوم القرآن يسكن مدينة شفشاون وكان قد تضلع في علوم القرآن بمدارس غمارة التي كانت في هذا الوقت تعيش فترة ازدهار في هذا الفن. حيث تلاقحت فيها وتمازجت المعارف الأندلسية بالمعارف المغربية في هذا الميدان وكان علي ابن ميمون قبل أن يسكن المدينة قد درس بفاس على أهم علماء هذا الفن في ذلك الوقت. كالأستاذ أبي جمعة الهبطي الصماتي (ت 930) وغيره...

فحفظ القرآن ودراسته ومعرفة علومه مع اتقان ضبطه ورسمه كان الشغل الشاغل لفقهاء وعلماء ذلك العصر. ويشير الأستاذ عبد الله كنون في كتابه.. النبوغ المغربي... فيقول : «وان نتس لانتس ما وجد في هذا العصر من كثرة الإقبال على علوم القراءة وشدة العناية بها حتى لقدتخصص بها علماء كثيرون لا يزاولون غيرها من العلوم. كما شارك فيها سائر العلماء. بل كان وصف العالمية لا يكمل إلا بها بل يمكننا أن نقول ، إن هذا عصرها الذهبي في إفريقيا كلها الذي بلغت فيه أوج الكمال. وحسبك دليلا أن وقف القرآن الذي وقع الإجماع عليه. وجرى العمل به في المغرب منذ ذلك الوقت إلى الآن إنما وضع في هذا العصر. وكان واضعه هو الأستاذ الصماتي...) (18).

وكان أبو الطيب الحسن بن يوسف الزياتي (ت 1023) من المبرزين في علم القرآت وفي العلوم العربية كلها من صـرف واشتقاق وما إلى ذلك وكان استاذا ماهرا في علوم القرآن أخذ ذلك عن شيوخ هذا الفن... (19).

واشتهر محمد مخشان (ت 1042) قاضي شفشاون ثم تطوان بتعاطيه لتدريس التفسير ومات بتطوان وقد وصل في التفسير إلى قوله تعالى : «وآخرون اعترفوا بذنوبهم... (21).

أما المواد الأخرى فكان تدريسها مزدهرا كذلك. جاء في فتح التأييد (22)» عن الفقيه الاجل القاضي العدل سيدي الحسن الخالدي قال : «حدثني المرابط سيدي محمد اسلوفان اليريشني. قال : «كنا نحضر مجلس سيدي محمد بن عرضون في تدريس العلم. وكان يقرأ يوم الخميس والجمعة الحكم لا بن عطاء الله رضي الله عنه... وكان سيدي محمد بن عرضون له اليد العليا في سائر العلوم. وكان وحيدا في علم العربية والمعقول والتصوف... (23) ويبدو لنا من خلال هذا النص أن القاضي محمد بن الحسن بن عرضون كان يقوم بتدريس كثير من المواد بالمسجد الأعظم بشفشاون وكان يخصص يومي الخميس والجمعة لتدريس حكم ابن عطاء الله الاسكندري. والحقيقة هي أن كلا من أحمد ابن عرضون (ت 992) وأخيه محمد (ت 1012) كانا يقومان بعملية التدريس بشفشاون. ويثبت الشريف العلمي «أن أبناء عرضون تصدوا للتدريس في المدينة الراشدية زمناء (24).

العلماء الزوار :

وكما عرفت المدينة فقهاء ومدرسين قارين كذلك عددا من العلماء الزوار والذين كانوا يتخذون من شفشاون محطة استجمام واستراحة قد تطول لبضعة أيام بل وربما لبضعة أسابيع وذلك في طريقهم لزيارة ضريح القطب الشيخ عبد السلام ابن مشيش. ويبدوا أن زيارة ضريح الشيخ ابن مشيش (25) ـ وخاصة في القرن الثامن والتاسع والعاشر ـ أصبحت عند أكثر العلماء من القربات التي يتقربون بها إلى الله تعالى. ويسعون في تحقيقها كلما أمكنهم ذلك. إلى درجة «أن العلامة السيد محمد بن سودة زار ضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش سبعين مرة (26)» أي بمعدل مرتين في السنة طيلة خمس وثلاثين سنة.

وكان معظم الزائرين من فاس والقبائل المجاورة لها. يمرون من شفشاون. وكان بعضهم يعقد حلقات للدروس بمساجد المدينة أو في بعض زواياها. واستمر ذلك إلى ما بعد القرن العاشر حيث نجد شيوخ الزاوية الناصرية مثلا يواظبون على هذه الزيارة

18) النبوغ المغربي ج : 1 ص : 173 ط تطوان.

19) انظر المرآة ص : 165 وما بعدها ط : ج.

20) انظر الصفوة عن : 152 وطبقات الحضيكي حرف الميم وتاريخ تطوان : 3 / 339.

21) نفس المصادر.

22) فتح التأييد ص : 44.

23) نفس المصدر.

24) ملحق حوالة المسجد الأعظم بشفشاون ج : 2 / 176.

25) ضريح ابن مشيش يقع على قمة جبل العلم ويبعد عن شفشاون بنحو 50 كلومتر وعن تطوان بمثل هذه المسافة تقريبا. وهو في قبيلة بني عروس من إقليم تطوان.

26) الروضة المقصودة للسليمان الحوات مخ خ . ع : 251 رقم : 2351. ك.

وعلى النزول بشفشاون الشيء الذي نشأ عنه مصاهرة بينهم وبين الشرفاء العلميين بهذه المدينة (27).

ومن زوار المدينة في منتصف القرن العاشر الهجري الشيخ الإمام علي ابن هارون المطغري، يقول ابن عسكر في الدوحة متحدثا عن زيارة هذا العالم ، «وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، لقيته بشفشاون وسمعته يفتي بجواز المغارسة في الأرض...» (28) ويبدو أن هذا السماع كان أثناء إلقائه لأحد الدروس بهذه المدينة...

ويحدثنا في موضوع آخر من دوحته فيقول متحدثا عن مجالسة علمية مع الشيخ أبي العباس أحمد الحداد ، «جلست معه رحمه الله مرة بشفشاون وصرت أتكلم معه في التصوف وطريق المواهب وكنت كثير الحفظ أقول له قال الشيخ فلان وروي عن الشيخ فلان فقال لي ، إلى متى من قول فلان ورويت عن فلان فما ذا أقول أنا وأنت ؟» (29).

«فماذا أقول أنا وأنت ؟» هذه جملة ينبغي الوقوف عندها قليلا، لأنها تدل على أن بعض العلماء من هذه المنطقة، في ذلك الوقت كان يحاول أن يقوم بتغيير جذري، في منهج التدريس، وأسلوب التعليم. فابن عسكر الذي أخذ يسرد النصوص ليفحم بها محاوره الشيخ أحمد الحداد، وليبرهن له على كثر حفظه ومروياته... نرى هذا الشيخ يواجهه بنقد لاذع، ويقول له ، «ماذا أقول أنا وأنت ؟!» وهو بذلك يفصح عن فكرة بناءة ترفض الجمود، وتحبذ التفتح والتطور، وتحث على التفتح الذهني والعقلي، وتوجب دراسة النصوص دراسة عميقة، ومناقشة أصحابها، وتفحص آرائهم، وتمحيصها، لمعرفة الغث من السمين، والمجين من الأصيل، والزائف من الصحيح..

ومما لاشك فيه أن دراسة النصوص بعقلية متفتحة ومتبصرة كان من شأنه - لو اتبع - أن يفتح آفاقا جديدة في عالم الفكر ومناهج العلم.

والنص الذي أورده ابن عسكر بكامل العفوية، يدل على أن محاولة إصلاح مناهج التعليم وأساليب التدريس كانت تراود بعض علمائنا في عصر نسميه ، (عصر الجمود) ومعنى ذلك أن محاولة إصلاح مناهج التعليم كانت دائما وأبدا تعيش في أذهان بعض المفكرين، وكانوا يفصحون عن ذلك عندما تتاح لهم الفرص، إلا أن التيار العام كان أقوى من محاولة أولئك الذين كانوا يتوقون إلى الإصلاح، ويودون التغيير والتطوير.

وبمثل هذه المحاورات كان العلماء الزوار يساهمون في تنشيط الحركة الفكرية بالمدينة، واستمر ذلك إلى ما بعد القرن السادس عشر الميلادي، حسبما يستفاد من قصيدة العلامة المحقق السيد الحسن اليوسي التي وصف بها طبيعة هذه المدينة، وأشاد بأهلها، وبالجو الثقافي، والأخوي، الذي كان يغمره فيها، ومن هذه القصيدة قوله ،

وأحبة كانوا لنا — كالراح بالماء التأم
لم يعد بين بيننا — ولو الفراق بنا ألم
البين بين جسومنا — لا بين أنفسنا يحم
والنفس أرض قد سرى — منها المعين ذو الكرم
والدين روض قد رعى — من العقبى رعم
العلم ورد ماحلا — إلا لمن نزع الحلم

ومطلع هذه القصيدة هو قول الإمام اليوس رحمه الله ،

شفشاون مأوى الشمم — والمجد عن طول الأعم
بلد بحسبك منظر — منه ومخبره أتم

27) ثمرة أنسي لسليمان الحوات، مخ، خ، ع، ر ، 1264 ك.

28) الدوحة ، 40 ط ، حجرية.

29) نفس المصدر ص ، 18 والشيخ أحمد الحداد هو من بني فلواط بالأخماس العليا على بعد نحو 45 كيلومتر من شفشاون.

وهي قصيدة في نحو أربعين بيتا (30).

وعن مثل هذه الزيارات حدثنا أبو الربيع سليمان الحوات قائلا :

«وممن كان يتعهد شفشاون بالزيارة، مقتفيا في ذلك بعمل والده، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر، زارها في السنة التي بايع فيها أمير المؤمنين مولاي محمد بن عبد الله، فمر على ضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وحط بشفشاون، محط أسلافه وأشياخه، ونزل بزاوية جده الشيخ العلامة سيدي محمد بن ناصر، وكان برفقته في هذه الزيارة العلامة الشيخ أحمد بن عبد الله الرباطي، والعلامة الشيخ أحمد بن العربي المراكشي... وغيرهما...» (31)

هذا ومن المعلوم أن أبا عبد الله محمد الحوات القاضي الشريف العلمي الشفشاوني والد أبي الربيع سليمان الحوات كان من شيوخ العلامة سيدي أحمد بن ناصر (32) ويذكر سليمان الحوات علاقة النسب والمصاهرة التي كانت تربط بين الأسرتين الناصرية بدرعة والعلمية بشفشاون.

ونستخلص من كل هذا أن شفشاون بالإضافة إلى من كان بها من المدرسين والفقهاء كانت تحظى بزيارة جهابذة العلماء ، وفطاحل الفقهاء والأدباء...

ولا شك أن مثل هذا الجو الثقافي كان يجعلها مقصد طلاب العلم والمعرفة، وخاصة من ضواحيها والأقاليم المجاورة لها...

ومن الزيارات التي احتفظت بها الوثائق زيارة أحد العلماء الأتراك الذين كانوا يقيمون ببغداد، وهذه الزيارة تحدث عنها الشيخ القاضي أبو العباس أحمد ابن عرضون في كتابه حدائق الأنوار في سياق حديثه عن الأسانيد التي أخذها عن بعض المشايخ العلماء قائلا : «تلقيت سندا عن عالم قدم من المشرق يسمى محمد المهدي ينتسب لعبد القادر الجيلاني في طريقته، قدم من بغداد لزيارة أولياء المغرب فجاء من الجزائر في سفينة وخرج بثغر تطوان، واجتاز علينا بشفشاون فلقيته يوم الأربعاء ثاني المحرم فاتح عام (988 هـ ـ 1580) ورأيت عليه سمتا حسنا وظهر لي من البركة في المجلس ما أجب أن أطلب منه سند المصافحة فصافحته فقال لي أتحب سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني ؟ فقلت نعم، فناولني يده المباركة وصافحني، ودعا لي بدعاء لم أفهمه للعجمة التي غلبت عليه، وسألت عنه خديمه فأجابني بأنه لا يعرف إلا اللسان التركي (33).

وهذا النص له أهمية تاريخية زيادة على أنه يؤكد أن شفشاون كانت مزار العلماء والفضلاء ... وعلى الجملة قد ازدهرت الحياة الفكرية بشفشاون خلال القرن السادس عشر الميلادي وما بعده وساهمت في هذا الازدهار العوامل التي أشرنا إليها من قبل.

ذ. عبد القادر العافية

---

30) ديوان الحسن اليوسي ص : 6 ملزمة : 14 ط : حجرية بفاس.

31) أبو الربيع سليمان الحوات (ثمرة انسي في التعريف بنفسي).

32) هو ابن الإمام سيدي احمد بن ناصر توفي ودفن بشفشاون سنة 1156 هـ.

33) (حدائق الأنوار...) لأحمد بن عرضون، مخ . خ. م. رقم 942 غير مرقم.

الجرح ينزف.. يالبنان

للأستاذ علال الخياري

لبنـان ما يبكيـك ... يالبنـــان ؟ اليـوم ... أيـن الحـب والإنسـان ؟
في عصرنا عصر التقدم، لـم تعـد للحـق أيـة حرمـة فتصـــان
آه ... تحجـرت العواطـف، واغتدى هـذا الوجـود يسوده العـــدوان

٥ «» ٥

ياجنـة الشرق التـي بجمالهـا تـاه الهـوى، والفـن والفنــان
الأرز، والانسـام تـأرج بالشـذى والمنظـر، الزاهـي الـرؤى، الفتان
دنيـا تـروق، وعالـم متمــوج ، شطآنـه ، والمنتـدى، والحــان
تلك المغاني الخضر ... يغشى ظلهـا عصـف الـردى، والنـار، والطغيـان
من بعد ماوشى الربيع برودهـا تذوى الغصـون، وتهصـر الأغصـان
تصلى ذراها القادفـات بنارهـا فـإذا الربـوع حرائـق ودخـان
(نيرون) لم يشهد مجازر مثلهـا أو يـرو مشهدهـا الأليـم زمـان
إنسان هذا العصر ان هو لم يـدن اجـرام صهيـون، فسـوف يـدان
لولا سنا الإسلام يشرق في غـد فيعـود هـذا الكـون وهـو أمـان
لثنيت عطفي عن حضـارة عالـم لـم يبـق فيـه للحقـوق مكـان

٥ «» ٥

حسبوك ريش حمامة، وتصوروا   ان الهجوم سياحة ورهان

وإذا بهم يسقون من كأس الردى   جرعا، وربح هجومهم خسران

مثلت أدوار البطولة، وانحنى   لصمودك الأبطال والشجعان

وصمدت وحدك ... يفتديك أماجد   داموا على عهد الوفاء وصانوا

وهبوا الحياة إلى البلاد، وحيثما   كان الذي تهوى العروبة كانوا

ان الشجاعة ان تكون مكافحا   حتى يزول الظلم والطغيان

الحق لا يعطى، ودون بلوغه   عزم، ورأي نافذ، وطعان

للحق يوم تفرح الدنيا به   مهما يطل للظالمين زمان

حكمت ياصهيون شرع الغاب في   وطن تصافت حوله الأديان

لم تجفل الأسد الغضاب عن الثرى   إلا ولم تغمض لها أجفان

سنعود كالفجر السني شعاعه   ولكل ثأر فرصة وأوان

ولو ان موقفنا توحد في الوغى   ما هان يوما للعروبة شأن

تأبى العروبة أن يهاض جناحنا   لا الرأي رأي، لا البيان بيان

نهواك ياركن العروبة شامخا   ركنا ... بناه الصدق والإيمان

تبت يد ... لم تزرع الحب الذي   تنمو له في أرضنا أغصان

تفنى شعارات تفرق بيننا   ويدوم فينا الحب والوجدان

هذى رسالتنا ... ليصبح في غد   يتصافح الإنسان والإنسان

علال الخيارى

الطب الأندلسي
بين هفوة الإهمال وعفوة النسيان

- 2 -

للدكتور عبد الله العمراني

حين احتفل المغرب - منذ سنوات - بذكرى الشاعر الباكستاني محمد إقبال، اهتبلت الفرصة فدعوت إلى تقرير مادة الأدب الإسلامي في مناهج دراساتنا الأدبية العليا. وقد لاحظ بعض الباحثين - مؤخرا - قصور دراساتنا الأندلسية، وتقصير الجامعات العربية أو عجزها عن أن تخصص لتلك الدراسات كراسي خاصة بها، تعنى بكيان الأندلس، وحياة أهلها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، والثقافية، وتهتم بتراثهم ومآثرهم العلمية والأدبية إجمالا، وبأسباب نهوضهم ونبوغهم، وعلل انحلالهم وغيابهم عن مسرح الحياة... إلى غير ذلك مما أسهمت به تلك الأمة في مضمار الحضارة البشرية. وهو إسهام يقف المرء أمامه حائرا، عاجزا عن أن يحيط علما بجميع جوانبه، مهما سما به طموحه، أو علا في سماء البلاغة نجمه، أو رسخت في مجال البحث قدمه.

وللتأكد من مدى اهتمام المملكة الإسبانية بالموضوع، فهي مثلنا معنية بالأمر، خطر لي أن أسأل من تخرجوا في كلياتها الطبية ، هل سبق لهم أن درسوا الطب الإسلامي، ولو ضمن مادة تهتم بتاريخ الطب عامة ؟؟ فكانت إجابات من سألت، لا كافية ولا شافية، إن لم تكن سلبا على الإطلاق.

لهذه الإعتبارات كلها، رأيت أن ألقي بصيصا من نور، على هذا الجانب الحيوي من حياة الأمة الأندلسية، فأنشر سلسلة مقالات عن موضوع الطب الأندلسي الذي طالما عاني من غفوة النسيان، وهفوة الإهمال، في هذا الجزء من الوطن العربي أو ذاك.

بداية الطب الأندلسي

كيف بدأ الطب العربي بالأندلس ؟ وكيف تطور ؟ وهل كانت صناعة الطب - بوجه عام - توقيفية ألهمها الله عباده ؟ أم هل كانت وضعية تواضع الناس عليها تلقائيا، وبمقتضى الضرورات الملحة، فأعملوا عقولهم، وأجروا تجاربهم، ومارسوا طريقة المحاولة والخطأ، فتوافر لديهم - آخر المطاف - شيء من لا شيء، وتوفروا - في نهاية الأمر - على علم قائم بذاته، له خصائصه وقواعده وأصوله ؟ ؟

من الصعب تتبع هذه الأسئلة، والإجابة عنها في هذه العجالة بكل دقة، إنما يكفي أن أشير إلى أن الدلائل تدل على أن الطب، إنما هو وليد الوحي والإلهام من جهة، وثمرة التجربة والمعاناة من جهة ثانية. يقول العلامة أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة (ت 668 هـ - 1269م) في كتابه القيم (عيون الأنباء، في طبقات الأطباء) ما يلي :

«وبالجملة، فإنه (أى الطب) قد يكون من هذا (يعنى الإلهام) ومما وقع بالتجربة، والإتفاق، والمصادفة، أكثر ما حصلوه من هذه الصناعة. ثم تكاثر ذلك بينهم، وعضده القياس بحسب ما شاهدوه، وأدتهم إليه فطرهم، فاجتمع لهم من جميع ذلك... أشياء كثيرة. ثم إنهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عللها، والمناسبات التي بينها، فتحصل لهم من جميع ذلك، قوانين كلية، ومبادىء عامة..»

ثم يعقب ابن أبي أصيبعة بملاحظة جديرة بالإعجاب، حين يقول :

«أنه ليس يلزم أن يكون هذا مختصا بموضع دون موضع، ولا يفرد به قوم دون آخرين، إلا بحسب الأكثر والأقل، وبحسب تنوع المداواة، ولهذا، فإن كل قوم هم مصطلحون على أدوية يألفونها ويتداوون بها...».

ثم يضيف قائــلا :

«يمكن أن تكون صناعة الطب في أمة، أو في بقعة من الأرض، فتندثر وتبيد بأسباب سماوية أو أرضيـــة كالطواعين المفنية، والقحوط المجلية، والحروب المبيدة، والملوك المتغلبة، والسير المخالفة، فإذا انقرضت في أمة، ونشأت في أمة أخرى، وتطاول الزمان عليها، نسي ما تقدم، وصارت الصناعة تنسب إلى الأمة الثانية دون الأولى...»

طبقا لهذا المقياس السليم، كان للطب الأندلســـي ملامحه الخاصة، وشخصيته المميزة، وتبعا لهذا المقياس المنطقي المعقول، أردت الإسهام بهذا الموضوع الدقيق علني أستطيع - عبر ضباب القرون المتطاولة - توضيح تلكم الملامح، وإبراز تلكم الشخصية، على قدر ما أتيح لي من فهم وإدراك، أو ما توافر لي من مراجع عربية وغير عربية.

نعود إلى التساؤل : كيف بدأ الطب الأندلسي ؟ ونجيب فنقول : إنه لم يبدأ من نقطة الصفر. بل وجد أمامه نواة أو عدة نوى، بنى عليها، ونماها على مر الزمان. إن الطب قديم قدم البشر على وجه البسيطة. فالإنسان البدائي حتى في مرحلة الصيد وجمع الثمار، وفي أدنى مراحل حضارته - عرف كيف يداوى الجروح، ويجبر الكسور، ويرد التخلعات. من المجازفة القول بأن الشعب الفلاني، أو البلد الفلاني هو أبو عذرة الطب، أو ابن بجدته. بل الراى الأسد، القول بأن الطب ثمرة تعاون الشعوب قاطبة، قاصيه ودانيها، قديمها وحديثها. يقول أحد علماء الإسبان المعاصرين، ما ترجمته :

«يعتبر الطب الأندلسي مزيجا من الكيمياء القبطية، ومن بقايا الثقافة الإفريقية - الرومانية، ومن الثقافة القوطية الغربية». وفي مكان آخر من كتابه القيم عن الطب الأندلسي يقول :

«إن أطباء شبه الجزيرة (يعنى الايبيرية) خلال قرن الترجمات (يعنى الثالث الهجرى والتاسع الميلادى) كانوا يعتمدون أكثر اعتماد، على دروس الطبيب المسيحى تياذوق (1)، الرئيس الروحى لمدرسة ظلت تغذى الطب الخليفى - نسبة إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس - خلال أعوام عديدة».

والحق أن الطب الأندلسي ثمرة ذلك كله، إلى جانب الطب النبوى الذى حوته صدور بعض الصحابة والتابعين، وإلى جانب المعارف الطبية العربية - المغربية التي حذقها بعض الفاتحين. حقيقة أننا - الآن - لا نتوفر على قائمة أو كشف بأسماء الأطباء الطبيعيين ، Physicion الذين رافقوا الحملة، ولا على مراجع طبية أو تاريخية تكشف لنا عن طبيعة العلاج ونوعه، ولكن، مما لا ريب فيه، أن الحملة التي قادها البطلان ، طارق بن زياد الليثى، وموسى بن نصير، لم تكن لتخلو من رجال نابهين في فن المعالجة، يتولون التخفيف من آلام الجرحى، ويسعون في شفائهم بمختلف الوسائل. كما لم تخل من أبطال ضحوا بأرواحهم في ساحات الوغى، وجاهدوا في الله حق جهاده.

---

1) طبيب رومي نال الحظوة لدى الحجاج بن يوسف الثقفي، الوالي من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان يعالجه، ويثق به، مات هذا الطبيب بمدينة واسط، بعد ما أسن وكبر، وذلك سنة 90 هـ (709م). أما الحجاج نفسه، فمات بعده سنة 94 هـ (713م).

من خلال مراجع نتوفر عليها الآن نجد قوائم بأسماء الأطباء الذين زاولوا مهنتهم الطبية في بيئات وعصور مختلفة، حتى عصر الجاهلية وصدر الإسلام. فمن ذلك مثلا الحارث بن كلدة، وابنه النضر (ابن خالة الرسول «ص» وعدوه اللدود في الوقت ذاته)، ثم ابن أبى رمثة التميمي، وعبد الملك بن أبجر الكناني، الذى مارس تدريس الطب بمدينة الأسكندرية قبل الفتح الإسلامى لمصر، وقد تم إسلامه فيما بعد على يد والي مصر آنئذ الأمير عبد العزيز بن مروان. ثم الطبيبة زينب الأودية التي قال في حقها الشاعر أبو سماك الأسدى مستفهما على طريقة الإنكار :

أمخترمى ريب المنون ولم أزر
طبيب بنى أود ـ على النأى ـ زينبا ؟

ويبدو أن الشاعر زار هذه الطبية فيما بعد، وشفته من مرضه، كما عالجت ابن أخيه من بعده، وشفته من مرض ألم بعينيه. تذكر المراجع أن المريض ـ وهو ممدد على فراش العلاج، استشهد بهذا البيت من الشعر، فقالت له الطبيبة المعالجة : إننى أنا المعنية بهذا البيت، وعمك هو قائله !

لا شك أن سائر البلدان العربية والإسلامية ـ ومن ضمنها الأندلس ـ كانت تحتضن مثل هؤلاء الأطباء الرواد الذين مارسوا التطبيب بنجاح، وحذقوا حتى بعض لغات العجم من فارسية وإغريقية ولاتينية وسنسكريتية وسريانية، ونقلوا منها ـ فيما بعد ـ إلى العربية.

مهما يكن من أمر، فالمعلومات الطفيفة المتوافرة لدينا عن مزاولة الطب بالأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) لا تسمح لنا بإعطاء صورة كاملة ونهائية عن الطب العربي بالأندلس. ولكننا نستطيع القول بأن عرب الأندلس لم يكونوا منزوين أو معزولين في شبه جزيرتهم، بل كانوا يعيشون عصرهم، كما كانوا على اتصال وثيق بمعاصريهم، وكانوا موقنين بأن العلم لا يعترف بحدود أو قيود من أى نوع كانت. والدليل أن أى كتاب طبى يؤلف أو يترجم في الشرق، يكون له صدى في الغرب، والعكس صحيح.

ألف الطبيب أبو بكر محمد بن زكرياء الرازى (ت 313 هـ/925 م) كتابه (الحاوى)، فاعتبر معلمة طبية، وجهت الطب الأندلسي، وجهة علمية، لم يحد عنها بتاتا، وكذلك ألف الطبيب على بن العباس الاهوازى (ت 944/333) كتابه «الملكى» (2) فكان له صدى في الأندلس حميد. ويعتبر هذا الكتاب، قاموس طب وصيدلة، بل موسوعة تناولت معلومات العصر في سعة واسهاب، لم يتمكن حتى الإغريق من التوصل إلى محاولتهما أو ادعائهما على حد تعبير بعض العلماء الغربيين.

ليس معنى هذا الكلام، ان أطباء الأندلس كانوا مجرد إمعات مقلدين، بل كانوا على اطلاع واسع بكل ما يجرى ويجد في ميدان الطب، وكانت لهم شخصيتهم العلمية، وكانت لهم أفكارهم ونظرياتهم وتجاربهم وكتبهم التى كانت تعبر الحدود إلى الشمال تارة، فيكب الأوروبيون على دراستها، مترجمة إلى لغتهم العلمية (اللاتينية)، وإلى الشرق تارة أخرى، حيث كانوا يرحلون هم أنفسهم فيستفيدون ويفيدون..

(يتبع) **د. ع. العمراني**

---

2) يبدو أن الأمر اختلط على مؤلف «تاريخ التمدن الإسلامي» فحسب كتابي «الملكي» و«الملوكي» كتابا واحدا مؤلفه الرازي، بينما الحقيقة غير ذلك، إذ ان الكتاب (الملكي) هو من تأليف الأهوازي، والكتاب (الملوكي) هو وحده من تأليف الرازي، فقد ألفه ـ كما يقول ابن أبي أصيبعة ـ إلى الأمير علي، ابن صاحب طبرستان.

الفكر بين التحرر والإلحاد

للأستاذ محمد قشتيليو

يعز علينا أن نرى شبابا تائها وهو ينتمي إلى طبقة المتعلمين، انه الشباب الذي يتعلم فيصاب بالبلبلة في عقله فيصير يخبط خبط عشواء ويدعى أن فكره متحرر فأول شيء يخوض فيه ويشغل باله به هو الجدال في النظريات الإلحادية أو ما شابهما لأنه متحرر الفكر بدلا من أن يخوض ويجادل في العلم والمعرفة واستخلاص النظريات فيهما. تراه يهاجم الدين ويدحض في الإيمان بالله ويعد هذا من حرية الفكر، صحيح إن الموجة التي دهمتنا من أوربا غير أن أوربا بدأت تولي ظهرها الآن للإلحاد وأصبحت تبحث عن طريق الخلاص. أفلا يأخذ شبابنا منها تجربة وعبرة ؟ فيأخذ الأصلح ويدع مالا يجدي فيختصر الطريق ويريح النفس اننا نرى بعض أقطار أوربا قد ملت النظريات الفاسدة فأصبحت تبحث عن طريق الخلاص فوجدته في الإيمان بالله. وها نحن نرى أوربا المسيحية تبحث عن الخلاص وعن راحة النفس بعد ما فقدته في الكنيسة التي شوهت ما جاء به المسيح من تعاليم فوجدت في الإسلام البساطة وراحة الضمير فصارت تدخل فيه أفواجا في أرض كان مضرب الأمثال في التعصب المسيحي والتي كانت دائما مهدا للتألب على الإسلام وتهييء بعثات صليبية بالسيف والقلم لمحاربته إنها شبه جزيرة ايبريا الذي يزداد دخول أبنائها في الإسلام يوم عن يوم ففي ظرف سنة من 27 مسلم إلى 120 وبعد سنتين ارتفع العدد إلى خمسمائة مسلم في اسبانيا فقط. أما في البرتغال فهي سائرة في نفس الطريق ـ وما زلت أتذكر ما كتبته صحيفة برتغالية وهي السيدة ماريا اميليا أسلمت وأصبح لها دور فعال ونشاط مرموق داخل الجماعة الإسلامية بلشبونة فلها ثقافة عليا واطلاع واسع على العموم وسياسة البلاد الإسلامية على الخصوص فهي تحرر المقالات في الصحف وتحاضر في الأندية والمراكز الثقافية وكل هذا في نطاق النشاط الإسلامي والدعاية لدين الله. فقد كتبت من جملة ماكتبت عن المرأة في الإسلام في مجلة الإسلام عدد 9 لشهر فبراير سنة 1977 تحت عنوان :

«هل حضرتك تريدين الزواج من أمير عربي مليونير ؟ بينت فيه مايرتكبه بعض أغنياء المسلمين من أخطاء في حق المرأة مبرزة لبني جنسها ان ذلك لاعلاقة له بالدين الإسلامي وأوضحت ذلك بالحجج والبراهين من الآيات والأحاديث إلى غير ذلك. كما كتب أيضا صحفي آخر برتغالي مسلم يدعى انطونيو كارفايو يرد على مقال نشرته بعض الصحف حول الحرب في لبنان مدعية انها حرب دينية بين المسلمين والمسيحيين ضحد فيه مازعم هؤلاء ورد عليهم مدافعا عن الإسلام ويكذب دعاية المغرضين إلى غير ذلك. كما أنني مازلت أتذكر يوم صلاة

عيد الأضحى بقرطبة وكنت بقرطبة وكانت بعض نساء اسبانيات مسلمات قد حضرت معهن بعض أقاربهن وأصدقائهن غير مسلمات فكن يبشرهن بالدين فقالت إحداهن ، كيف ادخل في الإسلام لأصير تحت نعال الخميني فأجابتها إحداهن ، ليس ما يفعله الخميني هو كل ما أمر به الإسلام، ثم أضافت «نحن دخلنا في الإسلام عن اقتناع بعدما أطلعنا وعلمنا أسس الإسلام من منبعه وهو الكتاب والسنة لاما يقوله الخميني وأمثاله» .

أما أبناء الغرب الآخرين كفرنسا وانكلترا وأمريكا فقد سبقوا هؤلاء. وأتذكر أيضا في صلاة العيد بقرطبة كانت تضم أفرادا من جنسيات مختلفة من فرنسيين وانكليز وبرازيليين نساء ورجالا انهم أبناء الغرب الذين أخذ عنهم شبابنا إيديولوجياتهم. أنهم أيها الشباب درسوا وتدبروا فاهتدوا إلى الحقيقة التي أنتم تنزلقون عنها فإذا كنتم قد أخذتم عنهم تلك الأفكار الهدامة فهم قد تركوها عندما أدركوا عدم جذواها فلم لاتقلدوهم الآن كما قلدتموهم قبل. فلم لاتبقون أنتم على ماكنتم عليه وكان عليه أباؤكم وأجدادكم فتصيرون بحق أساتذتهم ومريديهم.

ان ما يصدر عن هؤلاء الشباب ربما عائد إلى عدم دراستهم واطلاعهم على أسس الدين وقواعده في دراستهم الأولية أو انهم أخذوا قسطا ضيئلا فقد انقطع عنهم في مرحلة من مراحل دراستهم فتعمقوا أكثر في النظريات الغربية دون أن يكون بجانبها أو مايضاهيها من العلوم الدينية الإسلامية فبقي الفراغ في هذا الباب الذي أدى إلى ما رأيناه. انهم يدعون التجديد في تصرفاتهم قلما يقال عنها انها تصرفات الحادية. يقول محمد أسد (نمساوي أسلم) في كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» ، ان تقليد المسلمين - سواء كان فرديا أم إجماعيا - لطريقة الحياة الغربية لهو بلا ريب أعظم الأخطارالتي تستهدف لها الحضارة الإسلامية ذلك المرض (ومن الصعب أن نسميه بغير هذا الإسم) يرجع إلى ما قبل بضعة عقود ويتصل بقنوط المسلمين الذين رأوا القوة المادية والتقدم في الغرب ثم وازنوا بينهما وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم الخاصة، ولقد كان من جهل المسلمين لتعاليم الإسلام وذلك راجع في الأكثرية إلى ضيق ناحية التفكير في أولئك الذين نسميهم الفقهاء . ثم يقول ، بدلا من أن يروا موقف الإسلام الحقيقي كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية اكتفوا من ذلك كله بأن رأوا أن تعاليم فقهائهم المعاصرين كان سدا منيعا في وجه الرقي ووجه التقدم المادي، ثم انهم بدلا من أن يولوا أبصراهم نحو المصادر الأصلية في الإسلام اعتبروا ضمنا أن الشريعة والفقه المتحجرْ في أيامنا هذه شيء واحد.

ان هؤلاء يدعون التجديد فالمسلمون قبلهم أخذوا بالتجديد ولم يتركوا دينهم. أخدوا علوم الإغريق والفرس والهند والروم وصقلوها حتى صارت ملائمة لهم ولدينهم ولشريعتهم ولم يقولوا انها لاتساير دينهم. ان أصحاب المذاهب والإيديولوجيات الحديثة يستغلون ضعفهم ولكن لا لوم عليهم فإن استغلال الغير لهم كان أساسه ضعف التربية فقد تلقوا تربية معقمة بتربية غربية الحادية مدسوسة. يقول محمد أسد في كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» مادام المسلمون مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على انها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ويدعمون بطريقة غير مباشرة ذلك الزعم الغربي القائل «بأن الإسلام جهد ضائع». ثم يقول أيضا وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين «المتنورين» الذين نشأوا على أسس غربية» ثم يأتينا بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام «كل مولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ثم يقول ان التعبير «أبواه» يمكن منطقيا ان يتناول البيئة العامة التي تتحكم في تطور الطفل. وليس لأحد أن يتردد في الاعتراف - والحالة الحاضرة على ماهي من الانحطاط - بأن الجو الديني في كثير من بيوت المسلمين قد بلغ من التدني والانحلال الفكري حدا أخذ يثير في الأحداث الناشئين عوامل الإغراء الأولى لأن يولوا الدين ظهورهم. وهذا يمكن على التحقيق أن يكون كذلك. اما في حال تعليم ناشئة المسلمين على أسس غربية فإن التأثير سيكون على الأرجح موقفا عدائيا من دينهم».

إذن، حسب قول الأستاذ أسد لانلقي التبعة كلها على مناهج التربية بل حتى على الأسرة فالتلميذ يتلقى في المدرسة تربية غربية محضة وخاصة في مدارس البعثات الأوروبية أو الأمريكية فتلك لا لوم عليها (أي مراكز البعثات) فهي تضع منهاج بلدها الذي تحتله والذي هو فرع منه ولكن الأسرة عليها أن تتعهد أبناءها وتمدهم بعون إضافي يكفل لهم قسطا من ثقافة دينية إسلامية وعربية ولكن مع شديد الأسف نرى الأسرة تهمل هذا الجانب بل تثبت وتساعد مساعدة إيجابية في أفكار فلذات أكبادها كل ما يلقي من آداب وأخلاق في المدرسة الأجنبية وتشاطرها في حلالها وحرامها بل لاتتحدث مع أبنائها داخل البيت إلا بلغة الأجنبي إلا من رحم ربك وهو النادر لاحكم له. يقول أسد أيضا في هذا المعنى : «ان تعليم الأدب الأوربي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريبا في عيون الناشئة المسلمة»

ان ناشئتنا الإسلامية تشبعت بروح حرية التفكير قبل أن يتضح فكرها وأطلقت له العنان وأصبحت لاتتقيد بشيء إطلاقا فصارت تقلد الغرب في كل شيء من حسنات وسيئات على أنه القدوة المثلى. إن الإسلام لم يقيد العقل فقد ذم التقليد الأعمى. يقول المستشرق جيب في كتابه : «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» ، لقد ذم الإسلام التقليد الأعمى. فالإسلام ينبع من العقل ويقع كله تحت الإدراك. أما دعاة التحرر - يضيف جيب - ان الحظ المشجع في كل ذلك بالنسبة لدعاة التحرر في الإسلام هو رفض السلطة الدينية. لكن هذا - يقول - الفصل بين التعاليم العلمانية والدينية هو الذي أدى لهذه النتيجة الخطرة.

ان المسلمين أخذوا في صدر الإسلام علوم غيرهم بما فيها علم الفلسفة الذي أخذوه عن اليونان ولم تؤثر نظرياتهم وأفكارهم في عقيدتهم وما جاء به دينهم. يقول الأستاذ محمود العقاد في كتابه : «ما يقال عن الإسلام» في هذا المعنى... لكن الفلسفة اليونانية لم تزعزع عقيدة المسلم المفكر في «الله» بل استطاع الضمير الإسلامي أن يخرج لتلك الفلسفة اندادا لها من المفكرين على طريقة الإمام الغزالي «برأس فيلسوف وقلب ناسك» فخرج الإيمان بالله وصفاته المتعددة سليما منزه الوحدانية بعيدا من شبهات الفلاسفة وأتباع الزندقة المثنوية». يقول العقاد في كتابه أيضا يروى عن الس هملتون عن المسلم : المسلم هو المسلم في رأس نفسه وليس هو المسلم على صبغة يصبغه بها الأجانب عنه حسبما يتصورونه من شعائره وفرائضه وعاداته ولا يصح أن نفهم أن المسلمين ابتعدوا عن حضيرة الإسلام وهم أنفسهم يشعرون بأنهم مسلمون يغارون على العقيدة ويريدون البقاء في حضيرة هذه العقيدة. ثم يقول : وليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلى عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو «التغرب» باستثناء البلاد التركية. ولكن البلاد التركية أيضا لاتعلن هذه الرغبة اليوم بتلك الثقة التي أعربت عنها منذ عشرين سنة. ثم يضيف قوله : بأن البلاد الإسلامية صدمت في مراحل منها أن البلاد الإسلاميةقد زعزعت من هذه المراحل فيها التقاليد الغابرة ثم انقرضت وخلفتها النظم الغربية المستعارة إلى أن ظهر فشلها فانقضت بانقضاء عهد الأموال الأجنبية. والآن أصبح للشرق ماله من موارده التي يقيم بها مجتمعه. وفي النهاية يقول العقاد نقلا عن هملتون أيضا. اني لا أرى أية علامة في الشرق الأوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية أو قيام دولة ديمقراطية من طراز أية دولة غربية ولابد لكل هيئة من هيآت الحكم في العالم العربي يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين ارضاء الشعور العربي والشعور الإسلامي في وقت واحد، انتهى.

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

صدق الله العظيم

الرباط - **محمد قشتيليو**

الزحف المقدس

للشاعر الأستاذ
المرحوم ابو بكر المريني

●● بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الكاتب والشاعر والصحافي المغربي الأستاذ أبو بكر المريني ننشر قصيدة له بعنوان (الزحف المقدس) وهي مما يناسب الظروف التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية..

لم يعد بعد اليوم خزى وعـار — قد علا فوق القاهر القهـار
قد يئسنا من مجلس الأمن حتـى — نفد الصبر واستحال الحـوار
اننا أضرمنا الجحيم لاسـرا — ئيل يصلاها الجند والاحبـار (1)
وحوار الرصاص كان لزامـا — للتحدى، والثار للدار نـار
ان اسرائل اللقيطة كانـت — أمة التيه مالها استقـرار
لعنة الله قد أحاطت بها حتـى — .. غدت مالها حمـى أو دار
أمة عاشت بالربا وعليه اليـوم — تحيا، يقودها التجـار
غرستها جرثومة في فلسـ — طين يد للصليب، والأقـدار
أخرجت أهل الدار من دراهـم.. — والويل من مخرجين أن هم ثـاروا
ومضت في توسع واحتـلال — لأراضينا، دينها استعمـار
غضب الله حل بالأرض اذعـا — د بنو اسرائيل، والانـذار
غدرت بالصليب غدرا شنيعـا — ولها في دين الهدى أوطـار
كم تحدت، وكم تعدت حـدود — الله والناس حلفها «الـدولار» (2)
زادها الكبرياء كفرا، وطغيـا — نا، ومكرا تهذى بها الأخبـار
ايه اسرائيل التى ركبت متـن — .. غرور، وحار فيها الكبـار
كنت لا تقهرين أو هكذا صـور — ت للناس فاستشاظ الصغـار
كنت أسطورة ووهما وبهتـا — نا صريحا أفتى به الفجـار

---

1) الحرب العربية الإسرائيلية يوم 6 أكتوبر 1973 موافق 10 رمضان 1393.
2) الدولار - كناية عن الولايات المتحدة الأمريكية.

بئس من قد أقامه، وتبنـــــا   ه، وبئس المجير، بئس المجـــــار

قد أتى الله باليهود لفيفـــــا   لمعاد فيها لهم أقبـــــار

أن أرض العروبة اليوم قبـــر   من لظى للطاغين مهما جـــاروا

صدق الله وعده يوم بـــــدر   وأصاب الأنجاس فيه اندحـــار

وأتى شهر الصوم يرفع صوتـــا   لجهاد به ترد الديـــــار

رمضان التحرير الهب فينـــا   رغبة الإستشهاد والناس ثـــاروا

رمضان الشهر الحرام أحـــل   .. الحرب في الكفار الذين أغـاروا

وأعدنا للناس غزوة بـــدر   كان وعد الرحمان فيها انتصـار

وغزوناهم يوم «كيبور» حتـــى   حسبوها قيامة فاستجـــاروا (3)

في أعالي الجولان قصف وبـرق   ولهيب وفتنة وحصـــار (4)

لا ترى إلا الشهب ترقى مـــن الار   ض إلى الجو صيدها الطيـار (5)

ليس تجبو إلا إذا فجرتهـــا   في الأعالى في قنصها أصـــرار

إنها كالصقر المدرب لا يفـــ   ـــلت طيرا مهما يطول المـدار

وترى (الفانتومـات) ان طاردتهـا   الشهب حيرى قد مسها الدوار (6)

وترى «الميراجات» حبلى بمـوت   ليس تنجو مهما يكون الفـــرار

كالفراش المفتون بالنور تســـ   ـــقط صرعى، وقد بكاها المطـار

وبها طيارون ذاقوا الردى فـــي   قيدهم من سلاسل حين طـــاروا

وعبرنا القنال في خفــــة أذ   هلت الدنيا ثم خر الجـدار (7)

ثم دكت قواتنا خط بارليــــ   فهمو وهو من حديد ستـار (8)

وتدفقنا كالسيول إلى سينـــا   ليمحى من الجبين العـــار

خط «بارليف» كان سدا منيعـــا   ملغما قد حفت به الأخطـــار

غير أنا كنا بإيماننا أقـــوى   .. من الخط إذ بدا ينهـــار

هذه دباباتنا تملأ القفر بسينـــا   هل بعدها إنكـــار ؟

دمرت خط المستحيل وقد قيـــل   بأن الدنو منه انتحـــار

---

3) «كيبور» عيد الغفران الإسرائيلي.

4) «الجولان» مرتفعات سورية احتلتها اسرائيل في 5 يونيو 1967 وهي مركز استراتيجي هام.

5) الشهب : صواريخ سام، روسية الصنع.

6) الفانتوم والميراج : طائرات مقاتلة، الأولى أمريكية الصنع والثانية فرنسية. سلاح اسرائيل.

7) القنال : قنال السويس.

8) خط بارليف : تحصين اسرائيلي على الضفة الشرقية للقنال أقامه الجنرال بارليف الإسرائيلي لضمان الحدود الامنة.

ومضت للحصاد في قلب سينـــا ... والمنايا مناجل وشفـــار
وتهاوت كالنمل أجناد أســـرا ... ئيل مسحوقة وبئس القـــرار
لا تراهم إلا أسارى وقتلـــى ... وعليهم مذلة وانكســـار
وقد استسلم الكثيرون في يســر، ... وتفنى الباقين منهم قفـــار
قال ديان، والعجوز التى أحـــدو ... دب ظهر لها وقال العـــزار (9)
كيف تم العبور، والخط ســـد ... وعليه جند غلاظ شــــرار ؟
وأجبنا مهما تكن قوة الظـــا ... لم يفنيها الظلم والأحـــرار
قد عبرنا والله أكبر تهديـــ ... نا إلى النصر لا الخنى والقمـــار
حربنا بالدبابات أفقـــدت .. ... الرشد لاعدائنا فجنوا وحـــاروا
انها أكبر المعارك في التـــا ... ريخ قال الخبير والمستشـــار
يا وحيد العين التى فقئت فـــى ... حربنا الأولى قد علاك اصفرار (10)
ليس من علة ولكن لانـــا ... قد زحفنا وجيشنا جـــرار
وقد انشقت عليك السمـــاء .. ... اليوم حتى صعقت بئس القـرار
وبك الأرض زلزلت ثم حوصـــر ... ت بنار يا أيها المهـــذار
مالك اليوم مهرب من سعيـــر .. ... النقمة الكبرى أيها المعـــوار
قد زحفنا بوحدة من محيـــط ... لخليج وكلنا أنصـــار
قدسنا والأرض السليبة كانـــت ... هدفا للتطهير، والاغـــوار
وتآزرنا في صفوف تراصـــت ... وسخت لا يهمها المليـــار
وبذلنا الأرواح والدم الغـــا ... لى ليحيا الابنا وهم أحـــرار
ثم عززنا جبهتا الحرب بالابـــ ... طال من أقطار لنا كم تغـــار
أيدتنا في الزحف كل الحكومـا ... ت التى عقها اليهود الشـــرار
وشهرنا «البترول» أقوى ســـلاح ... فتداعى كل العدا وانهـــاروا
ثم قلنا أما انسحاب وأمـــا ... القحط في النفط أيها الأشـــرار
وإذا النصر لاح في الأفق بـــرا ... قا بفضل الجهاد صاح الكبـــار (11)
أوقفوا النار أننا نضمن الحـــق ... لكم صرحوا وقال القـــرار (12)
إننا لم نهزم ولكن هزمنـــا ... لقطاء الدنيا وكان الثـــأر

---

9) ديان موشى : وزير الدفاع الإسرائيلي. والعجوز : غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل.

10) وحيد العين : موشى ديان الذى فقد احدى عينيه في حرب 1948.

11 ـ 12) الكبار : أمريكا وروسيا، والقرار المشترك بينهما الذي صدر عن مجلس الأمن يوم 22 أكتوبر 1973 لوقف إطلاق النار.

إن أردتم سلما فنحن دعـــاة ..   السلم لا نرضى غيره فاختـــاروا

أو أردتم «فيتنام» أخرى جعلنـــا   ها ولن نخشى بأسكم فاستشـــاروا

كل تهديد ليس يخوفنا حتـــى   .. ولو أنه الفنا والدمـــار

إننا صامدون في موقف الحـــق   .. إلى أن يزول هذا الشنـــار

وترد الحقوق كاملة مـــن   غير أجحاف أو تعود النـــار

أرضنا والشعب المشرد والقـــد   س وإلا لن يضمن استقـــرار

ما قرارات مجلس الأمـــن إلا   عرضة للخرق الذى كم يثـــار

خرقتها عصابة الغدر في تـــل   .. أبيب ما ردها زجـــار

فاضمنوها بقوة أو فانـــا   برءاء منها ومنا البـــدار

أيها العرب أنكم قوة فـــى   وحدة فاحذروا ولا تنهـــاروا

إنكم أسياد الوغى بعد حـــرب   .. النصر فاستمسكوا ولا تمتـــاروا

واسحبوا من بنوك أعدائنا كـــل   .. الملايير مالكم اختيـــار

انكم إن سحبتموها تروهـــم   في شقاق هدتهم الأضـــرار

بأسهم بينهم شديد وهم شتـــى   .. وإن حيكت منهـــم الأدوار

ثم قولوا للغاصبين ومن حـــا   لفهم أنا ها هنا فتبـــاروا

أن تعودا نعد لها أقويـــا   ء أشداد والحوار النـــار

وعد الله ناصريه بنصـــر   من سوى الله ناصر قهـــار

فانصروا الله أيها العرب يمـــدد   كم بأجناد لن يراها العـــزار (13)

خططوا، وجهوا، وسيروا على نهـج   قويم ولتكتم الأســـرار

أن في فضحها هلاكا وبعـــد ..   النصر فيها هزيمة وخســـار

ولتدم وحدة الصفوف فـــإن ..   الوحدة اليوم قوة وانتصـــار

ولكم في إمامنا الحسن الثانـــى   .. مثال يحتذى فهيا تبـــاروا

ليس يزهو عيد ونحن على حـــا   ل تريد التدعيم يا أحـــرار

إنما العيد يوم ندخل قدســـا   وعلينا مهابة ووقـــار

سلا ـ فاتح شوال 1393

---

13) العزار : رئيس أركان الجيش الإسرائيلي.

قصة قصيرة

زواج البنت (1)

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

يشيع ذكر عن الفتاة بأنها جميلة، أو بأنها جميلة ومهذبة، أو بأنها جميلة ومهذبة ونشيطة (حادگة)... وهذه الأوصاف الثلاثة ـ لو اجتمعت فيها ـ لكانت بغية عزيزة المنال، ولكانت تحفة نادرة، مع أن وصفا واحدا يكفي ليجعلها في ذلك المستوى الرفيع...

وتأتي السيدات الممهدات للخطبة، احداهن مثلا رصينة رزينة وجيهة حسنة المظهر، تعطي إيحاء بأن الخاطب من سلالة كريمة وجيهة مثل هذه المرأة، وان مثل هذه المرأة هي النموذج الذي يريد عاجلا وآجلا... والثانية تمتاز بفضولها الشديد، وبعيونها الفاحصة، وبجرأتها التي لا حد لها. أما الثالثة فلا ميزة لها إلا لسانها الحلو، وذخيرتها من النكات والطرائف والأخبار، لتضفي على الجو شيئا من المرح والانطلاق والذي يكون عدة مشبعا بالتخوف والاحتياط والحذر.

تأتي هؤلاء السيدات في يوم غير مناسب، وفي ساعة غير مناسبة كذلك، وعلى غير موعد، ليقفن على الأحوال داخل البيت كما هي عادة، النظافة، الترتيب، توفر جو الاستقبال وأحواله. تبدأ المرأة الرصينة الحديث، فتتكلم بكلام موزون، وتعلن عن المهمة التي جاءت الزائرات من أجلها، ويحلو لها أن تضفي على الشاب الخاطب من الأوصاف الطيبة، وكذلك على عائلته في مقدمتها الأب والأم، وتجتهد في أن تربط بين العائلتين بخيوط، ولو واهية، لتؤكد أن المقام متقارب ومتساو، ويحلو أن يذكر اسم شخصية معروفة في عائلة الخاطب ليزيد المقام ارتفاعا... وتتدخل السيدة المرحة فتتحدث عن جمال «العريس» وحلاوته، وتطلقها تنهيدة أسفا، على أنه كان في إمكانه أن يزيد أعواما في عمره، وتنقص هي أعواما من عمرها، اذن لاختطفته اختطافا. فمثل «السي...» لا يفلت ... وتعود السيدة الرصينة لتتكلم بوقار عن إمكانات العائلة المادية، بعد أن كان الحديث عن الإمكانات المعنوية وتعدد ما تحت يدهم من أملاك وأرزاق... وبهذا يصل القبول المبدئي.

وتقوم الأم لتشرف بنفسها على إعداد أدوات الشاي، وهنا يأتي دور الفضولية المتجرئة لترفع الحصير أو الزربية عن الأرض، لترى إذا ما كان تحتها من أزبال وأوساخ دلالة على التهاون والتراخي، وتنقلب إلى اللحف والوسائد تحسها تحس الخبيرة، لترى هل هي صوف أم مجرد حشو من الأعشاب أو الحلفاء، وتزيد في جراءتها المتناهية فتفتح الخزانة لترى ماذا هناك، وما هو مستوى الترتيب عند هؤلاء الناس...؟ وأخيرا تمرر أناملها على النوافذ

---

(1) فصل من كتاب «المجتمع المغربي» كما عرفته خلال 50 سنة، الذي صدر حديثا.

والأخشاب وتردها إليها لتقيس مقادير الغبار. فإذا كان كثيرا عرضت مجموع الأنامل المتسخة على المرافقات. فإذا لم تجد رجعت إلى مكانها مبتسة مغتاظة. لكأن عندها ثأرا مع هؤلاء الناس، مع أنها أول زيارة لهم، وأول لقاء !

وتأتي «صينية» الشاي وأدواتها، وتجلس الأم في أبهة، وقد عدلت من لباسها وزينتها، لكأنها رجعت بعمرها بعض السنين إلى الوراء، وتتولى هي نفسها إعداد الشاي، وتنادي على ابنتها «فلانة» المقصودة بالذات لتقوم بتوزيع الكؤوس، لكن هذه المتمنعة لا ترسل إلا أختها الصغيرة، أو الخادمة وتبقى هي في مخبئها، تاركة القلوب من ورائها معلقة والفضول محتدا... ويحضر الشاي ويوزع، ويتكرر النداء ولا مجيبة... وهنا تقوم الأم من مجلسها، وقد تضرج وجهها بالحمرة، لا هي حمرة الخجل ولا هي حمرة الغيظ، وإنما حمرة الابتهاج من أن ابنتها التزمت الرزانة والترفع، وفي غفلة منها تتبعها السيدة المرحة، عن حسن نية، وتشد من يد، وتشد الأم بيدها الأخرى، ولا تتركان للمسكينة منفذا أو مجالا لتستر عينيها المشعتين اللتين تطفران بالدمع من شدة الفرح.

وتقبل الفتاة تلقائيا على السيدة الوجيهة فتسلم عليها، تقبل جبينها وخدها وتنحدر على كفها، ترد الخطابة الوجيهة بقبل حارة على خد الفتاة القاني اعتزازا بها... ومجاملة منها تفعل نفس الشيء مع المرأة الأخرى، ولو أنها تحس ببعض النفور منها، وتعمد هذه أيضا إلى إشباعها تقبيلا، غير أنها تقصد قصدا إلى لثم الفم ثم إلى شمه، كما تشد على الذراعين شدا محكما، وتضمها إلى صدرها ضما عنيفا، وتروح - بعد اجلاسها بينها وبين رئيسة المجموعة - إلى التحدث معها متفحصة جيدا لون البشرة ولون الشعر، وترفع يدها إليه تتلمسه برفق وبغير رفق، منحدرة مع نزوله إلى الأسفل، مرورا بالصدر، قاصدة أن تلمس كل شيء، وتهمس - عن عمد - سائلة الفتاة بصوت خافت، وحين تجيبها تلح عليها أن تنظر إليها لتتمعن جيدا لون العينين بتقويسة الحاجبين وثنيات الأذنين. وكأنما هي على موعد مع صاحبة النكتة، إذ سرعان ما تبتسم الفتاة، وتنفرج شفتاها عن الأسنان واللثة، وحبذا لو قهقهت لتتفرج المرأة على داخل الفم ودوران اللسان فيه. تبقى مسألة القوام، وهذه تحل بمجرد قيام الزائرات إذ تبادر الفتاة المخطوبة وتقوم في رصانة - طبيعية أو مصطنعة - إلى رفع أدوات الشاي أولا، ولكي لا تتعثر ترفع أطراف ثوبها فتظهر الساقان غضتين مترقرقتين شبابا، وهنا تتبادل مجموعة الزائرات نظرات عامرة بالمعاني، ويتركن تحيات حارة ورجاء قويا في ألا يخيب الله الرجاء.

وبالعودة إلى المنزل يجد وفد الخطبة التمهيدية جمعا كاملا في انتظاره، وتطلقها السيدة المرحة زغردة مبشرة عند الدخول، فتسري البشرى والفرحة عند الجميع، خصوصا عند الشاب الذي يعنيه الأمر أولا وبالذات... وتنبري (الفضولية) فتثني على الفتاة بما هي أهل له وأكثر، وتغمز للفتى الجالس وتأخذ في سرد المحاسن الجسدية... وليتها ما فعلت ! أما السيدة الوجيهة، رئيسة وفد الخطبة التمهيدية فينحبس لسانها أمام طلاقة ألسنة الأخريات، ولا تزيد على أن تكرر كلمات معدودة، ولكنها عامرة :

الله يكمل بخير، نعم الناس، نعم الناس !

في هذا الوقت، أو قبله أو بعده، يكون والد العريس يجري اتصالات مع بعض المعارف، منهم الجيران، الجيران الذين هم في الأول والطليعة، وبعض أصدقاء المهنة لوالد العروسة، وبعض من لهم صلة قريبة أو بعيدة برب الأسرة المعول على المصاهرة معها، وذلك بقصد التحري والاستخبار، ونتيجة ذلك هي التي تفصل في الأمر، ولو زغردت المزغردات ونوهت المنوهات.

ويأتي الليل فيكون (حديث الوسادة) الهامس بين الأم والأب، من حيث تهمس له بكل الملاحظات والأسرار التي خرج بها وفد النساء ... يبقى الشاب، المعني بالأمر، وهو الذي يقضي أول ليلة ساهرة، أو على الأقل جزءا منها يصنع لعروسه صورة في الخيال على ضوء الأوصاف التي جاءت بها النساء وهي دقيقة ومغرية، ويقارن بصورة يعرفها للأب أو الأخ من إخوانها ويبيت يناجي هذا الطيف، طيف الحبيب المجهول، طيلة الليل !

وتقوم اتصالات جادة بين العائلتين. من حيث يتم الاتفاق على قدوم وفد الخطبة الرسمي. الذي يتقدمه الأب طبعا. أو أكبر فرد في العائلة. ويستأنس هذا المقدم برجل له معرفة بالعائلتين ليتم التآنس والتآلف المرغوب فيهما. وتلتئم الجماعة وتسير في وقار إلى مسكن والد العروسة. من حيث يستقبل باحترام غير زائد وبمودة غير مكينة. ويعرض الطلب بعبارات منمقة ولطيفة أثناء شرب الشاي وتناول الحلويات... وهنالك يتم الاتفاق المبدئي... وعندئذ يأخذ الشاب ـ الذي لا يشارك في جمع الخطبة ـ المسألة بجد. لأن الأمر في هذه المرة تم على يد الرجال !

ويعود رسول بين العائلتين. يمتاز بلباقته ليثير مسألة (النقدة) أو (الدفوع) فيعمل على تحديد قيمته وعلى حصر نوع الهدايا المطلوبة. والتي «تهدى» للعروسة أثناء الزفاف... ويكون الإجراء العلني الأول ألا وهو أمسية «الفاتحة» من حيث يتوجه جمع لا يقل عدد الرجال فيه عن إثنى عشر رجلا إلى منزل والد العروسة. ويتم التعارف وتبادل التهاني والتمنيات ثم تقرأ الفاتحة. ويحدد موعد قريب أو بعيد لعقد القران.

وحفلة عقد القران أوسع نطاق. يحضرها كل أقارب العائلتين المتصاهرتين. ويحرك جو السرور فيها جماعة «المسمعين» أو «جوق الطرب الأندلسي» أو «جوق الكريحة» أو غير هذا. وهذا الحفل يجري بمسكن والد العريس. غائبا بطبيعة الحال. إنما يكون منزويا في إحدى الحجرات. ولا يظهر إلا عندما يطلب من طرف عدلين ليؤدي شهادة القبول والرضى . وعندئذ يدخل ويخرج في وقار واتزان تحت الزغاريد الصداحة.

ويأخذ الطرفان في إعداد العدة. التي قد تطول مدتها. ويتسع نطاق الاعداد ويتضخم إذا كانت إحدى العائلتين أغنى من الأخرى قليلا . فالأولى تظهر من غناها ما يجب أن يظهر، ويؤخذ بعين الاعتبار، والأخرى تحذر من أن تظهر دون المستوى... وباعتبار كل هذا يقوم الشاب لإعداد المسكن. ولتزويده بما يلزم من الأثاث والأواني. ويحرص على إعداد الحجرة الرئيسية بالترليج والتزويق بالجبص إن أمكن. ويوصي أحد النجارين المهرة بصنع الخزائن و «النواميس» ... «الطوابل» من خشب العرعر على أن تطعم بخشب الليمون الفاقع وأن يحفر وينقش كل ما هو غير مطعم... وتحت إشراف الوالدة يعد لباس الزفاف قطعة قطعة ، التشمير القطني الناصع، والسروال الأبيض الناصع هو أيضا. واللباس المركب من ثوب «الملف». فإذا كان العريس متعلما خيط له قفطان ذو لون خاطف للأبصار، وخيطت له «فرجية» من ثوب «حياتي» القطني الشفاف. ومن نفس الثوب أعدت له عمامة «رزة» بيضاء بطبيعة الحال. أما إذا كان العريس من غير المتعلمين. أو من الرافضين لبس القفطان والفرجية فإنه يصنع له لباس متركب من (بدعية) و «جباضولي» و «سروال» بمعرفة أحد مهرة الخياطين. كما يوصي الخياط أن يخيط للعريس جلبابا من نسيج «البزيوي» ذي الخطوط الصوفية والحريرية. وذي النسج الرقيق الشفاف.

ويبقى بعد هذا الالتفات إلى (الهدية) أو (الصبحة) التي تقدم للعروسة حسب العادة قبل الزفاف أو في الغد الموالي. وهي تشتمل على لباس كامل من الأثواب البراقة الفاخرة. وقد يصل الأمر إلى تقديم لباسين أو أكثر. على سبيل المبالغة والتباهي. ويصحب ذلك. وفي مقدمة الكل ـ قطع من الحلي والجواهر حسب مقدرة الرجل.

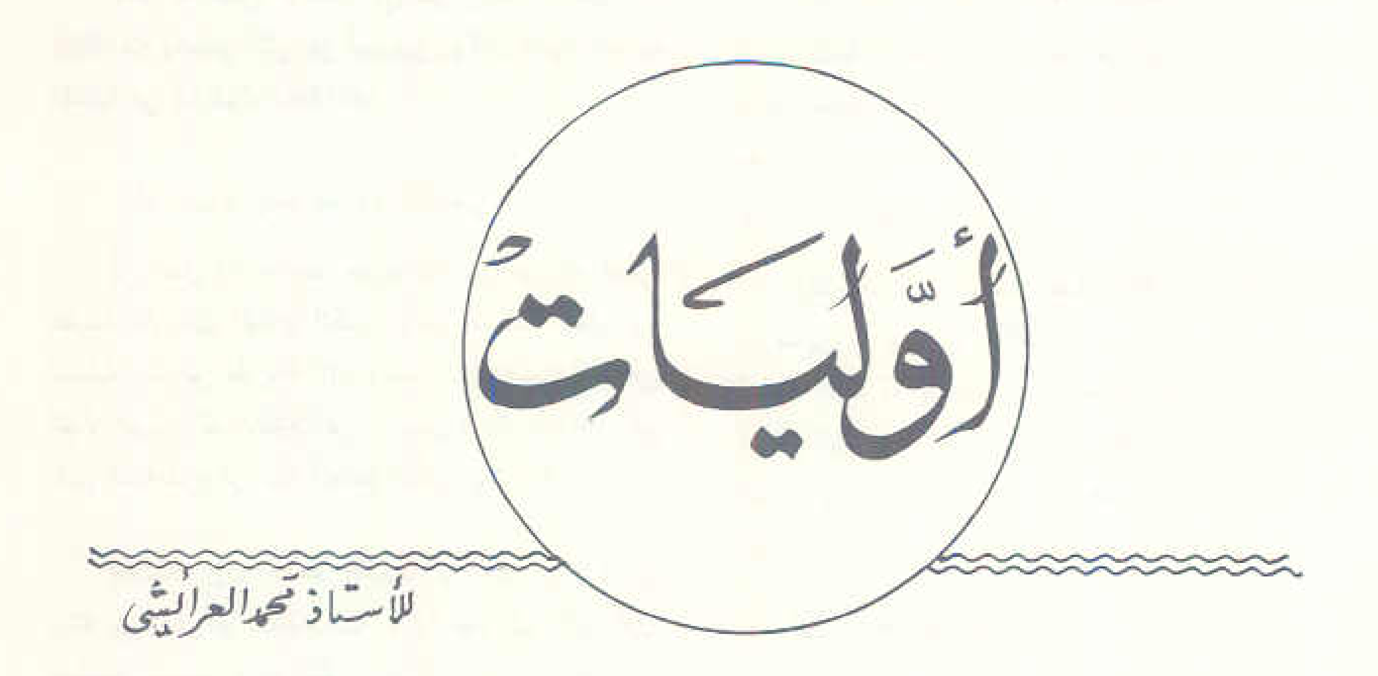
أما الأب الذي يهمه أن يزوج ابنته. أو يخرجها لـ (نور الحياة) حسب التعبير السائر فإن أعباءه ليست أخف من هذا بل لعلها أثقل ، من حيث يعد لها أنواعا كثيرة من الألبسة. تكفيها لعدة سنوات. استغناء عن مطالبة الزوج بإكسائها من فورها. ثم ينصرف بعد وصول النقدة أو الدفوع إلى شراء قناطر من الصوف من حيث تبذل الجهود لغسلها وتجفيفها وحلجها باليد. ثم تحضر الأثواب الغليظة. وتنجد الفرش واللحف حسب المقاييس التي تحمل من بيت العريس في يوم «القياس» ، ذلك القياس الذي يتم على يد بعض النسوة بواسطة خيوط القنب... وتعد ستائر تلك الفرش واللحف مع الستائر المعلقة من ثوب فاخر (المبر) وبه تلف الوسائد أيضا. وكثيرا ما تخاط هذه الستائر على يد خياط هذه الستائر على يد خياطة ماهرة. وقليلا ما يكون ذلك على يد خياط مختص... وكل هذا التجهيز

لا يحمل إلى بيت الزوجية إلا بيوم واحد قبل ليلة الزفاف، ويدعى في بعض الأوساط «يوم تعليق الشوار».

وتؤخذ العروس ثلاث مرات متتاليات إلى الحمام، قبل الليلة الموعودة، من حيث يغسل جسدها وينظف على أحسن حال، وينقى من كل الزوائد... ويعطر بمختلف العطور، وترطب الجوانب التي يكون فيها قليل من الخشونة... وتكون (ليلة الحنة) ليلة زاهرة، توقد فيها الشموع، ويطلق البخور، وفي هذا الوقت تنكب اثنتان من «النكافات» على برقشة الكفين ظهرا وبطنا، وإلى ما فوق الكوعين بالحناء، ثم تبرقش القدمان من الظاهر وحتى الكعبين، أو ما فوق، حتى إذا لبست العروس سروالها الحريري الناعم - في غدها الكبير - تدلت الحواشي المطرزة فوق برقشات الحناء... وتحرص المزينات على أن تبقى العروسة بلا حزام، وبدون أي شيء يضيق عليها، حتى ما يحيط بالطوق، ولو أن العقود و «اللبات» والتيجان والأقراط والمعلقات كثيرة ومتنوعة وثقيلة.

وعندما تقام حفلة (الجلوة) مساء ليلة الزفاف، تكون هناك أفراح وأهازيج وزغاريد وغناء ورقصات حتى قرابة العشاء، وبعد تناول طعام «الكسكس» المعهود في تلك الليلة، يسود فتور، وربما شيئا من الوجوم، لا يعرف بالضبط سببه، وتؤخذ العروس إلى فراش والدتها من حيث تخفف عنها أثقال الحلي والملابس وتأخذ قسطا من الراحة، في انتظار وقت السحر، من حيث تحمل في احتفال إلى بيت زوجها، محمولة على ظهر خادمة، أو داخل «عمارية» أو غير ذلك، والحقيقة أن قليلا من الوجوم يبقى مستمرا، بل تثقل وطأته عند أخذ العروس، ولا يرتفع هذا الانتظار الواجف إلا بعد رجوع (العريفات) صاحبات مزغردات، حاملات لعلامات «الشرف» والصيانة معهن، وهنا فقط تهدأ النفوس، عند الوالدين على الأخص، ويركن الجميع للراحة الشاملة.. وبعد أن وضع المثقلون أوزارهم ، ويكون النوم بعد ذلك هادئا والراحة شاملة.

محمد أحمد اشماعو



الدولة الموحدية :

أول أعمال يوسف بن عبد المومن :

أول عمل قام به أمير المومنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي (1) بعد أن تمت له البيعة، إطلاقه سراح المحبوسين في جميع البلاد، وتوزيعه الأموال على الجنود والقبائل، وجميع مناطق نفوده، وأذنه للمجتمعين للجهاد في العودة إلى بلادهم وقبائلهم.

وهو أول ملوك الموحدين استعدادا للجهاد :

ذكر ابن أبي زرع في القرطاس (2) أن يوسف بن عبد المومن هو أول ملك من ملوك الموحدين، جاز إلى الجهاد فغزا بنفسـه، وواظب عليه، واقتنى الذخائر، واستكثر من الجيوش والجنود، ومهد البلاد، وأطاعه من بالعدوتين من العباد.

أول غزواته للأندلـس :

في 4 رجب (566 هـ) غادر أبو يعقوب يوسف مدينة مراكش في جيش عظيم من الموحدين وأمامه العلم الأبيض، ومصحف عثمان محمول على جمل مرتفع، وعليه قبة صغيرة حمراء، قد وضع في صندوق فخم مرصع بنفائس الجواهر والياقوت والزمرد، وقد أم هذا المصحف مصحف الإمام المهدى ومن وراء ذلك الطبول، قال أبى صاحب الصلاة : (3) كانت أول غزواته إلى جزيرة الأندلس، لإحياء وسمها، وضبط إسمها، ودفاع النصارى الكافرين عن جهاتها، والمنافقين المحاربين من جنباتها.

أول منازل رحلتـه :

كان وادي تنسيفت الواقع على نحو ثلاثة أميال من مراكش هو أول منازل رحلته حيث نزل بإحدى دوره هناك.

1) ولد يوسف يوم الخميس 13 رجب سنة (533) وبويع بعد وفاة والده عبد المومن سنة (558 هـ) وتوفي شهيدا في غزوة (شنترين) من بلاد غرب الأندلس يوم السبت 18 ربيع الثاني سنة (580 هـ) وكان يعرف عند الموحدين بيوسف العسرى لأنه كان أعسر أيسر يعمل بيديه معا.

2) ص 206، ط. دار المنصور بالرباط.

3) ألمن بالإمامة ص 438، تحقيق د. عبد الهادى التازى.

وقد بدأ عبوره للأندلس في شهر رمضان المعظم سنة (566 هـ) واستمر أكثر من أسبوعين. وكان دخوله لمدينة اشبيلية في 12 شوال (566) (4).

أول اعماله عند جوازه للأندلس :

أول عمل قام به عند جوازه للأندلس هو بناء قنطرة عظيمة على نهر الوادي الكبير (وادى اشبيلية) تصل بين اشبيلية وطريق طريانة (5) وتيسر سبل المواصلات في اتجاه الغرب. ثم إنشاؤها في 7 صفر (567 هـ) (6) وفي نفس السنة شرع في بناء الجامع المكرم باشبيلية.

وكانت أول جمعة أقيمت به بعد أن فرغ من بنائه في 24 ذي الحجة سنة (577 هـ) كما كان **أول خطيب** للجمعة به هو الفقيه أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن غافر اللبلي الاشبيلي المتوفي قبل الثمانين وخمسمائة (7).

أول جيش مر على القنطرة :

بعد اجتياز أبي يعقوب يوسف للأندلس. اجتمع مع إخوانه الموحدين للبحث فيما يجب عمله لحماية الأندلس ورد العدوان عنها. فتقرر أن ترسل بعثة هامة من الموحدين تحمل الميرة والعتاد والمرافق اللازمة لمدينة بطليوس (8) فخرجت في 18 صفر (567 هـ) حاملة على أربعة آلاف بغل ما يلزم من قوت وعتاد. وبرفقتها قوة هائلة من العسكريين وجازت فوق القنطرة الجديدة إلى طريانة. قال ابن صاحب الصلاة (9) وهذا العسكر أول عسكر جاز عليها. فأوصل الميرة إليها على أوفى الأمن. وانصرف بعد توصيل الميرة سالما وغانما ظافرا.

وهو أول من كتب العلامة السلطانية بيده :

العلامة السلطانية في اصطلاح الموحدين : هي أن يفتتح الخليفة الرسوم والرسائل بجملة (الحمد لله وحده) يكتبها بيده بخط غليظ في أول رسائله ورسومه. وتكون هي علامة الأمير في الأوامر.

وقد ذكر ابن صاحب الصلاة (10) أن الإتفاق بين لموحدين تم على أن يكتب الأمير الرضى أبو يعقوب العلامة المباركة (والحمد لله وحده) بخط يده. وتنفذ الأوامر العلية ببركتها عن أمره وجده. ومثله في كتاب العبر لابن خلدون (11) وكان هذا الإتفاق في رمضان (561 هـ).

أول أوامر يوسف بذلك :

أول أمر موقع من طرف أبي يعقوب يوسف بالعلامة هو رسالته إلى أخيه أبي سعيد وأصحابه الطلبة بقرطبة ، يوصيهم فيها بأن تجرى الأحكام وفقا للعدل. وتحرى الدقة. وأن لا يقضى في أمر الدماء إلا بعد رفعه للخليفة.

وقد جاء في مقدمتها :

بسم الله الرحمان الرحيم.

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(والحمد لله وحده)

من أمير المومنين يوسف بن أمير المومنين أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته : إلى الشيخ الأجل. أخينا الأعز علينا الأكرم لدينا أبي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة الخ... وهي مؤرخة ب 3 رمضان المعظم (561 هـ).

قال ابن صاحب الصلاة : (12) وهي أول أوامره العالية.

---

4) المصدر قبله ص 452.
5) احدى حواضر اشبيلية.
6) ابن صاحب الصلاة ص 462.
7) القرطاس ص 211. ط دار المنصور. ابن صاحب الصلاة ص 479.
8) بطليوس (بداخوس) مدينة كبيرة عتيقة تقع شمال اشبيلية في منحنى نهر وادى يانة. على مقربة من الحدود البرتغالية في البقعة المثلثة التي يحتضنها النهر عند ملتقاه بفرعه المسمى نهر (سو) الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال لمحمد عبد الله عنان ص 372.
9) المن بالإمامة. ص 463.
10) ص 302.
11) ج 6 ص 498.
12) ص 302.

ومن المصادر ما يؤكد أن أول من كتب العلامة بخط يده من ملوك الموحدين هو يعقوب المنصور (13).

على أن بعض المؤرخين ذهب إلى أبعد من ذلك، فذكر أن اتفاق الموحدين على العلامة السلطانية كان بعد وقوفهم على بعض مخاطبات الإمام المهدي قد كتب عليها العلامة بخط يده، وبقيت تلك علامتهم إلى آخر دولتهم (14).

ولم يغفل شعراء البلاط الموحدى الإشارة إلى العلامة السلطانية في أشعارهم فهذه الشاعرة الغرناطية حفصة بنت الحاج الركونية المتوفاة بمراكش آخر سنة (586 هـ) (15) تنشد ارتجالا بين يدى الأمير عبد المومن الموحدى عندما مثلت أمامه بمدينة سلا صحبة وفد أندلسي :

ياسيد الناس يا مـــــن	يؤمل الناس رفـــــده
أمنن على بطـــــــرس	يكون للدهر عـــــدة
تخط يمناك فيــــــه	(الحمد لله وحـــــده)

قال المقرى في نفح الطيب : (16) وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، فإنها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور (الحمد لله وحده).

وهذا الشاعر أبو عبد الله محمد بن ادريس بن علي المعروف بابن مرج الكحل المتوفى سنة (634 هـ) يقول : في تهنئة الناصرين يعقوب المنصور بفتوحاته لما دخل إلى مراكش سنة (604 هـ).

ولما تولى الفتح في كل وجهـــــة
ولم تبلغ الأوهام في الوصف حـــده

إلى أن يقول :
فلا نعمة إلا تؤدى حقوقهـــا
علامته (الحمد لله وحـــــده) (17)

أول أولاد يوســـف :

أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن الخليفة بعد والده والملقب بالمنصور هو أول أولاد يوسف بن عبد المومن (18).

أول أعمال يعقوب المنصور :

ذكر ابن أبي زرع في القرطاس (19) أن يعقوب المنصور لما تمت له البيعة، وإطاعته الأمة كان أول شيء فعله، أنه أخرج مائة ألف دينار ذهبا من بيت المال، ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب، وكتب إلى جميع بلاده في تسريح السجون، ورد المظالم التى فعلها العمال في أيام أبيه، وأكرم الفقهاء، وراعى الصلحاء والفضلاء، وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال، وأوصى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاة، وتفقد أحوال بلاده ورعيته وضبط الثغور، وشحنها بالخيل والرجال، وفرق في الموحدين وسائر الأجناد أموالا كثيرة.

أول غزواتـــه :

في سنة خمس وثمانين وخمس مائة تحرك يعقوب المنصور إلى الأندلس برسم غزو بلاد غربها، فجاز من قصر المجاز (20) إلى الجزيرة الخضراء، ومنها إلى مدينة شنترين (21)، ثم شن الغارات على مدينة الاشبونة (22)

---

13) ابن أبي زرع في القرطاس ص. 217، ط. دار المنصور.
14) ج. 2، من الاستقصا ص. 147 ط. دار الكتاب بالبيضاء.
15) العلوم والأدب والفنون ص. 34 ط. المهدية.
16) ج. 2 ص. 430.
17) المصدر الأخير اعلاه ج. 2 من الاستقصا ص. 217 وج 3 من نفح الطيب ص 27 و29 نقلا عن الإحاطة.
18) ولد يعقوب المنصور بمدينة مراكش سنة (555 هـ) وبويع ببيعة الخاصة (580 هـ) والعامة بعد ذلك بيسير، وتوفي سنة (595 هـ).
19) ص 217. ط. دار المنصور.
20) القصر الصغير، وسمي بقصر المجاز لجواز جيوش المغرب منه إلى الأندلس.
21) مدينة برتغالية في غرب الأندلس شمال لشبونة.
22) مدينة متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط.

وأنحائها ورجع إلى مدينة فاس منتصرا في أواخر رجب من السنة المذكورة فكانت تلك أول غزواته للروم. (23).

أول من عبر البحر مع المنصـــور في غزوة الأرك :

في سنة (591 هـ) خرج يعقوب المنصور من مراكش مع جيوشه قاصدا الأندلس لغزوة الأرك (24) وكان قد ابتدأ عبوره إليها من قصر المجاز وأول من عبر البحر، قبائل العرب، ثم المصامدة، ثم غمارة، ثم الجيوش المتطوعة من قبائل العرب وغيرهم، ثم الموحدون، ثم العبيد وعند ذلك جاز يعقوب المنصور في جيش عظيم من أشياخ الموحدين وأهل الزعامة والنجدة فنزلوا أولا بالجزيرة الخضراء، ومنها إلى طريف، ثم إلى اشبيلية، ومنها إلى قرطبة (25).

أول أسباب انتصار الموحدين في غزواتهم :

ذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) (26) أن انتصار الموحدين في معركة الأرك يرجع - فضلا عن تفوقهم العددى - إلى عدة أسباب، روعي تحقيقها لأول مرة في الغزوات الموحدية الكبرى.

وأولها وأهمها العناية بالمحافظة على نظام الجيش، وتوفير تموينه ومؤنه، وتقسيم حشوده، وتنظيم قياداته، وتعيين قائد عام، يشرف على هذه القيادات، واعتماد الخليفة على مشورة قواده، ثم مراعاة الحزم والسرعة في تحريك الجيش، وإعداده لضرب العدو على الفور.

أول تمرد ضد الحكم الموحدي :

بعدما توفي والد يعقوب المنصور : يوسف بن عبد المومن، ثار علي بن اسحاق المسوفي (27) المعروف بابن غانية : والي الجزائر الشرقية من بلاد الأندلس (الباليار) وأغار بحرا على افريقية واحتل بجاية سنة (581 هـ) ثم استولى على الجزائر، ومازونة، ومليانة، وقلعة بنى حماد (28)، عند ذلك نهض يعقوب المنصور لمحاربته فجهز إليه جيشا يتألف من عشرين ألف فارس وأسطولا بحريا ثم خرج بنفسه في أول سنة (583 هـ) فاستعاد ما أخذه ابن غانية من البلاد ثم عاد إلى مراكش بعد أن فر ابن غانية إلى الصحراء (29)، وكان تمرد ابن غانية هذا هو بداية الصراع الذى نشب في افريقية بين الموحدين وبنى غانية وطال أكثر من نصف قرن (30).

أول مرصد فلكي بني بأروبا :

في عهد يعقوب المنصور، بني بمسجد اشبيلية الجامع، برج عالي (صومعة اشبيلية) يؤذن فيه للإعلام بدخول الوقت، وترصد منه النجوم.

وتعتبر صومعة اشبيلية (الخيرالدا) أول مرصد فلكي إسلامي بني بأروبا (31).

أول أوامره في الصــــلاة :

كان يعقوب المنصور يلزم أفراد رعيته بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، ويعزز المتغافلين عنها والمتهاونين في أدائها.

(23) المصدر قبله، ص 218.
(24) تقع الأرك شمال قرطبة وتقوم اليوم مكانها قرية صغيرة تسمى (سانطا مرية دى الاركوس) وقد وقعت غزوتها يوم الأربعاء 9 شعبان (591) موافق يوليوز (1195).
(25) القرطاس ص، 222.
(26) القسم : 2 عصر الموحدين ص 213 ـ 214.
(27) نسبة إلى قبيلة مسوفة بصحراء لمتونة.
(28) كان الأمير علي بن يوسف بن تاشفين والي على الجزائر الشرقية من بلاد الأندلس محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ثم توارثها بنوه من بعده إلى أيام يوسف بن عبد المومن.
(29) توفي علي بارض نفزاوة سنة (584 هـ).
(30) ج. 2 من الاستقصا ص 159، عصر المرابطين والموحدين ج. 2 من وفيات الأعيان، ص 325. ط الميمنية.
(31) ج. 2 من القرطاس، ص 49 ـ 50 تعليق رقم 2، العلوم والآداب والفنون ط. 1 ص 109.

وكان من جملة أوامره فيها في أول دولته، إرساله إلى جميع بلاد الإسلام التي دخلت في طاعته بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات الخمس، لاكن أجاب قوم وامتنع آخرون (32).

أول ما يسأل عنه الوفـــود :

كان أول سؤال يوجهه المنصور إلى وفود البلدان إذا قدمت عليه، أن يسأل وفد كل بلد عن سيرة العمال والقضاة والولاة، فإذا أثنوا عليهم خيرا قال : «اعلموا أنكم مسؤولون عن هذه الشهادة يوم القيامة، فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقا» وربما تلا في بعض المجالس هذه الآية :

«ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» (33) ذكره في المعجب (34).

أول من قال (الجواب ما ترى لا ما تسمع) :

محمد الناصر بن يعقوب هو أول من قال (الجواب ما ترى لا ما تسمع) (35) وذلك أن (ألفونسو الثامن) صاحب جزيرة الأندلس، كان بعث برسالة إلى يعقوب المنصور، يهدده فيها ويستدعيه للقتال، فأمر ولده محمد الناصر أن يجيب عنها فلما قرأها هذا الأخير مزقها وكتب على ظهرها :

قال الله العظيم : **(ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)** (36) الجواب ما ترى لا ما تسمع ، ثم أنشد متمثلا قول المتنبي :

ولا كتب إلا المشرفية عنــــده
ولا رسل إلا الخميس العرمــــرم (37)

فسر والده بهذا التوقيع وأعجب أيما إعجاب. قال في الاستقصا : فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا (38).

أول ما يفتح به الخليفة الموحدي مجلسه العلمـــي :

كانت العادة في المجالس العلمية للخلفاء الموحدين، أن يستدعى لحضورها طائفة من العلماء، يسمونهم الطلبة الأشياخ، ويحضرها الخليفة بنفسه. وأول شيء يفتح به مجلسه، أن يطرح على بساط المذاكرة مسألة علمية، يلقيها بنفسه، أو تلقى نيابة عنه بإذنه.

وكان عبد المومن ويوسف ويعقوب، يلقون المسائل بأنفسهم.

وفي ختام تلك المجالس، يدعو الخليفة ويؤمن وزيره جهرا ليسمع البعيد (39).

أول شيء يفعله خلفائهم في رحلاتهم :

كانت رحلاتهم تبتدأ بعد صلاة الصبح.. وأول شيء يفعلونه قبل امتطاء دوابهم عند إرادة الإنتقال من مرحلة إلى أخرى أن ينادى في القوم مناد «الإستعانة بالله، والتوكل عليه» ثم يركب عامة الناس، وبعد ذلك يخرج الخليفة من خبمته راكبا، ويمشي بين يديه الأعيان وأشياخ الموحدين مسافة بعيدة، ثم يأمرهم الخليفة

---

(32) ج. 2 من وفيات الأعيان ص. 325، ج 2 من الإستقصا، ص 199.
(33) الآية 135 من النساء.
(34) ص 410، ط. 7، تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.
(35) بويع الناصر في حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته وتوفي في شعبان (610 هـ).
(36) الآية 37 من سورة النمل.
(37) من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة عند ذهابه لزيارة قبر والدته بيلد ميافارقين في جيش عظيم من جنده، وألفين من غلمانه سنة (338 هـ) ومطلعها :
إذا كان مدح فالنسيب المقـدم　　أكل فصيح قال شعرا متيـــم ؟
ج 4 من شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، ص 91، ط : 2، 1838.
(38) ج. 2، ص. 187، القرطاس، ص. 221 ط. دار المنصور.
(39) المعجب ص 484 ـ 85.

بسط الخليفة يديه ودعا، وعلى ذلك جرت عادتهم في جميع رحلاتهم.

وكانت عادة عبد المومن في أسفاره. أن لا يرحل إلا بعد أن يضرب طبل كبير من خشب، مستدير الشكل أخضر اللون، مذهب دائرته 15 ذراعا ثلاث ضربات. فإذا سمع الناس ذلك، علموا أنه طبل الرحيل فيرحلون. وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه (40).

أوليات ثلاث امتاز بها العصر الموحدي :

لا تفوتني الفرصة وأنا في ختام الكلام على أوليات العصر الموحدي. دون أن أسجل لهذا العصر مفاخر ثلاث أمتاز بها عن غيره.

1) ففيه وضعت أول خريطة للعالم :

وضعها الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي السبتي المولود بسبتة سنة (494 هـ) والمتوفى في صقلية نحو سنة (562 هـ) بطلب من (روجار الثاني) ملك صقلية وإيطاليا على الشكل الذى وضعت عليه بعد ذلك علميا.

وكانت رغبة (روجار) أولا أن يرسم له الإدريسي خريطة عالمية يبين له فيها مواقع البلدان والبحار والجبال والأنهار. فرسمها له وفق رغبته، ثم رغب منه ثانيا أن تنقش له تلك الخريطة على لوح من الفضة فأحضر روجار الصناع المهرة. الذين اتقنوا عملية النقش تحت رعاية الإدريسي سطحها صورة الأرض المعمورة بأحرف عربية.

ثم وضع بعد ذلك كشرح للخريطتين. كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وقد انتهى منه في العام الذى توفي فيه روجار (548 هـ) (41).

وكانت أول طبعة للخريطة الحائطية سنة (1928) استخرجها الأستاذ (فوليلر) من قطع الخريطة الأصلية الموزعة بمكتبات : باريس، واكسفورد، واستانبول، ولينغراد، والقاهرة. وطبعها طبعة ملونة.

2) وفيه اكتشفت منابع النيل لأول مرة :

اكتشفها مغربيان صميمان :

أولهما الشريف الإدريسي السابق الذكر فقد ذكر في كتاب نزهة المشتاق أن منابع النيل من بحيرات خط الإستواء، كما رسم في إحدى خرائطه، منابع النيل وصورها بحيرات عند خط الإستواء. وهذه الخريطة محفوظة في متحف (سان مرتين) بفرنسا. وقد أثبت صورتها الأستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية. وكتب تحتها خريطة الإدريسي، نقلا عن نسخة خطية في متحف : (سان مرتين) رسمت (1160) (43).

إلى هذه البحيرة (حيث منبع النيل) في أيام هربه من بنى عبد الحق ملوك بنى مرين (44).

ثانيهما الأمير الموحدى : أبو دبوس. فقد ذكر في مسالك الأبصار أن القاضي عيسى الزاوى حدثه أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلا ابن دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدوة من بني عبد المومن حدثه أنه وصل

(40) المصدر قبله ص 485 والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص 152.

(41) يرى بعض المحققين، أن الكرة الأرضية التي وضعها الإدريسي ليست هي أول كرة عرفها التاريخ. انظر تفصيل ذلك في كتاب العلوم والآداب والفنون. ط المهدية ص 85.

(42) ج 1 من النبوغ المغربي ص 156 والحلقة (24) من ذكريات مشاهير رجال المغرب ط. دار الكتاب اللبناني. كلاهما للأستاذ عبد الله كنون. العلوم والآداب والفنون ص 78، 79، 81. بحث عن الإدريسي بمجلة دعوة الحق عدد يونيه 66 للأستاذ محمد المنوني.

(43) «حول التبادل الفكرى بين المشرق والمغرب» بحث للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله نشر بمجلة دعوة الحق عدد دجنبر 1960 ص 26. العلوم والآداب والفنون ص 93.

كلمة الدكتور عبّاس الجراري

بمناسبة تعيينه عضواً بأكاديمية المملكة المغربية

●● عين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله السيد الدكتور عباس الجراري عضوا بأكاديمية المملكة المغربية. وفي الجلسة الافتتاحية للدورة الأولى لسنة 1403 هـ - 1983 م التي عقدت بفاس (12 - 15 رجب - 25 - 28 أبريل) قدم الأستاذ محمد الفاسي العضو المغربي الجديد، ثم أعطيت الكلمة للدكتور الجراري.

و (دعوة الحق) إذ تهنئ الدكتور عباس الجراري بهذه الثقة المولوية الكريمة المتمثلة في هذا التكريم العلمي يسعدها أن تنشر نص الكلمة التي ألقاها بهذه المناسبة ●●

بسم الله الرحمن الرحيم

- سيدي الرئيس
- زملائي الأعزاء
- أيها السادة
- سيدي أمين السر الدائم
- سيادة مدير الجلسات
- أيها الإخوة الزملاء
- حضرات السادة

بروح يفعمه الحب والوفاء والولاء، وبقلب تغمره الغبطة والسعادة والافتخار، يشرفني أروع التشريف وفائقه، أن اعرب عن عظيم امتناني وعميق عرفاني لمولانا أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، إذ حباني بكريم رعايته وجميل عنايته، وتفضل فعينني عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، هذا الصرح العلمي الشامخ الذي ينهض برهانا يضاف إلى ألف برهان، على أنه - حفظه الله - مجدد فكر هذه الأمة، وراعي علمائها، ورائدهم في مسيرة الرسالة والمسؤولية، بما تفرد به جلالته من إيمان قوي صادق، وعلم أصيل متفتح، وعبقرية مبدعة خلاقة.

في الخطاب السامي الذي افتتح به جلالة الملك المعظم أولى دورات هذه الأكاديمية الموقرة، أبرز - دام علاه - ما ينشد لها من إسهام «في تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان». وهي بتشكيلها المميز الذي أراده لها جلالته، واعدة بقطع شوط بعيد نحو هذه الغاية النبيلة التي حددها - أيده الله - ورسم لها أبعادها العميقة.

وفي اعتقادي أن تحقيقها رهن في البدء بإيجاد عناصر الالتقاء بين الثقافات وأسباب انجذاب بعضها إلى بعض، وكذا شعور المنتمين إليها بالحاجة إلى تبادل الأخذ والعطاء، في غير إحساس بالنقص أو التفوق. وهذا يقتضي البحث في كل ثقافة عن اسهاماتها الإبداعية ومقوماتها الأصيلة النابعة من التجربة التي تنفرد بها، والتي تفضي

إلى خصائص الغنى والتميز. ومن خلال ذلك يتسنى إبراز ما يكمن في هذه الثقافة أو تلك من قيم إنسانية تتيح لها أن تتجاوب وتتحاور، وتؤهلها بالتالي لتتخطى حدود المحلية الضيقة وتعانق الآفاق الواسعة للبشرية كافة.

انطلاقا من الوعي بهذه الحقيقة وما بلور عندي من رؤية شمولية، بدأ تعاملي مع التراث المغربي في نظرة تكاملية توحيدية، جعلتني أبحث هذا التراث في صيغته المدرسية التي تتمثل في الآثار العلمية والأدبية المكتوبة، وما إليها مما ينتجه الدرس والتعليم والتحصيل. ثم في صيغته الشعبية التي تتجلى فيما أبدعه الشعب بمختلف طبقاته من أنماط ثقافية وحضارية لا تقوم على أسس علمية مدروسة، تبدو ظواهرها فيما يمارسه من عادات وتقاليد، وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وما يتداوله من قصص وأمثال وأشعار، وما يزاوله من فنون وصناعات. كلها تعيش في أعماقه الواعية واللا واعية، يحسها مرة ولا يحسها مرات، ولكنها دائما معه وفي حياة مستمرة، تكيف مشاعره ووجدانه، وتحدد مزاجه وشخصيته، وتميز عبقريته، وتشغل بذلك وجوده وإن كان لا يعيها في أغلب الأحيان.

وأكاد أجزم أن في هذا الخط المزدوج للتراث المغربي يكمن تفسير ظاهرة انتشار الثقافة في مستواها الشعبي، إلى حد يعم جميع البيئات والفئات دون أن تؤثر هذه الظاهرة على ثقافتنا فيما يميزها نوعا ودرجة، طالما أن هذه الثقافة تنمو في اتجاهين متكاملين :

أحدهما عمودي كيفي يقصد إلى تعميقها ورفع مستواها بمحاولة الإتقان والتجويد، واعتماد البحث المتعمق، ودوام الاقتباس مما عند الآخرين والثاني أفقي كمي يسعى إلى توسيع قاعدة الثقافة على نطاق التعميم والتسطيح، باعتبارها حقا للجميع، وباعتبارها كذلك وسيلة لتوعية الجماهير، وتعريفها بحقوقها وواجباتها، وتبصيرها بالقضايا المختلفة وتعبئتها المستمرة للعمل.

وقد تداخلت الصيغتان عندي حتى في رحاب الجامعة، إيمانا مني بأن هذه المؤسسة العالية هي جزء من التاريخ الذي نصنعه لأمتنا ومحرك له في نفس الآن، انطلاقا من التعليم والبحث، باعتبارهما مقومين أساسيين في رسالة الجامعة، بما تتطلبه من فلسفة أرى ضرورة سعيها إلى تكوين جيل من المواطنين يكونون مزودين بالعلم نظرا وتطبيقيا وسلوكا، عارفين بدورهم وقادرين على تحمل المسؤولية، وعلى قيادة العمل الوطني، وبث الوعي بالمبادئ السامية والأهداف المقدسة للأمة، وعلى أخذ زمام المبادرة والنهوض بأعباء التطور والتقدم، وعلى إيجاد صياغة متجددة للحياة والإنسان في هذا البلد، وعلى تنمية البحث العلمي بفكر نقدي حر قائم على رأي شخصي وأصيل، أي قادر على الإبداع والابتكار، في منهجية سليمة، ونظر شمولي مفتوح على مختلف الآفاق الإنسانية، بعيدا عن الانغلاق وعن السير في ركاب أي تيار يكرس التبعية.

وقد حثني هذا التصور المتكامل على أن اطرح درس الأدب المغربي - وهو مجال تخصصي الضيق - وأوجهه ليستقطب الشقين معا :

المدرسي والشعبي، مع إعطاء الأدب مفهوما يشمل كل الإنتاج الفكري لأمتنا، دون حصره في إطار الاصطلاح التعليمي المتداول الذي يحدده بالشعر والنثر الفني.

وهذا ما جعلني أوفق في بحث التراث بين المبدعات الأدبية والفنية والعلمية، وكذا الممارسات العملية المختلفة، على أساس أن التراث هو وعاء منظورات الأمة ومقولاتها وتجاربها، وأنه هو دليل حياتها، ووثيقة وجودها، ومنظومة معرفتها في ماضيها وحاضرها وما تتطلع إليه من رؤى وتصورات مستقبلية، وهي مكونات - على تعددها وتباعدها - تلتقي فيما بينها بعلاقة جدلية لا تتجزأ فيها حركة التاريخ، بل تتداخل فيها الأزمنة الثلاثة بما يلغي كل الأبعاد، إلا ما كان من بعد واحد هو ذلكم الذي يقاس بما يبدعه الإنسان من أفكار، ويحققه من أعمال، ويتحمله من مسؤوليات. وأعترف بأن هذه النظرة للتراث هي التي جعلتني في دراسته - والجانب الأدبي منه خاصة - أتناول ظواهر وقضايا أرى إسعافها لي في الكشف عن ذلكم البعد الهدف.

وحتى حين يتعلق التراث بالماضي، فإنه لا يعنيه دون تحديد، ولكن يعني منه الجانب المضيء الشفاف

الذي يلازم حياة من يمتلكه، ويكون قادرا على إعادة ترتيبه وتجديد تركيبه، وتطويعه بالتفسير والتحليل والتقويم، حتى يصير جزءا من كيانه، في ارتباط وثيق بجميع مراحل تحركه خلال الحقب والأزمان.

وإن استمرار تلكم العملية التحديثية للماضي هو الذي حث هذا الماضي على أن يفرز ظواهر ثقافية وحضارية متعددة، تعاقب نموها وتطورها طوال عهود التاريخ، بما جعلها تتجذر وتتجدد وتتفاعل بخصوبة وتلقائية، متأثرة بما تعانقه أو يعانقها من ظواهر مماثلة لها في بقية الحضارات والثقافات.

ولست أخفي أن نقطة البدء عندي تنطلق من الإقليمية التي تعتمد البيئة ومقوماتها ومؤثراتها أساسا للدراسة، ولكنني أؤكد أنني حين أقول الإقليمية وتأثير البيئة في الأدب والتراث عامة، لا أنسى الشخصية الذاتية والموهبة الفردية، ولا أعني تضييق الأفق والانحصار في إطار المحلية، أي أنني لا أعتبر الإقليمية هدفا، لسلبية جميع أبعاد هذا الهدف، ولكني أعتبرها وسيلة للم شتات الأدب العربي والفكر الإسلامي، وغيرهما من أنماط التراث في كل البيئات الحضارية والثقافية التي أتاحت الإبداع، وأعتبرها سبيلا لتكميل الرؤية الوحدوية بكل ما يكسبها من خصب وغنى وتنوع، انطلاقا من خصائص في الخلفية الثقافية والتجربة المحلية لكل إقليم، فضلا عن العوامل البيئية المؤثرة التي تنعكس على المزاج والروح، وعلى الطابع واللون، وهذا ما يجعلني في النهاية أعتبر الإقليمية جواز المرور للعالمية والإنسانية، حين تنصهر تلكم العوامل البيئية مع عناصر التفاعل التي تتيحها آفاق الكون الواسع.

وقد كان المغرب مؤهلا لهذا التفاعل بموقعه الجغرافي على رأس افريقيا، وعند مدخل حوض المتوسط، مفتوح الشواطئ على بحرين عظيمين، متحكما في منافذهما ومتفتحا بالتالي على ما وراءهما من عوالم، في الوقت الذي هو يضرب بجذور ثابتة في أعماق القارة التي ينتمي إليها، متوسطا بذلك كل جهات الكون، مما جعله يتحرك في مركز ثقل العالم بتفاعل جدلي مستمر مع هذه الجهات، في عملية أخذ وعطاء لم يشهد التاريخ لها توقفا أو انقطاعا، مما أنتج تركيبا حضاريا وثقافيا لهذا البلد يكاد يكون متفردا بخصائص متميزة هي سمات ذاته، دون أن يفقد هذا التركيب خيوط الالتحام والانسجام مع العناصر التي تفاعل معها في الأصل وما زال.

وكما قال سيدنا دام تأييده في نفس خطابه السامي الإفتتاحي للأكاديمية، فإن هذا الموقع «رسم وجهة المغرب التاريخية وفرض على بلادنا أن تقوم باستمرار بدور أداة للربط والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات».

في إطار هذا الدور تبلور وعي الإنسان المغربي، وتحددت نظرته للحياة والكون، واتضحت ملامح وجوده ومميزات تجربته خلال التاريخ، وكذا خصوصيات شخصيته وأصالته الذاتية، وأستطيع القول بأنها جميعا تكشف عن عقلية عملية واقعية تعتمد الحس والتجريب، والميل إلى تجسيد الحلم والمجرد لتحويلهما إلى حقائق ملموسة، وبذلك تسنى له أن يكتسب إرادة قوية لإثبات كيانه وتحقيق مطامحه، وقدرة تلقائية على الأخذ والعطاء وعلى التفاعل والتبادل.

وقد تأكد الدور الذي نهض به المغرب على امتداد الحقب والعهود، حتى ما كان منها موغلا في القدم، بما لا يحتاج إلى شاهد إثبات، ولكن هذا الدور لم يلبث أن تجدد حين سرى الروح الإسلامي في أعماقه، وأعاد خلقه وغير مجرى الحياة فيه، وفتح له آفاق حضارة وثقافة جديدتين، اهتدى في بنائهما بمثل عليا نابعة من تمازج العقل والروح، مما أهله ليتحمل في نطاق الفكر والعقيدة رسالة تخاطب الإنسانية عامة في كل الأزمان، وهي رسالة تقوم على العلم والعمل، وعلى التدبر والإقناع، وتشيع التعايش والتساكن والتآخي والتراحم، وإن من موقع القوة والقدرة على الصد والمواجهة، وهي بذلك تدعو إلى الحوار المستمر الحكيم، هذا الحوار الذي غدا ملحا قيامه اليوم، بعد أن زالت الحواجز بين الأقاليم والأقطار، وزادت وسائل الاتصال بين مختلف الشعوب، ومعها زادت للأسف أسباب الخصام والخلاف وعوامل التطاحن والتناحر.

وأعتقد أن هذا الحوار لا يكون إيجابيا، بل لا يكون ممكنا، إلا إذا كان نزيها وسليما، وهو لا يكون كذلك إلا إذا قام على حد أدنى من الآراء المتفقة التي تقصد إلى تحقيق غايات موحدة، مما يقتضي أن يعرف كل طرف كيف يحترم الآخر ويفهمه ويعترف به ويفيد منه. ويسعى معه إلى تقليص الفواصل وتضييق الهوات، وإلى مد قنوات ومعابر تتيح مزيدا من الاتصال والتعارف والتفاهم والتعاون، وتمكن من توسيع الجوانب المشتركة وتقويتها، نشرا للتسامح، ونبذا للتعصب، ووقفا للصراع، وحفظا للتوازن بين القيم الروحية والمادية، وبحثا في النهاية عما يستطيع الفكر الإنساني برمته أن يقدمه من خير وسعادة للناس جميعا، ومن أجل سلام يعم البشرية كافة.

ولست أشك في أن هذا هو البعد الآني والمستقبلي الذي يجب أن يطرحه الفكر الحق في سعيه لحماية الإنسانية من الدمار الذي يحدق بها ويهدد وجودها بالانهيار. وتلكم إحدى الغايات الأساسية لأكاديميتنا الملكية، وقد اعرب جلالة الحسن الثاني أطال الله بقاءه - وهو يفتتحها - عن الأمل المعقود عليها في «أن تطوي المسافات وتوثق أواصر الاتصال والتعارف بين مفكرين وحماة للفكر يتمسكون بقيم روحية واحدة، وإن اختلفت العقائد والأديان، ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحث خطى الحضارة ويؤمن المصير الآمن المشرق للإنسان».

فلعل الله أن يوفقنا - أيها الإخوة الزملاء - ويجعل جهودنا جميعا تتضافر لتحقيق هذا الهدف الإنساني النبيل، مهما كان الطريق طويلا أو يطول.

- سيدي أمين السر الدائم

- سيادة مدير الجلسات

- اخوتي الزملاء

- حضرات السادة

قبل أن أغادر هذه المنصة، أود أن اقدم الثناء عطرا لسيادة أمين السر الدائم، صديقي العزيز الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بربيش الذي قرب خطاي نحو هذه المؤسسة العلمية العالية، وللأستاذ الكبير السيد محمد الفاسي الذي أعتز بأن يكون هو مقدمي إلى هذا المجمع الرفيع، وأن اضفي على ما طوق به عنقي مما أنوء به. ولعلي في غير حاجة إلى الكشف عن مصدر هذا الاعتزاز الذي يكفيني فيه اقترانه بشخصية بارزة في ميدان الكفاح الوطني ومختلف مجالات المعرفة والتعليم. ثم أود أن أعبر عن خالص شكري لكم جميعا - حضرات العلماء الأجلاء - وأنتم تستقبلوني بينكم، وكلي رجاء أن أكون عند حسن ظنكم بي وفي مستوى ثقة سيدنا أعزه الله وتقديره الغالي الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

*



البروفسور رجاء جارودي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بمناسبة الزيارة التي قام بها إلى المغرب المفكر الفرنسي المسلم البروفيسور رجاء جارودي بدعوة من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإينيسكو) قام سيادته بزيارة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حيث استقبل من طرف الأستاذ السيد الهاشمي الفلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي رحب به في بلده المغرب المسلم وعبر عن شعوره بالارتياح والتقدير بمناسبة استقباله لرجل الفكر والموقف المتميز الذي اهتدى إليه بعد جهد جهيد صرفه في البحث والدراسة والمقارنة وقاده إلى الإيمان بالرسالة المحمدية الخاتمة.

وبهذه المناسبة أهدى السيد الوزير للضيف الفرنسي المسلم الكبير نسخة من المصحف الحسني من الطبعة الفاخرة الممتازة وكتبا بالفرنسية من مطبوعات الوزارة.

وأهدى البروفيسور جارودي للسيد الوزير نسخة من كتابه الفذ (ملف إسرائيل).

حضر هذه المقابلة السيد محمد المرابط الكاتب العام لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، والسيد محمد الهرم المفتش العام للأوقاف، والأستاذ مصطفى القصري مدير ديوان السيد المدير العام لمنظمة (الإينيسكو) ورئيس التحرير.

فهرس العدد 229

الافتتاحية :

على لسان مدينة فاس

للشاعر الأستاذ أحمد البورقادي

إلى الأخ الأستاذ الشاعر السيد أحمد عبد السلام البقالي هذه التحية من مدينة فاس على لسان مدينة (فاس) باقتراح من رئيس المجلس العلمي بفاس ردا على تحيتكم الرقيقة المنشورة في مجلة «دعوة الحق» الغراء عدد : 226.

تحب فاس في الشتاء والحب رمز للوفاء
فاسٌ بحبكم لها تزهو، وتسمو للعلاء

٥ «» ٥

تحب فاس في الربيع لحسنها الغضّ البديع
تحبها، تحبها فوق محبة الجميع
يجمعكم بحبها سر له معنى رفيع

٥ «» ٥

تحب فاس في المصيف حبا كحرها العنيف
وكم لها في صيفها من عاشق صبّ شغوف
والمرء يعلو ذكره بحبه السامي العفيف

٥ «» ٥

تحب فاس في الخريف لجوها السمح اللطيف
وهي تعري ثوبها وثوبها غير شفيف
فقل لمن يحبها ان يرتضى الحب الشريف

٥ «» ٥

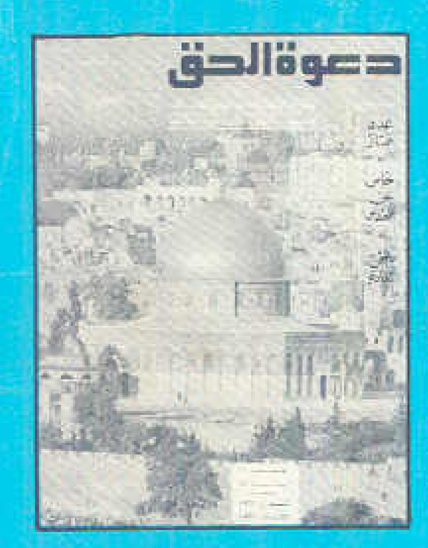
من فاس يانجل السلامْ ألفُ تحية إليكْ
وأهل فاس مجمعونْ على ثنائهم عليكْ
ومن شذاها يحملونْ أكرم باقة إليكْ

فاس ـ أحمد البورقادي



















صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957